

# مصر العربية في مجال المشرق

تأليف

أحمد حسين القزويني  
عبدالمجيد درويش القزويني



0197082  
Bibliotheca Alexandrina





كتب  
قومية

## مختصر العربية في مجال الشرائح

تأليف  
أحمد مسنين القرني  
عبدالحق فرغلي القرني



## مراجع الكتاب

- ١ - الأدب العربى وتاريخه للاستاذ محمود مصطفى
- ٢ - أرض المجد - للأستاذين زكى سعد وأحمد يوسف
- ٣ - الأزهر أثر وثقافة - للأستاذ سعاد ماهر
- ٤ - الأغاني - للأصمبھانى
- ٥ - بدائع الزهور - ابن اياس
- ٦ - تاريخ الادب العربى - لأحمد أمين وآخرين
- ٧ - الجمهورية العربية المتحدة - للدكتور عبد القادر حاتم
- ٨ - حسن المحاضرة فى اخبار مصر والقاهرة - لجلال الدين السيوطى
- ٩ - الحركة الصليبية - للدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور
- ١٠ - الحكم والأمثال عند القدماء المصريين - للدكتور محرم كمال
- ١١ - دائرة معارف الشعب
- ١٢ - الدر المنثور فى طبقات ربات الخدور - زينب بنت على بن حسن
- ١٣ - دراسات للقومية العربية - محمد خزبك

- ١٤ - سعد زغلول  
عباس محمود العقاد
- ١٥ - السلوك لمعرفة دول الملوك  
للمقرئى
- ١٦ - السيرة النبوية  
لابن هشام
- ١٧ - صبح الأعشى  
للقلقشندى
- ١٨ - صورة من كفاح الشعب  
العربى  
الدكتور جمال الدين الرمادى
- ١٩ - على هامش التاريخ المصرى  
القديم  
عبد القادر حمزة
- ٢٠ - الظاهر بيبرس  
الدكتور سعيد عبد الفتاح
- ٢١ - تاريخ العالم العربى فى العصر  
الحديث  
د . عزت عبد الكريم و د . البطريق
- ٢٢ - فلسفة الثورة  
الرئيس جمال الناصر
- ٢٣ - فصول مختارة من كتب  
التاريخ  
للدكتور طه حسين وآخرين
- ٢٤ - قصة الطب عند العرب  
احمد حسنين القرنى
- ٢٥ - قصة الوحدة العربية  
انور السادات
- ٢٦ - كفاح طيبة  
نجيب محفوظ .
- ٢٧ - مصر  
زكى سعد واحمد يوسف
- ٢٨ - مصر فى فجر الاسلام  
دكتورة سيده الكاشف
- ٢٩ - مصر الخالدة  
حسن جوهر
- ٣٠ - مقدمة ابن خلدون  
عبد الرحمن بن خلدون
- ٣١ - مشارق الانوار  
الشيخ حسن العلوى
- ٣٢ - مسالك الابصار  
ابن فضل الله العمرى
- ٣٣ - المفصل فى الادب العربى  
الدكتور طه حسين وآخرين
- ٣٤ - المتنبى  
محمود شاكر فى عدد خاص من المقتطف

- ٣٥ - الميثاق
- ٣٦ - المجتمع العربى ومناهضة  
الشعبوية  
للدكتور ابراهيم العدوى
- ٣٧ - مجموعة خطب الرئيس  
جمال عبد الناصر
- ٣٨ - النجوم الزاهرة فى ملوك  
مصر والقاهرة  
لابن تهرى بردى
- ٣٩ - نهاية الأرب فى فنون الأدب  
للمنويرى
- ٤٠ - نظرات فى الايدولوجية  
العربية  
غالب عبد الرزاق
- ٤١ - وحدة العرب  
ابراهيم البساطى
- ٤٢ - قرة النفوس والعيون  
بسيرة ماتوسط من القرون  
ترجمة مصطفى الزرابى.  
ورفاعة الطبطبائى





## فاتحة الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين في عرض هذا الكتاب الذي لا ينبغي به  
سردا تاريخيا ، ولكنه صدى لتلك الانتفاضات التحررية التي  
تظهر في اجزاء كثيرة من الوطن العربي ، ونراها في موقف  
مصر منها ، ومؤازرتها غير المحدودة لها ، وتشجيعها للأحرار  
في كل مكان ، وبسط رعايتها للمتاضلين في طريق العزة  
والكرامة ، مما جعلها - بلا شك - قلعة للإبطال ، وكعبة  
للأحرار ، وقاعدة تنطلق منها اشعاعات الحرية والاستقلال ،  
ويتزود منها ، ويهتدى بهديها المناضلون في كل مكان مما أوحى  
الى شاعر عربي حديث أن يقول :

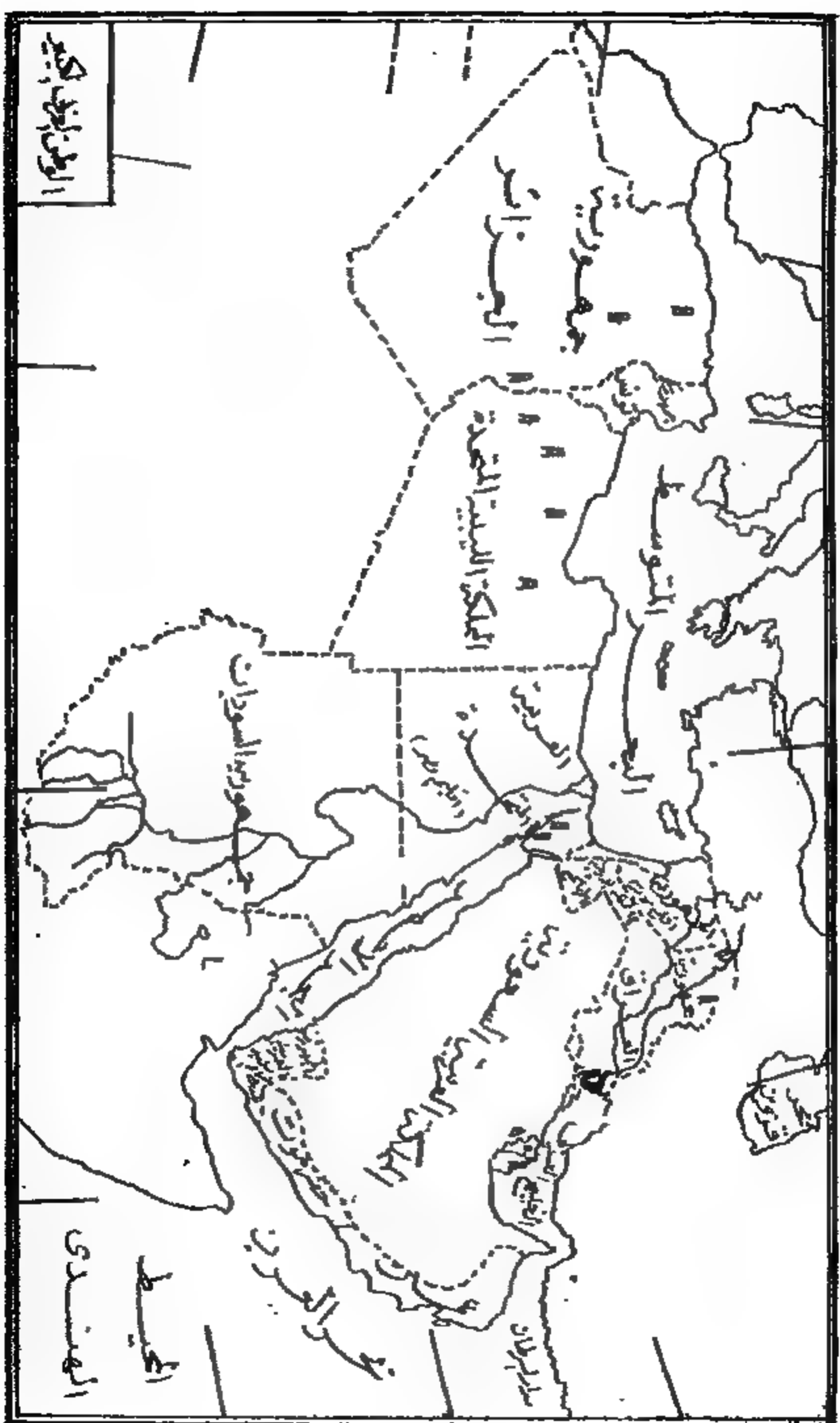
الشرق تاج ، ومصر منه درته  
والشرق جيش ومصر حامل العلم

ميهات تطرف فيها عين زائرها  
بغير ذي أدب ، أو غير ذي شمم

أحنى على الحر من أم على ولد  
فالحر في مصر كالورقاء في الحرم

المؤلفان







## العرب أمة واحدة

كان من الكلمات الخالدات ما سجله رائد العروبة الرئيس جمال عبد الناصر يوم ميلاد الجمهورية العربية المتحدة اذ قال :

« ان تاريخ القاهرة في خطوطه العريضة هو نفسه »

« تاريخ دمشق في خطوطه العريضة » وقد تختلف »

« التفاصيل ولكن المعالم البارزة هي نفس المعالم »

« نفس الدول ، نفس الغزاة ، نفس الملوك »

« نفس الابطال ، ونفس الشهداء »

وقد قام الوزير الاديب العالم الدكتور عبد القادر حاتم بتفصيل مركز لما أجمل السيد الرئيس جمال ، ونحن نستعير هنا مختارات مما كتب السيد نائب رئيس الوزراء لتكون بمثابة مدخل لكتابنا :

قال الدكتور عبد القادر حاتم : (١)

تلك هي كلمة الحق نطق بها الرئيس جمال عبد الناصر يوم ميلاد

---

(١) انظر كتاب « الجمهورية العربية المتحدة » رقم ٥٢ من سلسلة كتب سياسية التي تنشرها الدار القومية للطباعة والنشر .

الجمهورية العربية المتحدة ، وهي تنطوي على تاريخ نابض ، وعلى واقع  
ملموس . .

جمال عبد الناصر خرج من بين صفوف الشعب المصري يحمل بين  
يديه آلام الماضي ، وجراح الستين ، ويسـتـجمع في ذهنه تاريخ وطنه  
العربي ، ومجد أسلافه وحضارتهم ، وينظر في حسرة وألم عبر الماضي  
ولا يجد إلا حقوقا قد ضيعت ، وقيما قد أهدرت ، وأوطانا قد سلبت ،  
وأرزاقا قد نهبت .

تذكر جمال عبد الناصر ، ولم ينس شعب مصر ، كيف كانت مصر  
ملاذ الخلافة الهاربة من الغزو التتري الذي اجتاح بغداد ، وأعمل فيها  
معاول الهدم والتخريب .

وتذكر جمال عبد الناصر ، ولم ينس شعب مصر ، كيف خاضت مصر  
وسوريا معارك الصليب النقي تستر خلفه الاستعمار الغربي الطامع في  
السرو الملى بالخيرات ، والمواد الأولية ، والبتروول .

تذكر جمال عبد الناصر كيف دهم الاستعمار التركي الوطن العربي  
وساع فيه الفوضى والحراب ، رأى كيف ألهب جبهة الضرائب ظهور آبائنا  
وأجدادنا فتركوا الأرض للوالى التركى يفسمها بين كلاب الصيد من الجنـد  
الانكسارية المرتزقة ، رأى كيف انتزع السلطان سليم الصناع المهرة ،  
وأصحاب الحرف الأكفاء من القاهرة إلى استانبول ، فخرّب القاهرة وعمر  
استانبول . . رأى كيف عم الظلم ، وديس العدل وحرم اهل الوطن العربى  
من خيراتهم ، وهم أصحاب الحق فيه .

وتذكر جمال عبد الناصر كيف قامت مصر تنتقم لنفسها وتنادى  
للعرب ومحاول أن تسترد وطنها مسلوبا ، وحقوقا مفترصة ، وكيف دق  
الجرس العربى بيد مضرجة ابواب استانبول فى قوة وعنف . . ورأى كيف  
ساد يومئذ صفوف الاستعمار ذعر وهلع ، وكيف انتاب القراصنة رعب  
وحرف . مساندوا فيما بينهم ، ودفوا طبول التآمر والفتنة ليثبوا تلك القوة  
الوليدة ، وليعطسوا ذلك النور الذى يوشك أن ينبثق فيبدد ما حاق بالعالم  
العربى من ظلمات مخيفة . وخطوب مدلّمة ، وكان ان تغلبت الكثرة الظالمة  
على القوة الوليدة . وتراجع الفجر ليتوارى بين اكمام الظلام الى حين .

وتذكر جمال عبد الناصر كيف جاءت الحملة الفرنسية تمنى نفسها  
بملك عريض ، ودولة لاتغيب عنها الشمس ، لكن الكفاح العربى فى  
القاهرة وفى الشام خيب آمال الغزاة ، وقلم أظافر مطامعهم . فنابليون قاهر



أوروبا ، وأمير الغزاة ولي وجهه شطر الشام فاستعصت عليه ، وارتد الى القاهرة فلم يهنأ فيها بمقام فرحل عنها يطوى جوانحه على أحلام ماتت وهي ما تزال جنينا ، ثم لحق به خلفاؤه يجرون أذيال الحيلة والهزيمة .

تذكر جمال عبد الناصر كيف مضى الكفاح العربى فى خط مستقيم، وحلقات متصلة ، كل حلقة تمهد لأختها .

رأى جمال عبد الناصر كيف يتبدد التراث الانسانى العريق ، وكيف تندثر المعالم التى قاومت الزمن وغالبت الايام .

وتذكر جمال عبد الناصر كيف اصطلح الاستعمار الغربى على الشرق العربى واقتسمه فيما بينه كالتركة التى لا وارث لها ، ولم تشفع لهذا الشرق حروبه الى جانب الغرب ، وحشد موارده المادية والبشرية ليكتب له النصر . تذكر اتفاق سايكس - بيكو (١) الذى اقام وسط الشعب المصرى الواحد ، والامة العربية المتحدة ، حذودا مصطنعة ، وحواجز وهمية ليعزل الاخوة ، ويفرق الاشقاء ويحول دون انطلاق المارد العملاق .

تذكر جمال عبد الناصر ، وتذكر ، وتذكر ... كيف راح يؤمم مرافق بلده ، ويستغل خيرات وطنه ، وتذكر كيف طاش يومها حلم الاستعمار وضرب الشعب المصرى بلا هوادة ولا رحمة .. وتذكر كيف كان ايمانه ببلده وبقوميته ايمانا قويا راسخا تحطمت عليه نصال الغزو ، وارتدت دونه امواج العدوان العارمة .

تذكر جمال عبد الناصر هذا ، ولم ينس الشعب المصرى كيف انتفضت ، حينذاك ، الروح العربية فى كل بقعة من بقاع العالم العربى ، وكيف هب الشعب السورى على بكرة أبيه يشد أزرنا ويقاسمنا أعباء الكفاح على حساب رزقه وقوته ، وعلى حساب مصالحه وحياة ابنائه .

فالشعب السورى خاض مع الشعب المصرى معارك ، وخضعا معا لحكم واحد .. فمنذ الفتح الاسلامى يسير الشعبان جنبا الى جنب تحت راية واحدة ، حتى بعد ان مزقت الدولة العربية الكبرى الى دويلات ظلت

---

(١) فى ١٦ مايو سنة ١٩١٦ عقد اتفاق سرى بين بريطانيا وفرنسا على تقطيع اوصال البلاد العربية ، وتقسيمها الى مناطق نفوذ بينها ، وسمى باسم المفاوضات اللذين ابرموا هما مارك سايكس والبريطانى ، وجورج بيكو الفرنسى ، واعتمدته روسيا فيما بعد . ولذلك يسمى ايضا الاتفاق الانجليزى الفرنسى الروسى .

مصر وسوريا تحت الحكم الطولوني ، والاخشيدى ، والايوبى ، وتحمل  
الشعبان معا أعباء معارك الحروب الصليبية (١) .

أجل ان تاريخ القاهرة فى خطوطه العريضة هو بنفسه تاريخ دمشق  
فى خطوطه العريضة .

لقد عرض السيد الرئيس صورة مجملية لتاريخ الوطن العربى فى  
كفاحه ، وبرز السيد الوزير الملامح الرئيسية لتلك الصورة ، وحول تلك  
الصورة وهذا العرض يدور موضوع كتابنا .

أحمد حسنين القرنى - عبد الحفيظ فرغلى القرنى

---

(١) ثبت من الوثائق التى كشف عنها فى اطلال مدينة أوغاريت بجزر اللاذقية أن علاقة  
ود وسلام كانت وثيقة بين مصر وسوريا منذ القرن الخامس عشر قبل الميلاد .

## مصر فى مجال التاريخ

لم تحفظ بلاد بعناية المؤرخين كما حظيت البلاد المصرية قديماً وحديثاً ، فقد أقبل عليها وفود الرحالة وجموع من الجوابين منذ أقدم العصور من مشارق الأرض ومغاربها ، وأما كثير من المؤرخين ، والأدباء ، والفنيين ، والشعراء ، والعلماء فى مختلف العصور والأزمان ، وأرخوا لها وذكروا محاسنها ، وسجلوا انطباعاتهم عنها بكل لسان ، وفى كل زمان .  
لقد دون فيها كثير من الكتب ما بين مطولة وموجزة ، وورد فى شأنها كثير من مآثور الشعر والنثر ، مما أظهر فضلها ، وأبان عن محاسنها ، وجعلها درة فى جبين الأمصار والأقطار .

وما كان ذلك كذلك إلا لأنها تبوّأت منذ أقدم العصور عرش الحضارة . فقد كان العالم يحبو وهي عروس المدنية والرقى ، وفى الوقت الذى كانت فيه الدول تتطلع الى بصيص من نور المدنية والعرفان كانت هي قد بلغت أسمى ما تتطلع اليه دولة فى العالم من التقدم والحضارة ، ولقد ظلت على طول المدى مشرق نور ، ومركز إشعاع ، ومعقد رجاء ومحط آمال .

### مصر قبل الإسلام بين العروبة والفرعونية ..

تناول الفتح العربى كثيرة من بلاد الدنيا وأخضعها لسلطان العرب المسلمين ، فلم تعربت المناطق التى تمثل الوطن العربى الذى ننادى به الآن من الخليج الى المحيط ، ولم لم تتعرب مناطق أخرى كفارس والهند ، والقوقاز ، والاندلس ؟ ولم اندثرت لغات أو تحولت الى آثار تاريخية

كالتبعية والعبرية والسريانية في حين ان لغات اخرى ظلت مع سلطان العرب عليها محتفظة بوجودها وبمقوماتها ؟

ليس ذلك في رأينا الا لجنود قديمة تربط بين العرب الفساحين والدول التي تعربت ، وانعدام تلك الجنود من الدول التي استعصت على التعريب ، ويعنيها من كل ذلك هنا أمر مصر أكثر مما يعنيها أمر غيرها .

لم ترتبط مصر بالعروبة منذ الفتح العربي فحسب ، ولكن يلوح لنا ان الرابطة كانت قائمة قبل هذا الفتح بعهد سحيقة ، وازمان بعيدة ، ويذكر بعض قدامى المؤرخين ان « الهكسوس » أو « ملوك الرعاة » الذين اغاروا على مصر وحكموها فترة من الزمان في العهد الفرعوني قدموا اليها من اليمن . ويقرر يوسفوس المؤرخ الاسرائيلي المتوفى في أواخر القرن الاول للميلاد نقلا عن مانيثون المؤرخ السكندري أن هجرات عربية من ملاحقة تمت على وادي النيل ، ومن هؤلاء المهاجرين الهكسوس وهم عرب سامهم المصريون « شاسو » أي البدو ، وكانوا يتنقلون في صحراء مصر الشرقية ، وأخيرا وصلوا الى الحكم ثم طردهم أحمرس الأول سنة ١٧٣٠ قبل الميلاد ، ثم يقول ان هكسوس اصلها « هيك شاسو » أي ملوك البدو . ويذكر هيرودوت وبليتيوس أن الأقسام الشرقية من مصر ، وبخاصة المتصل منها بطور سيناء كانت مأهولة بفبائل عربية ، وان العرب كانوا ينجرون مع مصر ، وسهل رعمسيس الثالث ورعمسيس الرابع طرق القوافل بين مصر والبلاد العربية . وسواء أطالت مدة بقائهم في البلاد أم قصرت فلا بد أنهم تأثروا بها ، وأثروا فيها ، وتركوا افعابا وأحفادا ، وكانوا عاملا من عوامل امتزاج الدم العربي بالدم المصري منذ ذلك العهد السحيق (١) . وقد يكون ذلك علة كوننا نرى بعض قدامى المؤرخين يظهرون على فراعنة مصر أسماء عربية مثل مصعب ، والوليد (٢) . وما نحسب انهم ساقوا من هذه التسمية اعتباطا .

وكتاب « قرة النفوس والعيون بسيرة ماتوسط من الفرون » الذي ترجمه عن الفرنسية الاستاذ مصطفى سيد احمد الزرابي وراجعته السيد رفاعه الطهطاوي وطبع بمطبعة بولاق الاميرية سنة ١٢٦٢ قد جاء فيه ما يلي :

« في سنة ٦١٠ م دارت الحرب بين الفرس والروم ، واستطاع

(١) « قصة الطب عند العرب » لاجد حسنين العرنى .

(٢) انظر كتاب « بدائع الزهور في وقائع الدهور » لابن اياس .

الفرس ان يستولوا على مدينة انطاكية ودمشق ، تم تغلبوا على مدينة القدس وأعانهم على ذلك ستة وعشرون الفا من اليهود كانوا عازمين على اعادة دينهم الى هذه البقعة من الارض التي يعدونها ميراثا لهم عن سليمان وداود . ولما دخل اليهود والفرس تلك البقاع قتلوا من كان في مدينة القدس من النصارى ، واحرقوا قبر المسيح ، وهدموا الكنائس واخذوا الصليب ، واعلن كسرى في ثورة غضبه ونشوة انتصاره انه يريد اقامة دين المجوسية مكان المسيحية ، وكان لهذه الواقعة أثر في الجزيرة العربية وفي مصر .

أما في الجزيرة العربية فان اليهود فيها فرحوا بانتصار الفرس لأنه يمكن لهم من بيت المقدس ، واما عباد الاوثان والنصار فقد فرحوا بهذا الانتصار للتقارب بينهم في العقائد الدينية ، واما المسيحيون والمسلمون في مصر والجزيرة العربية — وكان الاسلام ما زال في أول امره — فقد حزنوا لذلك اشد الحزن ، وجاء القرآن الكريم يسرى عنهم بقوله في سورة الروم : « الم ، غلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون ، في بضع سنين ، لله الأمر من قبل ومن بعد ، ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله » .

واما اثره في مصر فان وصول الفرس الى بيت المقدس أتاح لهم اجتياح مصر ، ثم انسأبوا منها الى المغرب . .

وقد اثبت التاريخ في كل أطواره ما بين مصر وباقي أجزاء الوطن العربى من وحدة المصير ، فان جاء العدوان من الشرق وتمكن من الشام فسرعان ما يتجه نحو مصر كما فعل الفرس والتتار ، وان جاء العدوان من الغرب وتمكن من مصر فسرعان ما يتجه نحو الشام كما فعل الرومان وكما فعل نابليون . لقد فهم الاسكندر المقدونى أهمية ما بين مصر والشام من ارتباط فلم يكتف باحتلال الشام ، ولم يقبل ما عرضه عليه داريوس الثالث ملك الفرس من تقديم احدى بناته لتكون زوجا له ، كما عرض عليه اقتسام الملك معه ، ولكن الاسكندر أبى كل ذلك وتابع سيره الى مصر وفتحها ، وبنى مدينة الاسكندرية .

والرومان كذلك خاضوا أشد الحروب ضراوة للاستيلاء على مصر والشام .

والعرب المسلمون لما منحهم الاسلام تلك القوة التي طردوا بها الروم من الشام لم يقفوا عند هذا الحد بل قدموا الى مصر ، ثم اتجهوا الى الغرب العربى .

ولما هاجم التتار بغداد وخربوها ، وقضوا على معالم الحضارة فيها  
أرادوا بعد ذلك أن ينسابوا الى المغرب لولا أن تصدت لهم مصر واستطاعت  
أن تقى المدنية العالمية من بربريتهم .

ولم تغب حقيقة ما بين مصر والشام من ارتباط عن نابليون فإنه  
ما كاد يدخل مصر حتى اتجه نحو الشام .

هذه التجارب المتعددة التي مرت بها أجزاء الوطن العربى ، وهذه  
الآلام المشتركة التي تحملوها عبر التاريخ ، والتي تدل على مبلغ ما بينهم  
من وحدة طبيعية هي التي أملت على الشاعر العربى الكبير أمير الشعراء  
احمد شوقى ان يقول :

قد قضى الله أن يؤلفنا الجر ح ، وأن نلتقى على أشجاننا  
كلما أن بالعراق جريح لمس الشرق جنبه فى عمانه  
وعلىنا كما عليكم حديد تنزى الليوث فى قضبانها

وهي التي أوحى كذلك الى الشاعر العربى المرحوم على الجارم ان  
يقول فى الوطن العربى :

إذا عسدت راياته فهي راية وان كثرت اوطانه فهي موطن  
فليست حدود الأرض تفصل بيننا لنا الشرق حد ، والعروبة موقع  
تذوب حشائش العواصم حسرة اذا دميت من كف بغداد اصبع  
ولو صدعت فى سفح لبنان صخرة لذكرنا الاهرام هذا التصددع  
ولو بردى أنت لخطب مياهه لسالت بواى النيل للنيل ادمع  
ولو مس رضوى عاصف الريح مرة لبسات له اكبادنا تتمزق  
أولئك أبناء العروبة مالهم عن الفضل منأى او عن الجذ منزع  
همو فى ظلال الحق جمع موحد وعند التقاء الراى فرد مجمع

فالوطن العربى بين أجزائه وحدة من صنع القدر ، والعرب فى كل  
مكان أمة واحدة ، وهذه كما يقول الرئيس جمال عبد الناصر فى احدى  
خطبه :

« حقيقة مؤكدة لا ينقضها دعوى مدع فى الشرق ولا فى الغرب ،  
فالمواطن فى مصر اخو العربى فى نجد ، وفى صنعاء ، وفى دمشق وبيروت ،  
وفى الدار البيضاء من أقصى الغرب »



« أبونا واحد ، وإن زعم من زعم أننا آباء ، ووطننا واحد وإن حاول الاستعمار بوسائله أن يجعلنا أوطانا ، وهدفنا في الحياة واحد ، وإن جهل باحث في الشرق أو في الغرب ، وعى أو تعامى عن الحقيقة الواضحة » .

### من أبو العرب جميعا ؟

أبو العرب جميعا اسماعيل بن ابراهيم عليهما السلام .  
واسماعيل من أم مصرية هي السيدة هاجر ، وهي من قرية مصرية كانت أمام القرما .

ويروى ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : « اذا فتحتم مصر فاستوصوا بأهلها خيرا فإن لهم ذمة ورحما » وقيل : « لكم بهم نسبا وصهرا » وسأل محمد بن مسلم عن الرحم فقيل له كانت هاجر أم اسماعيل منهم ، والعرب كلها من اسماعيل ، واسماعيل أبو العرب كلها ومنهم قحطان . وأما الصهر فذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اهديت اليه السيدة مارية القبطية فتزوج منها ، وأنجبت له ابنه ابراهيم الذي قبضه الله طفلا ، ومارية من قرية في الصعيد كانت تسمى حفن (١) .

واذا كانت الأصول والفروع قد ربطت ما بين مصر والعرب منذ ما قبل الاسلام ، واذا كان بعض العرب الذين استجابوا لدعوة النبي ودخلوا في الاسلام قد ارتادوا مصر متجرين في جاهليتهم ، وأحسوا بما يقرب بينهم وبين المصريين مثل عمرو بن العاص فهم لذلك قد أخذوا يزينون لعمر بن الخطاب ان يفتحها حتى استجاب ، وأوفد عمرا ليفتحها ، ورحب به المصريون ، واتفقوا معه سرا على ان يعينوه على الرومان لا للخلاص من ظلم الرومان وقسوتهم فحسب ، ولكن ايضا استجابة لنداء صلة القرى التي عبر عنها النبي عليه الصلاة والسلام بقوله ان بيننا وبينهم صهرا ونسبا .

وافسحت مصر صدرها للقبائل العربية التي وفدت اليها ، وتم امتزاج العنصرين امتزاجا كاملا ، وكملت عروبة مصر منذ ذلك الحين السحيق بعد ان كانت قد بدأت قبل ذلك بكثير ، وإلى هذه الحقائق التاريخية يستند الرئيس جمال عبد الناصر في كثير من خطبه وأحاديثه عن الوحدة العربية ، فهو مثلا يقول في خطاب له ألقاه على كبار علماء اليمن في ٢٥ ابريل سنة ١٩٦٤ :

(١) السيرة النبوية لابن هشام - الجزء الاول .

« ... لم تكن تشعر أننا نحارب في بلد غريب أبدا ... أننا نحارب في بلد عربي ... فهي مصر تجتوئ عائلات وبلادا آتت من اليمن ومن شبه الجزيرة العربية واستقرت في مصر ، وعندنا في الصعيد هناك : بني مر من قبائل مر ، وهناك بني محمد ، وهناك بني حسين ، وهناك بني عدي ... وانا تمثل بهذه الوحدة العربية الحقيقية ، لافرق بين بلد عربي وبلد عربي ، ولا فرق بين مواطن عربي ومواطن عربي ... »

منذ سنة ١٩٢٩ بدأ الكشف عن آثار مدينة قديمة تسمى «أوغاريت» بجوار مدينة اللاذقية بسوريا . وبين أطلال هذه المدينة عثر المنقبون على مئات من الوثائق السياسية والأدبية والدينية والاقتصادية ، ويستفاد منها أن علاقة ود وسلام كانت تقوم بين هذه المدينة وبين مصر القديمة من جانب ، وبينها وبين الحثيين من جانب آخر ، وأنه قد كانت لها أبجدية تتكون من ثلاثين حرفا بينها وبين أبجدية اللغة العربية شبه كبير مما فهم منه الأثريون والباحثون أن سكانها من أصل سامي ، وأن موطنهم الأول كان الجزيرة العربية ، وأنهم هاجروا في موجات الهجرة القديمة كما هاجر اخوة لهم الى مصر ، وأن هذا هو سر ظاهرة ما بين أسلوب أوغاريت واسلوب مصر القديمة في النحت والتماثيل ، وأن سر ما بينهما من صلات وثيقة في الحضارة يرجع الى ما كان بينهما من صلات وثيقة في الأصول (١)

---

(١) انظر في هذا المقال الاستاذ عبد القادر الريماوي بالعدد السابع من المجلد الثالث عشر من مجله « قافلة الزيب » .

## مصر في معترك الاحداث

من القواعد التي استقرأها العلماء ان كل جنس تتفتح طبيعته على السلبية ، وتنأى عن الايجابية ، وتنعدم فيه خصائص المحافظة على بقائه حيث كان ، ويتقبل الاندماج مع واقعية الحياة ، ويذوب في التطور الفكري والحياتي للآخرين دون ان يحفظ نوعيته الجنسية ... الجنس الذي يكون كذلك لا يمكن ان يكون عنصرا متفاعلا مع الحياة ، او ان يكون جنسا مستقلا له خصائصه ومميزاته التي يمكن ان تكون مبررا لبقائه واسهامه في البناء الاجتماعي للمجموعة البشرية ...

والطبيعة العربية في مصر ليست كذلك ، فقد ارتبطت مع ارضها ارتباطا وثيقا ، وعملت على ادماج الجنس مع التطور الواقعي ، ولكنها حفظت خصائص الفرد في عناد ، فلم تقبل ان تذوب شخصيتها المستقلة مع الافضل ، بل فرضت شخصيتها على الغالب ، ولم تفن شخصيتها فيه ، فبالرغم من تعاقب المتقلبين عليها ظلت محتفظة بخصائصها الاصلية (١) .

ان مصر بما ميزها الله به من خصوبة الارض ، وكثرة الخيرات ، وجمال الطبيعة ، واعتدال المناخ ، والمهارة في الفن والعمل والتشييد والبناء ... بسبب هذه المميزات التي أسبغها الله عليها لم تخسل من طمع الطامعين فيها ، ورغبة المستعمرين في أن ينالوا منها ، ويستغلوا خيراتها ، ويسرقوا منها حضارتها ، ويجعلوها دولة تابعة لهم ، أو دائرة في فللكهم ...

---

(١) انظر كتاب « نظرات في الايديولوجية العربية » للاستاذ غالب عبد الرازى - سلسلة كتب قومية .

ولكنها ظلت صامدة في وجوه الغزاة ، رافعة راية العزة والكرامة . ولم يتمكنوا من التأثير فيها ، ولكنها هي التي أثرت فيهم ، ومع أنهم رفعوا رايتهم عليها حينما من الدهر فانهم عجزوا عن التغلب عليها ، وإذا كان المصريون يحكم القوة وفعل الظروف قد آثروا التسليم أحيانا فانهم لم يستسلموا أبدا ، وقد أحسن السيد الرئيس جمال عبد الناصر التعبير عن ذلك اذ يقول : « نحن نسالم ولا نستسلم » .

لم يستطع مستعمر أيا كانت قوته أو سلطانه أو دهاؤه ومكره أن يمكن لنفسه في مصر ، فما يكاد يشعر أنه تمكن حتى يجد نفسه أمام ثورة عارمة سدت عليه منافذ الأمل ، وأرغمته على الفرار من الديار ، والخروج منها يجر وراءه أذيال الخراب والعار ..

لقد تعرضت مصر في أقدم عصورها لغزو الهكسوس أو الرعاة الذين وفدوا اليها من الشرق والذين تضاربت الآراء في أصلهم ومنبتهم . وبما فيهم من جفاء وغلظة تمكنوا من أن يقيموا لأنفسهم حكما في ربوع البلاد المصرية ، وحملوا حكام طيبة على الفرار الى بلاد النوبة ... ولكن مالبث المارد المصري أن هب من غفوته وأذاق هؤلاء المستعمرين صنوفا من التنكيل والتعذيب ، وطردهم من البلاد شر طردة ، برأيت شعب مصر اسمه بذلك في سجل الخلود ، اذ كانت أول دولة في التاريخ هبت لمقاومة المستعمر ، والوقوف في وجه أغراضه ، والحيلولة بينه وبين أهدافه الخبيثة ، لقد كانت تستطيع ان ترحب بهم اخسوة مواطنين ، ولكنها ترفضهم مستعمرين أو فاتحين .

وكما قضت على الهكسوس في أيام أحمر الأول والثاني والثالث وقفت كذلك في وجه هجوم عنيف قام به حلفاء من شعوب جنوبى أوروبا وجزر البحر الابيض المتوسط أيام رمسيس الثالث في الأسرة العشرين ، وتمكن الشعب المصرى من مقاومة هذا العدوان والقضاء عليه والتخلص من آثاره ...

## تآمر الصليبيين على مصر العربية

يقولون « ان الامور بخواتيمها » يعنون بذلك ان النتائج المترتبة على عمل ما هي التي يعول عليها للحكم على مدى ما احرزه هذا العمل من نجاح أو اخفاق . والحروب الصليبية التي حشد لها المستعمرون الغربيون ماوسعهم من جنود واسلحة وأمتعة ، واشترك فيها الملوك والأمراء بأنفسهم ليرفعوا من الروح المعنوية في نفوس جنودهم ، وثأبروا على ذلك عدة قرون ... هذه الحروب التي خاضها الاستعمار بضراوة واستماتة قد منيت بالهزيمة المنكرة والاخفاق المزرى بعد الجهود الجبارة التي بذلها الدخلاء وصنائعهم ، وانتهت بطرد الصليبيين طردا تاما من الشام ومصر ، وبعودة الأرض الطيبة الى أصحابها .

تلك الهزيمة الشنعاء التي منى بها المستعمرون الصليبيون قد تكون لها أسباب متعددة ، ولكن مهما تعددت تلك الأسباب فيجب ألا يعزب عن بالنا أن من بينها سببا رئيسيا هو وعى الشعب العربى ، ذلك الوعى الذى سما على كل أساليب الدس والوقيعه والتفرقة التى جهد الغربيون الطامعون فى نشرها بين ربوع الوطن العربى المستهدف للاخطار ... نعم ان الصليبيين نجحوا احيانا فى احداث ثغرات فى الصف العربى ، وتمكنوا من التفرقة بين الاخوة بأن خوفوا بعض الحكام من بعض ، وأثاروا بعضهم على بعض ، غير أن ذلك لم يستطع الثبات أمام ايمان العرب بوحدة الهدف ، لأنها وحدة تستمد كيانها من شعور الايمان بالله ، ومن شعور الايمان بالحق .

أفقد 'مستطاع الصليبيون مثلا اغراء الصالح اسماعيل صاحب دمشق  
بالانضمام اليهم ، وخوفوه من اخوته المصريين ، وما زالوا به حتى تأمر  
معيهم على غزو مصر ( ١٢٤٠ - ١٢٢٤ م ) واعد جيشا من أهل الشام وسار  
به مع جيش الصليبيين ليغزوا أرض النيل ، ولكن حدثت المفاجأة التي  
أذهلت هذا الحاكم الخائن ، وأذهلت الصليبيين الذين استدرجوه ، ذلك  
أن جيش العربى الشامى لم تكده تلوح له غزوة ، ولم يكده يرى أمامه  
أخوته من الجيش العربى المصرى حتى انفض من حول هذا الحاكم الخائن  
لعرويته وانضم الى الجيش العربى المكافح عن حرية الوطن ، والمدافع عن  
الأرض الحرام . . وانسأقت عساكر الشام الى عساكر مصر طائفة ، ومالوا  
جميعا على الفرنج فهزموهم . ( ١ ) .

ولعلك ترى فى هذا الحادث ملامح مما جرى ويجرى الآن فى اليمن  
اذ يقوم بعض الحكام الذين باعوا أنفسهم للشيطان كحاكم بيحان بارسال  
بعض قواتهم لضرب التوار ، الأحرار الذين يجاهدون فى سبيل حق  
النسب اليمنى العربى فى الحرية والكرامة ، ولكن تلك القوات التى  
برسلها حليف الشيطان تآبى ان تضرب اخاها العربى الحر ، بل تنضم  
ليه . وتؤازره ، وتكون له لا عليه .

ان السبب العربى فى مصر ، والشعوب العربية فى كل مكان - ( اذا  
استثنينا بعض ذوى النفوس المريضة من طبقة الحكام ) - هذه الشعوب  
العربية كانت تسير دائما فى تيار الوحدة ، وكما يهدأ التيار حينما ،  
ويشتد أحيانا بفعل تقلبات بلو ، كذلك تبدو تلك الوحدة عبر التاريخ  
فائرة حينما وتنشيطة أحيانا ، وسواء أكان هذا التيار نابعا من الفرات  
وممتدا الى النيل كما حدث خلال القرن الثانى عشر ، أم كان نابعا من  
النيل وممتدا الى الفرات كما هو الواقع الآن فالنقى يعطينا هو أن الوحدة  
مانلة فى الأذهان . ونابعة من قلب الوطن العربى . وليست نزوة طارئة ،  
ولا سبيحا مدخولا أو مفروضا على العرب فى حلف أو معاهدة لا تبغى إلا  
خدمة اغراض الأجنبى وتنفيذ مشروعاته الخبيثة ، وكل وحدة تنبع من  
الضمير . وتنبثق من واقع حياة البلاد لابد أن تنتصر ، وتحقق أهدافها  
مهما تكن العقبات التى تعترض سبيلها .

ان فى الحروب الصليبية لعبرة أى عبرة ، وان فيها لدرسا أى درس .

١٠ ، كتاب ، السلوك لمعرفة الملوك ، للمعريزى ، و « النجوم الزاهرة » لابن نجرى يردى .



فيها عبرة لبعض المارقين من أبناء الشعب العربي ممن يشترون الضلالة بالهدى ، والعذاب بالمغفرة ، ويبيعون أنفسهم لعدوهم وعدو وطنهم ، وفيها درس لمن تستذلهم شهوات السيطرة ، وتخويهم مظاهر القوة فيسيطرون على غيرهم ، ويحسبون انهم أولو قوة وبأس شديد ، وانهم بقوتهم وبأسهم سينتصرون ، ثم لا يلبثون أن يجدوا أنفسهم قد خدعوا وغلبوا . وما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون . . .

ومكان العبرة ، وموضع الدرس في الحروب الصليبية . . هو ذلك التوافق الشديد بين أجزاء الوطن العربي الكبير ، وتلك الاستجابة السريعة التي أحس بها كل عضو من أعضاء ذلك الجسد نحو الأعضاء الأخرى فيه ، فلم تكد جيوش الصليبيين تستقر في الشام حتى خرجت جيوش العراق لمنازلة هؤلاء الغزاة المعتدين ، ولم يكد . . . الصليبيون يتحركون صوب مصر حتى نرى جيوش الشام تسارع الى النود عنها . . . ثم نرى صلاح الدين الأيوبي حين ثبتت أقدامه في مصر قد عمد الى تسخير جميع مواردها وطاقاتها لطرد الصليبيين من الشام . ولما تحرك أرنأط حاكم الكرك في البحر الأحمر يقصد تهديد مكة المكرمة وبيت الله الحرام فيها شيدت السفن في مصر ، وحملت أجزاء على ظهور الجمال الى البحر الأحمر لدرء الخطر عن الأرض المطهرة ، ولما جاءت الى القاهرة أخبار تفيد ان لويس التاسع عشر ملك فرنسا قد نزل سنة ١٥٧٠ على رأس جيش لاحتلال تونس اتخذت في مصر اجراءات سريعة لدفع عادية البغاة (١) .

ليس هذا الذي حدث في أثناء الحروب الصليبية دليلا قويا واضحا على أصالة الوحدة بين الشعوب العربية في كل مكان ؟ اليس هذا دليلا على أن الشعب العربي كله يحس باحساس واحد ، ويتحرك نحو هدف واحد ؟ . . ان في ذلك آيات لقوم يعقلون . .

عند مجيء الحملة الصليبية الأولى الى الشام سنة ١٠٩٧ . كانت مصر دولة ضعيفة تحكمها خلافة منحلة ، ولا تشكل خطرا كبيرا على الصليبيين ، ولكنها بسرعة تحولت منذ سنة ١١٦٨ الى مركز للمقاومة الإسلامية في الشرق الأدنى ضد الخطر الصليبي ، وصارت القلعة المنيعه التي خرجت منها جيوش الأيوبيين للقضاء على ذلك الخطر ، والمخزن الكبير الذي أمد زعماء حركة الجهاد بالموارد البشرية والمالية الضخمة اللازمة

(١) انظر كتاب « الحركة الصليبية » للدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور الجزء الأول .

لتنفيذ مشروعاتهم ضد الصليبيين ، والقلة الحصينة التي نفذت منها  
جيوش الأيوبيين ثم الممالك لتتقضى في النهاية على البناء الذي أقامه  
الصليبيون وسط محيط إسلامي واسع غريب عنهم، وهم دخلاء عليه «(١)  
وإذا تأملنا وضع إسرائيل اليوم حق لنا أن نقول ٠٠ ما أشبه الليلة  
بالبارحة ، وإذا كانت المقدمات المتشابهة توصل إلى نتائج متشابهة ، جاز  
لنا أن نقول : ان غدا لناظره قريب .

---

(١) انظر كتاب الحركة الصليبية للدكتور سعيد عيد الفتح عاشور - الجزء الثاني .  
(٢) انظر كتاب الحركة الصليبية للدكتور سعيد عيد الفتح عاشور ص ١١١٢ وما بعدها .

## درس فى الوحدة العربية

### من الغزو التتارى ..

كان الغزو التتارى نكبة كبرى على العالم العربى خاصة، وعلى العالم الاسلامى عامة ، .. كان نكبة على العلم والادب والفن ، راحت ضحية له مكتبة بغداد التى كانت أغنى مكتبة فى العالم بذخائر الكتب من علمية وأدبية وفلسفية : الكتب التى حفل العصر العباسى بتأليفها وترجمتها ، والتى قيل فى بعضها أن المأمون كان يرسل الوفود لجمع ذخائر كتب اليونان والرومان ويعطى كل مترجم مجيد وزن كتابه ذهباً .. هذه المكتبة قضى عليها حرقاً واغراقاً .

هذا الغزو البربرى على ما فيه من شرور كان مظهراً من مظاهر الوحدة العربية ، وآية من آيات القومية العربية ، ونحن هنا نعرض صفيحة من تاريخ هذه الحرب نستخلصها مما كتب الدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور (١) .

قدم هولاكو التتارى الى غربى آسيا لفتح غرب ايران والشام ومصر ، وبلاد الروم وكان متزوجاً من سيدة مسيحية نسطورية متعصبة وذات نفوذ عليه ، وأمه كانت كذلك نسطورية لهذا كان متعصباً للمسيحيين من نساطرة ويعاقبة وأرمن ، وكان شديد الوطأة على المسلمين عامة ، والعرب منهم خاصة ، وأوقع الهزيمة بكل من قصد اليه من حكام البلاد ،

---

(١) كتاب « الحركة الصليبية » .

وطلب من الخليفة المتعصم بالله العباسي ( ١٢٤٢ - ١٢٥٨ م ) الاعتراف بسيادة المغول قايى ، ولهذا أعلن هولاكو الحرب عليه .

وفي نوفمبر سنة ١٢٥٧ بدأ غزو المغول للعراق ، وفي سنة ١٢٥٨ التقت الجيوش المغولية بجيش الخليفة العباسي شرقى بغداد ، وتمت الغلبة الساحقة للمغول اذ فر الخليفة العباسي وجيشه فكان المغول أسرع اليهم من نزارهم، ففتكوا بالجيش وقتلوا الخليفة وكما يقول أبو القداء دام القتل والنهب فى بغداد نحو أربعين يوما، وبعد أن فرغوا من نهب المدينة أشعلوا فيها النار ، وكان من أقدح ما نكبت به بغداد ضياع مكتبتها التى كانت أغنى مكتبة فى العالم بذخائر الآداب والعلوم والفنون ، واستطيرت قلوب حكام مختلف بلاد الشرق العربى ، وتساقطوا بين يدى هولاكو فى فزع يعطون له ولاءهم وخضوعهم ، ويرحبون به ، مكرهين ، فى بلادهم .  
وحيثما حل فى مكان أشاع القتل والسلب والنهب فى الرعايا المسلمين دون المسيحيين من النساطرة واليعاقبة والأرمن ، أما المسيحيون من غير هؤلاء فكان نصيبهم نصيب المسلمين .

سقطت فى يده بغداد التى طالما قاومت البيزنطيين فى القرن العاشر، وصمدت للصليبيين فى القرن الثانى عشر ، ولكنها تهاوت أمام المغول .

أخذت حصون الشام تستسلم حصنا فى اثر حصن ، وفر ملك دمشق ، وخرج وقد من أعيانها وقابلوا هولاكو وسلموه مفاتيح أبواب المدينة ، وحملوا اليه أنواع التحف والهدايا ، وبذلك استطاع المغول فتح بلاد الشام الاسلامية فى أسابيع . ولم يبق خارج حكمهم فى الجانب الشرقى الا الديار المصرية ، والحجاز ، واليمن . (١) .

وقام هولاكو وهو فى بلاد الشام بإرسال انذار الى السلطان قطز فى مصر يطلب منه الاستسلام ، ويقول له فى رسالته : « . . . وقد سمعتم أننا فتحنا البلاد ، وطهرنا الأرض من الفساد ، وقتلنا معظم العباد . فعليكم بالهرب وعلينا الطلب . فأى أرض تؤويكم ؟ وأى طريق ينجيكم ؟ وأى بلاد تحميكم ؟ فما من سيوفنا خلاص ، ولا من مهابتنا مناص . . . » (٢) .

استقر رأى الماليك على المقاومة فقتلوا رسل هولاكو ، وعلقوا رؤوسهم على باب زويلة، ووصل المغول فى غاراتهم الى غزة والخليل فقتلوا وأسروا ، وسلبوا . . .

(١) « النجوم الزاهرة » الجزء السابع .

(٢) انظر كتاب « السلوك لمعرفة دول الملوك » للمقريزى .

وفي أواخر يولييه سنة ١٢٦٠ كان السلطان قطز قد أتم استعداداته  
• فتحركت قواته الى غزة بقيادة الأمير بيبرس البندقدارى ، وقد تمكن  
من دخول غزة والسيطرة عليها •

أحدث هذا الانتصار المبدئي رد فعل عند العرب في كافة المدن  
الشامية التي خضعت للمغول وعملائهم من النساطرة واليعاقبة والأرمن  
فثاروا ضد المغتصبين والعملاء ، وهجموا على دورهم ونهبوها • ولكن  
« قطز » أمن الصليبيين وسالمهم ، وسار حتى التقى بالمغول عند قرية « عين  
جالوت » وفي الثالث من سبتمبر سنة ١٢٦٠ دارت المعركة الحالدة التي  
أثبتت اثباتاً قاطعاً أن مصر قلب العروبة النابض ، وحارس حرية الوطن  
العربي اليقظ •

ويروى المقرئى أن جيش قطز قد اضطرب في أول المعركة ، وإذا  
قطز يلقي بخوذته عن رأسه ، ويصرخ بأعلى صوته « وا اسلاماء » ثم حمل  
بنفسه على العدو ... وبذلك تم القضاء على المغول ، وولوا الأدبار بغير  
نظام (١) •

ان المغول لو أنهم تمكنوا من مصر لانسابوا الى المغرب ، وإلى غرب  
أوربا ، ولقضوا على معالم الحضارة في كل مكان يقع تحت وطأتهم كما  
فعلوا في بغداد ، ولكن مصر وقت الوطن العربي ، ووقت العالم الاسلامي ،  
ووقت الحضارة الانسانية كلها من هؤلاء المعتدين • ان في ذلك لذكرى  
لمن كان له قلب ، أو لقي السمع وهو شهيد •

---

(١) كتاب « السجوم الزاهرة » وانظر كتاب « ارض المجد » للاستاذ احمد يوسف •

## مكانة مصر العلمية قديما

كما اثبتت مصر جلدا ، وصلابة ، وقوة هزيمة في الحروب اثبتت أيضا مكانتها العلمية بما كان لها من قوة في ميادين العلم والعرفان تصدرت بها العالم واثبتت بها وجودها التاريخي . لقد كان للعبقريّة المصرية القديمة آثار مشهودة تنطق بها تلك الآثار الخالدة المنبثة في ربوع الوادي ، وفي أغلب عواصم العالم .

ألم تزر مقبرة أو معبدا من مقابر أو معابد قدماء المصريين ؟ ان لم تكن قد فعلت فاسأل من زارها يحدثك عن الألوان الباهرة التي تمت بها نفوشها ، وكيف تبدو وكأنها نزل عنها الطلاء لتوه على رغم آلاف السنين التي عاشتها ؟ أليس ذلك يدل على مبلغ ما وصلوا اليه من دراية علمية وفنية ؟

وتلك الاجساد المحنطة التي اعجزت البلى آلاف السنين أليست دليلا على مبلغ ماوصلوا اليه من براعة في الطب والكيمياء ؟

ألا يكفي لظهار مكانتها العلمية قديما أنها أول بلد في العالم عرف نظام الجامعات فأقامت جامعة عين شمس منذ أكثر من مستة آلاف عام ، وكان مقرها عين شمس أو «أون» كما كانت تسمى في المصرية القديمة (١) ثم ألم يتحدث التاريخ عن أن هذه الجامعة قد أمها طلاب العلم من كافة أنحاء العالم ، فأفاد منها الاغريق واستمدوا منها قواعد الفلسفة التي

(١) انظر كتاب « على هامش التاريخ المصري القديم » لعبد القادر حمزة .



عرفوا بها ولقد كانت هذه الجامعة ملحقة بمعبد الشمس الذي بقيت من آثاره ، المسلة ، القائمة الآن بضاحية المطرية ، والتي تعرف باسم مسلة فرعون .

وفيل ميلاد المسيح بنحو خمسة قرون أنشئت جامعة أخرى هي جامعة الاسكندرية وكان الراغب في الالتحاق بهذه الجامعة أو تلك يجب أن يجتاز امتحانا عسيرا لمعرفة مدى قدرته وكفايته، ولا بد من هذا الامتحان أيا كان شأن المتقدم ، وأيا كانت شهرته العلمية ، حتى فيثاغورس « أشهر واضعي قواعد الرياضة » لم يستثن من هذا الامتحان على رغم ما عرف عنه من البراعة وسعة العلم . وكان ممن وفدوا اليها وتعلموا على أساتذتها الفيلسوف اليوناني « أفلاطون » ولم يغادرها الا بعد أن نشبت حرب كورنثية بين اسبرطة وأثينا سنة ١٣٩٥ ق م وناصر « نفريثس » ملك مصر السفلى اسبرطة ضد أثينا وكان علماء مصر يومئذ موضع كل تكريم وتقدير ، اعترف لهم بالفضل كل قاص ودان .

وكما كانت مصر سابقة في انشاء الجامعات كانت سباقة كذلك الى انشاء المكتبات العامة ، فأنشأت أول مكتبة سجلها تاريخ العالم ، وهي مكتبة مصر بجماعة عين شمس وكان يتردد عليها الراغبون في الاستزادة من العلم ، وتلاها انشاء مكتبة الاسكندرية التي أحرقت وتجنى مؤرخو الغرب المعادون للعرب على عمرو بن العاص فنسبوا الحريق اليه وهو منه براء كما أثبت المنصفون من العلماء والمحققين .

لقد سبق المصريون غيرهم الى معرفة كثير من العلوم والفنون ، واكتسب أسرارها نظرية كانت أم علمية ، وهم أول شعب عرف التقويم واستخدمه (١) ، واتقنوا الطب والفلك ، وبرعوا في الجراحة والكيمياء ، والصيدلة . وكشفوا عن المعادن وجلبوها من شتى البلاد واحسنوا تصنيعها والانتفاع بها . واهتموا الى التوحيد ، والى الايمان بالآخرة ، وأوصوا بالأخلاق الحميدة والسلوك الطيب في الحياة .

وخبت جذوة النشاط العلمي في ظل الاحتلال الروماني ، ولكن ظلت لمصر خصائصها حتى تسلمها الفتح الاسلامي ، فسارت في الركب العربي الصريح ، فلما سقطت بغداد في يد التتار وسقطت الأندلس في يد الاسبانيين لم يجد علماء هذين الوطنين ملجأ لهم الا مصر فاقبلوا اليها مهاجرين ، وأفسحت لهم صدرها ، ورحب بهم علمساؤها وأخذوا

(١) انظر كتاب « على هامش التاريخ المصري » لعبد القادر حمزة - المرجع السابق .

يعملون على تعويض الكتب التي ضاعت هنا وهناك فعكفوا على التأليف ،  
وأنتجوا كثيرا من أمهات الكتب الادبية والعلمية والتاريخية مما تزخر به  
المكتبة العربية اليوم .

لقد كانت مصر ، وما زالت ، مكان هجرة للعلماء والمصلحين  
المضطهدين من كل بلد عربي كابن خلدون في العصور المتوسطة ، والسيد  
عبد الرحمن الكواكبي ، والسيد جمال الدين الافغاني في العصور الحديثة .  
وانك لتري في الاسكندرية أسماء خالدة لكثيرين من أبناء المغرب العربي  
الذين وفدوا الى مصر وخلت أسماؤهم فيها مثل : سيدي جابر ، وسيدي  
بشر ، وسيدي المرسي أبو العباس ، . وما أكثر من لجثوا اليها في العصر  
الحديث فأوسعت لهم صدرها ، ووفرت لهم امكانيات العيش فيها ، واعانتهم  
على مواصلة الكفاح لصالح أوطانهم ومواطنيهم ، لا غاية لها من ذلك الا  
القيام بواجبها كقلب للعروبة .

## التقدم العمراني في مصر قديما

التقدم العمراني في البلاد المصرية قديما ليس في حاجة الى دليل يثبتته ، أو برهان يؤيده ، وكفى أن نتأمل ما دار وما يدور الآن في أكثر عواصم العالم من دعوة حارة للاسهام في انقاذ آثار النوبة الخالدة التي أصبحت تهددها مياه السد العالي ، ولولا مدلولها التاريخي العظيم ولولا شعور العالم بمدى فداحة الخسارة بفقدانها . . . لولا هذا وذلك ما حفل علماء الآثار ورواد الثقافة في كل بقعة من بقاع العالم بها . وان العالم اذ يقدم في سبيل انقاذها عشرات الملايين ليدل على أنها شيء يعتبر فقده خسارة لا يمكن تعويضها ، وان مئات الملايين من الجنيهات تتدفق على مصر من أيدي السائحين الذين يفدون للاستمتاع برؤية ما خلف قدامى المصريين هذا الى أن علماء الآثار ما زالوا حتى اليوم يكشفون بين حين وآخر عن أثر جديد من الآثار المذهلة .

والقدامى والمحدثون يقولون ان عجائب الدنيا سبع هي : أهرام الجيزة ، والحدائق المعلقة فوق أسوار بابل ، وتمثال الاله زيوس ، وتمثال الشمس في رودس ، ومعبد ديانا في أفسسوس ، وضريح الملكة أرتاميسيا ، ومنار الاسكندرية (١) وهناك من يجعل من العجائب السبع برج بيزا المائل . . . وأيا كان عدد هذه العجائب فان من بينها أعجوبتين في مصر وحدها هما . منار الاسكندرية التي أنشئ سنة ٢٧٠ قبل الميلاد وظل

---

(١) تقول « دائرة جغرافيا الشعب » في العدد ٤٣ صفحة ٩٥ « ولم يبق من هذه العجائب السبع سوى الأهرام » .

قائما قرابة ١٥٠٠ عام ، والاهرام التى تحلت الزمن ، وقاومت الفناء •

لم يأخذ الليل منها والنهار سوى

ما يأخذ النمل من أركان بهلان (١)

### لنتقنم الزراعى :

ان أقدم مؤرخ طاف ودون تاريخا هو هيرودوت المعروف باسم « أبى التاريخ » وحين تحدث عن مصر قال انها « هبة النيل » ولم يقل ذلك عبثا ، ولكن قاله لما وجده فى أرضها من جنات واعناب ، وزرع ، ونخيل ، وأشجار طلوعها كريم ، ولم يكن قد رأى أخصب أرضا ، ولا أنضر زرعاً ، ولا أكثر تفننا فى الزراعة مما رأى فى مصر •

لقد عرفت مصر الزراعة منذ جرى فيها نهر النيل ، ومنذ عاش فوقها الانسان ، وهى من أقدم الدول عراقة فى الزراعة عاشت لها ، وافتنت فيها •

وفلاسو مصر يعتبرون أقدم من استخدم المحاريث وآلات الري ، وأول من حفر القنوات •

ويقول المؤرخون ان هذه الخطوة كانت هى الأولى التى هيات للمدنية ان تظهر على وجه الارض • فالمدينة لم تطرأ على مصر ، أو لم تفد اليها من الخارج ولكنها بنت النيل وبنت مصر (٢) •

وتقدم الزراعة يصاحبه عادة تقدم تجارى واقتصادى ، اذ ان تقدم الزراعة يقتضى تصريف الفائض ، وتبادل السلع ، وابتداع العملة ، ونشوء الاسواق ، وقيام المدن التجارية • وحيث تتقدم الزراعة وتروج التجارة تقوم الصناعة ، وكل ذلك هو عناصر التقدم الاقتصادى الذى عاشته مصر من أقدم عصورها (٣) •

ان مصر ان لم تكن أقدم دول العالم حضارة وعمرانا ، فهى من أقدمها ، يصل عمرها الى ما يقرب من عشرة آلاف عام فى الحضارة والمدنية ، بل ان بعض المؤرخين يرجع بتاريخ حضارتها الى ما فوق عشرين ألف عام (٤) ، وكان يطلق عليها قديما اسم « كِت » أى الأرض

(١) اسم جبل شامخ صخرى الحجارة ، والبيت للناس اسماعيل صبرى •

(٢) انظر كتاب « على هامش التاريخ المصرى القديم » لمبد القادر حمزة •

(٣) انظر كتاب « مصر الخالدة » لحسن جوهر •

(٤) انظر كتاب « مصر الخالدة » لأحمد يوسف وذكى سعد •

السوداء (١) لان أرضها يغطيها الطمي الاسود الذي يجلبه النيل فيكسب الارض خصوبة وقوة ونماء .

ويروي المؤرخون أن شبه الجزيرة العربية كان في زمن معين في القدم أرضا خصبة ذات زروع ، وذات نماء ، وكانت مياها كثيرة ، وغاباتها كثيفة ، وخيراتها وفيرة . ثم شاء الله لهذا العصر الذهبي أن يتحول من حال الى حال . فكما يقال ان قارة بأكملها غمرها المحيط الهادى ، واستقرت فى قاعه ، يقال كذلك شبه الجزيرة العربية كان خصبا منذ عشرة آلاف عام قبل الميلاد ، ثم انحس الماطر ، وانحسر ماء البحر حتى ضاق الخليج العربى الذى كان يمتد فى جوف الجزيرة الى مدى بعيد ، ويقدر علماء طبقات الارض أن مستوى سطح الماء قد هبط فى شبه الجزيرة زهاء سبعة وعشرين قدما خلال ألفى عام ، وكان من آثار ذلك أن تحولت التربة الزراعية الى رمال وتراب ، ثم الى صحراء . وعندئذ هاجرت القبائل التى كانت هناك الى حيث تجد الحصب وتطيب الحياة ، ويروي أن كثيرين منهم قدموا الى مصر ، ومنهم - على قول بعض المؤرخين - الهكسوس أو الرعاة . وهناك مؤرخون آخرون يقولون ان الهكسوس من الفينيقيين . والفينيقيون أصلهم من العرب . ومن الامتزاج بين العرب المهاجرين وبين المصريين الاول نشأت الحضارة الفرعونية التى خلدها التاريخ (٢) . وكذلك يقال ان هجرة العرب هى التى أنشأت الحضارة البابلية والحضارة الآشورية (٣) وتلك الهجرة أيضا هى التى أنشأت الكنعانيين والفينيقيين فى سورية وسواحل البحر الأبيض الشرقية . وتوالت هجرات هؤلاء وأولئك الى مصر واندمجوا فى أهلها ، وأصبحوا جميعا شعبا واحدا هو شعب مصر .

واذن فالدم المصرى قد امتزج بالدم العربى منذ أقدم العصور ونتج عن ذلك الامتزاج شعب عريق ذو خصائص مميزة .

---

(١) انظر كتاب أروض المجد الزكى سعد وأحمد يوسف .

(٢) انظر كتاب « دراسات للقومية العربية » لمحمد حريك - سلسلة كتب هومية رقم ٧٨ .

(٣) انظر الطبرى وابن خلدون .

## شهرة مصر وعلاقتها مع الدول قديما

مصر وقد حباها الله كل عناصر الثروة والغنى ، وهيا أبناءها للعلم والفن كان لابد لها أن تنال شهرة واسعة ، ويتردد اسمها في كل مكان وترنو اليها كل عين ، ويجد في ربوعها كل مغامر وكل جواب راحة نفسه وهوى فؤاده . وقد كرمها الله سبحانه فجعلها مثابة لكثير من الانبياء والمفكرين ، فيها درس فيثاغورس ، وتعلم أفلاطون ، واليها قدم من الانبياء والرسل كثيرون منهم : ادريس النبي الذي وصف بأنه كان أول مرتاد للطب في العالم ، وفيهم ابراهيم الخليل ، وابنه اسماعيل أبو العرب جميعا ، ومنهم يعقوب ويوسف والاسباط الاثنا عشر ، ومنهم نوط ، وموسى ، وهرون ، ودانيال ، وارميا ، والمسيح عيسى بن مريم عليه السلام (١) .

وقد عقدت مصر من قديم الزمان أواصر الصداقة مع جيرانها ، وتذكر كتب التنظيم الدولي والقانون الدولي ان أول معاهدة سياسية مكتوبة سجلها التاريخ كانت بين رمسيس الثاني والملك حتسولس الثالث ملك الحيثيين .

وكان لجودة تربتها ، وخصوبة عقول أبنائها ، وسماحة نفوسهم أثر في اقبال كثير من التجار والوفود والعلماء والحكماء عليها ، واقامتهم فيها ، واختلاطهم بأهلها ، والاصهار اليهم . وكثير من المضطهدين والمظلومين والمجاهدين فروا اليها فوجدوا فيها الملجأ الامين . وهنالك

---

(١) « حسن المحاضرة في اخبار مصر والقاهرة » للسيوطي .

آخرون ضاقت في وجوههم سبيل الحياة ، أو جفت لديهم وسائل الرزق فوجدوا فيها العيش الرغيد ، والرزق الوفير ، وإذا شئنا دليلا على ذلك وجدنا في التواريخ المقدسة دليلا على دليل ، وحسبنا في هذا المقام قصة يوسف ، وقصة السيدة مريم وابنها المسيح عليهم السلام .

قدم يوسف الى مصر صبييا رقيقا « وقال الذي اشتراه من مصر لادرائه اكرهى مثواه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا (١) » وبعد أن تنبأ يوسف بسنوات قحط مقبلة تأويلا لرؤيا رآها الملك قال للملك « اجعلني على خزائن الارض اني حفيظ عليم (٢) » وجعله على خزائن مصر التي هي خزائن الارض ، وأصاب أرض آبائه واخوته ، ولم يجلسوا مصدرا للقوت الا مصر « وجاء اخوة يوسف فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون . ولما جهزهم بجهازهم قال ائتوني باخ لكم من أبيكم ، ألا ترون أني أوفى الكيل ، وأنا خير المنزلين (٣) » وهكذا جاء أبناء يعقوب الى مصر ، وطابت لهم الحياة فيها .

ومريم ابنة عمران حينما أحست بالحمل وهي عذراء خلعت ولزعت وانتبذت مكانا قصيا فلما أجامها المخاض ولدت المسيح عيسى بن مريم ثار عليها اليهود وقذفوها بشر التهم وقالوا فيما قالوا : « يا أخت هارون ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغيا (٤) » فصمتت في حزن وألم ، وأنطقه الله وهو صبي في مهد ليكون كلامه معجزة تقنعهم ونسكتهم ، ولكن اليهود - مع انهم كانوا يترقبون مولده - ظلوا متعنتين ، وقد ائتمروا به ليقتلوه فخافت عليه الهلاك وفرت به الى مصر ولكنهم تبعوها ، وكادوا يدركونها لولا أن هيا الله لها عند مدينة الشمس ( عين شمس ) دوحة عظيمة في جذعها كهف أوت اليه ، واختبأت فيه (٥) .

وقد أشار الله الى هذه القصة بقوله في القرآن الكريم « وجعلنا ابن مريم وأمه آية ، وآتيناهما الى ربوة ذات قرار ومعين (٦) » قال سعيد بن المسيب وابن عباس ، ووهب بن منبه وغيرهم : هذه الربوة هي مصر (٧) وقال بعض علماء المصريين هي البهنسا ، والاجماع بين مؤرخي الاقباط

(١) ، (٢) ، (٣) « سورة يوسف » .

(٤) سورة مريم .

(٥) « مصر الثالثة » لحسن بيومر .

(٦) سورة المؤمنون .

(٧) « النجوم الزاهرة » والبهنسا قرية تابعة لمركز بني مزار بمحافظة المنيا .

فى مصر أن المسيح وأمه عليهما السلام كانا فى البهنسا ، وانتقلا منها  
الى القدس (١) .

وقد اثبتت الوثائق القديمة التى عثر عليها المنقبون أن هناك رسائل  
دبلوماسية ، ومعاهدات ترجع الى سنة ١٢٨٠ قبل الميلاد ، وهى أول معاهدة  
وجدت كاملة بين كل ما وصل الينا من العصور القديمة ، وكانت بين  
رئيس الثانى والملك حتسولس الثالث الذى كان يحكم منطقة حاتى ،  
ومتد من سوريا الى تركيا ، وتتضمن المعاهدة حلفا من الاحلاف العسكرية  
كما يعرفها الدبلوماسيون الآن .

---

(١) « السجوم الراهرة » - واليهنسا قرية تابعة لمركز منى مزار بمحافظة المنيا .



## طبيعة الأمة المصرية

لبيعة الأمة المصرية سر من اسرار خلودها ، وسبب من اسباب قوتها لناس لها . ان الطبيعة المصرية ذات سمة خاصة يصعب التأثير او التحول عنها . ومن مظاهر هذه الطبيعة : البساطة ، واليسر ، لمبالغة ، والصبر ، وقوة العزيمة ، والهدوء ، لكنها اذا ثارت فان تكون عارمة لا تقف عند حدود أو سدود ، لأن صبرها لا يكون عن ولكنه عن حلم ، والحكماء يقولون : « اتقوا غضب الحليم » .

اذا كان للاخلاق والطباع صلة بالبيئة التاريخية والجغرافية فالامة ورثت هذه الطبيعة عن حياتها الزراعية ، وعن طول مصاحبتها واعتزازها بانها أمة ذات حظ موفور موروث من الحضارة القديمة حياة مستقرة ، ومعيشة منتظمة ، ولا تلجأ الى الحرب حين تلجأ لأنها ضرورة لا محيص عنها .

وهي لا تطيع حكامها كما يطيع البدوي زعيمه ، وانما هي أمة العقائد والمأثورات ، وأصبح لها من بعض تلك العقائد تراث يوق صيانة المصلحة . فاذا دعاها الحاكم الى حرب لاتعنيها فذلك بس بشائها ، أما اذا أصيبت في عقائدها وموروثاتها أو ظهر الجور لها ومرافقها فهناك يستعصى قيادها ، وهناك تصمد للحرب .

و أخصيت الثورات في تاريخ مصر القريب لما كانت أقل من يرها من الأمم التي اشتهرت بالتمرد ، فقد ثار المصريون على سيين وعلى الترك ، وعلى الانجليز في نحو قرن واحد ، وكان

للموروثات والعقيدة دخل أظهر من دخل المصلحة والمرافق القومية أو الفردية في هذه الثورات .

« وقدم العهد بالمدنية يطبع المصرى بطابع حب الأسرة ، واستقرار النظام البيتي ، ويشور ان تعرض ذلك الاستقرار للضياع .

« والمصرى عملى فى حياته ، كما هو عملى فى النظر الى الحياة ، وهو صابر على العمل والمشقة فقد عودته المواسم الزراعية أن ينتظر كل شىء فى أوانه ، وهو لا يعجل بالشر ، ولا يندفع الى الانتقام ، ولكنه يتأنى حتى تواتيه الفرصة .

« وبراعة الحديث ولطف النادرة ، وحسن المؤانسة ليست بالخصال المستغربة فى أمة قديمة الحضارة عريقة الآداب (١) » .

تلك الصفات فى مجموعها جعلت شعوب العالم تحب شعب مصر من قديم الزمان ، وتحب مصر من أجل شعبها ، ومن أجل ما تميزت به ، وما يدل على أصالة تلك الصفات فيها أنها لم تتأثر بالفاتحين المغلوبين الذين قلبوا عليها ، ولم تسمح لهؤلاء الفاتحين ان يطبعوها بطابعهم ، ولكنها هى التى أثرت فيهم ، وجعلتهم يتخلقون ببعض أخلاق أهلها .

---

(١) من كتاب « سمد زعلول » للأستاذ عباس محمود العقاد .

## الوفادة الى مصر قديما وأسبابها

لمصر علاقات وثيقة مع جيرانها من قديم الزمان ، وتتبادل معهم الرحلات والتجارة والهجرة وطلب العلم . وحين انتصر الهكسوس على ملوكها هاجرت الاسرة الملكية الى بلاد النوبة واستقرت هناك ريثما تتمكن من اعداد جيش تسترد به البلاد ، فلما تم اعداد جيش قوى قدم وطارد الهكسوس حتى طردهم ، وأقام المصريون في بلاد النوبة حضارة واسعة، ونشروا علومها ومعرفة ، وتركوا آثارا رائعة خالدة ، وظلت علاقاتهم مع بلاد النوبة علاقة حب وتقدير وولاء (١) ونزح الى مصر كثير من النوبيين، وعقدوا صفقات تجارية ، وأقاموا علاقات ودية ، وأقاموا في جنوب الوادى .

وكثير من القبائل المقيمة في الاقاليم الشرقية المجاورة نزحت الى مصر حيث ازدهرت التجارة والصناعة ، وأنشئت السفن الكثيرة التى كان طول بعضها يبلغ أحيانا نحو ستين قدما ، ويعمل فى بعضها أكثر من مائة مجدف ، وقد كانت هذه السفن تحمل المصنوعات ومحصول الزراعة من مصر واليها حتى وصلت فى معاملاتها التجارية الى الاناضول (٢) .

وفى عهد « رع » ازدهرت البلاد وأماها الأجانب ، وصارت عاصمتها قبلة للتجارة ، وزخرت ميناؤها بالسفن المهيأة لحمل الصادرات والواردات

---

(١) « كفاح طيبة » لنجيب مطوظ .

(٢) « مصر الخالدة » لحسن جوهر .

وأقيمت فيها دور الصناعة ، وسعى اليها العلماء ، من كل مكان (١) .

وكانت شهرة علماء جامعة ايون « مدينة الشمس » سببا في قدوم طلاب العلم والعلماء الراغبين في الاستزادة من كل مكان ، وقد أطرى هيودوت علماء جامعة عين شمس وذكر أن علماء الاغريق معجبون بأبحاثهم في علم الفلك والهندسة وغيرها .

ويقول العالم الاثرى المؤرخ ماسبيرو ان مدينة « أون » عين شمس ، هي التي اضطلمت من بين المدن المصرية بالقسط الأكبر في ابتداع العلوم ، ووضع أسس المدنية ، وان الصلوات والقصائد التي نظمت في مدح الآلهة وقتها صارت فيما بعد أصولا للكتب المقدسة لدى قدامى المصريين .

ونقل الاستاذ محرم كمال في كتاب « الحكم والامثال عند القدماء المصريين » عن العلامة « رستد » أن القواعد الاساسية التي قامت وستقوم عليها المبادئ الخلقية في الحياة قد اهتمدى اليها في مصر قبل وجود العبرانيين في فلسطين وقبل وجود عصر النبوات هناك بزمن بعيد ، فحضارة مصر اذن حضارة عريقة تمتد في أعماق التاريخ الى زمن سحيق ، فليس عجيبا أن نراها الآن تتزعم حركة السلام العالمى ، وتسير في طليعة الداعين اليه قطالما تزعمت حركات الاصلاح . ووضعت قواعد الرفى البشرى .

هذا العلم الواسع ، وتلك الأخلاق السمحة التي عرف بها المصريون جعلت كثيرا من أبناء البلاد الأخرى يفدون اليها طلبا للعلم ، أو التجارة ، أو للسياسة ، أو للبحث عن وسائل العيش والحياة . ويروى أن يوسف الصديق عليه السلام قال حين استقر به المقام في مصر « اللهم انى غريب فحببها الى والى كل غريب (٢) » ويلوح ان دعوة يوسف قد استجيبت ، فليس يدخلها غريب الا ويعجب بها ، ويتمنى ألا يفارقها ، وان فارقها مكرها بحكم الظروف فانه يحن الى العودة اليها . وكان ذلك من عوامل توثيق الصلات بين مصر وغيرها من البلاد المجاورة التي كانت ترى مصر في ذلك الحين منار اشعاع علمى وثقافى ، فهم يحجون اليها يطلبون في ظلها العلم والمعرفة ، أو ينشدون في ربوعها الأمن والسلام .

وقد أثبت التاريخ أنه كان بين مصر وجاراتها رسائل متبادلة

(١) « مصر الخالدة » المرجع السابق .

(٢) كتاب « حسن الحضرة في أخبار مصر والقاهرة » لجلال الدين السيوطى .

من ذلك رسائل بين حكامها وملوك بابل ، وآسيا الصغرى ، وحكام فلسطين .

وكانت هذه الرسائل تكتب بالخط المسماري البابلي ، أما حكام البلاد الأخرى وملوكها فكانت رسائلهم تسجل على « قوالب من الطوب » وكان بعض هذه الرسائل يطول فيحتاج الى قدر كبير من الطوب الذي ينوء بحمله الرسول القادم من لديهم .

أما ملوك مصر وحكامها فقد كانوا يسجلون رسائلهم على ورق البردى الذي اهتموا اليه ، ولم يهتد الى مثله جيرانهم ، لهذا فان الرسول حين يفد من لديهم يأتى مثقلا بحمل كبير ، ولكنه يعود بالجواب في صورة حمل خفيف يتمثل في ورقة مطوية خفيفة الحمل . كذلك كان الرسول من مصر يخرج منها بحمل خفيف من الرسائل فيعود بحمل ينوء به ظهره ، ويصعب عليه حمله . وقد عثر في خرائب « تل العمارنة » (١) على ألواح من الطين المحروق يرجع تاريخها الى نحو أربعة عشر قرنا قبل الميلاد ، وهذه الألواح تحوى المراسلات الدبلوماسية بين الملك امنحوتب الثالث والد اخناتون والملك اخناتون نفسه وبين ملوك آسيا الغربية والولاة الذين كانوا يحكمون بعض بلاد الامبراطورية المصرية . وقد بقى منها حتى الآن نحو ٣٧٧ رسالة موزعة بين متاحف القاهرة ، ولندن ، وباريس ، وفيينا وهي محررة باللغة البابلية التي كانت لغة المراسلات الدبلوماسية في العالم القديم في ذلك العهد .

وهذا دليل آخر على سبق الحضارة المصرية لغيرها من الحضارات اذ انه في الوقت الذي تمكن فيه المصريون من استخدام الاوراق في الكتابة كان غيرهم من الدول مازال يستعمل الطوب والحجارة في كتاباته ، وقد تأيد هذا بالكشوف التي عثر عليها في سنة ١٨٧٧ في تل العمارنة .

وقد كان هناك اتصال وثيق بين مصر وأهل شمال الجزيرة العربية والعمالة وسكان جزر البحر الابيض المتوسط والليبيين والاثيوبيين والفرس واليونان والرومان والعرب وغيرهم من الامم الاخرى لتبادل شتى أنواع المنافع والخدمات .

من هذا العرض السريع لمصر القديمة يتضح مدى ماكانت تتمتع به من مكانة عظيمة بين الدول مما جعلها قبلة تتجه اليها الانظار ، وأملا تهفو

---

(١) تل العمارنة منطقة أثرية في مركز ملوى محافظة المنيا ، وكان اسمها « أخت أنون » ثم تحولت الى خرائب ، ونزلت فيها قبيلة بنى عمران العربية فسميت « تل العمارنة »

اليها القلوب وخواطر النفوس • وحصننا تأوى اليه الهمم الطامحة ، ويجد  
فى ظله الواقدون كل رعاية وعناية • حتى اذا ما أظلمها الاسلام برايته ،  
وفتحها العرب بقيادة عمرو بن العاص فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله  
عنهما ازدادت مصر مكانة واشراقا ، وأصبحت مصر العربية درة فى جبين  
العروبة ، ولم تتوان فى أداء رسالتها التى وهبت لها نفسها ، واستطاعت  
أن تحقق على مدى الأيام أهدافا سامية عادت على الانسانية جميعا بأعظم  
الفوائد ، وسارت فى طريق الحياة العزيزة مشرقة بسامة ترفع فى يمينها  
لواء الثقافة والمعرفة والالهام ، وتمتد يدها الى المتعثر فى طريقه والمغشى  
على بصره ، والمعلق عن قصده ، وبذلك أصبحت - عن جدارة - قلعة  
الأبطال ، وكعبة الأحرار ، وقبلة الثوار ، وقاعدة الحرية • • والاستقلال •

## الفتح العربى وآثاره فى مصر

كانت مصر قبل الاسلام ولاية رومانية ، تم خضوعها لسلطانهم عقب موقعة « اكتيوم » فى عهد الملكة كيلوباترة سنة ٣٠ قبل الميلاد . وعانت مصر فى عهدهم كثيرا من ضروب الذل والهوان لانهم كانوا يتقنون أساليب الاستغلال ، ويتفنون فى استنزاف موارد البلاد ، فى عهدهم ذاق المصريون ألم الجوع والحرب ، وزاد الرومان امعانا فى ظلمهم واستغلالهم بعد أن دخل المصريون فى المسيحية ، وصبروا على ما أصابهم حتى نفد صبرهم ، وثاروا ثورة عارمة بقيادة القديس جرجس « مارى جرجس » وحدثت مقتللة الشهداء التى راح فيها آلاف مؤلفة من المصريين فى طليعتهم رجال الدين ، واعتبرت هذه الموقعة مبدءا للتاريخ القبطى المعروف الآن . ولم تثمر تلك الثورة الا الضحايا التى بذلت ، والارواح التى صعدت الى ربها تشكو ظلم الانسان المستعمر لأخيه الانسان . ولم يجد المصريون سبيلا للخلاص من ظلم الرومان غير الفرار الى المعابد والاديرة التى أقاموها فى اطراف البلاد . فتلك الاديرة الاثرية النائية ، والرهينة التى سادت وقتئذ انما كان سببها الأكبر هو طغيان الرومان .

وكان الله قد اراد أن يمهّد للفتح العربى ، فقد كانت أخبار الدين الجديد وأخبار مبادئه السمحة قد وصلت الى مصر ، وكان كتاب النبى عليه السلام الى المقوقس عظيم القبط فى مصر ، والرد المهذب الذى بعث به المقوقس مصحوبا بالهدايا الكريمة . . كان كل ذلك مهينا للطريق أمام العرب القادمين .

لقد عرف المصريون أن مبادئ اخوانهم العرب المسلمين تقوم على العدالة والمساواة . والأخذ بيد الضعيف ، وعلم الاكراه في الدين ، والعمل على اقامة مجتمع سليم تسوده المحبة والاخاء والرحمة ، لهذا فحين قدم اليهم عمرو بن العاص على رأس جيش المسلمين سنة ١٨ من الهجرة وجد نفوسهم مستعدة لقبول دعوته . ولم يجد منهم مقاومة تذكر ، ولكن المقاومة المستميتة كانت من جانب جيوش الرومان التي تصمدت له عند الفرما ثم عند نابليون ، ثم في الاسكندرية ، ولكنه تغلب عليهم ، وتمكن من طردهم ، ولو أن المصريين ساندوا الروم ، أو قاوموا العرب لكان للفتح صورة غير الصورة التي تم بها .

واقبل العرب الى مصر أفواجا كثيرة ، ووجدوا في ربوعها حياة كريمة بين اخوة فتحوا لهم قلوبهم ، وأنسوا اليهم ، وأحبوهم ، وأقبلوا يقيمون معهم علاقات أخوة ومصاهرة ، واختلط الجنسسان المصري والعربي اختلاطا أدى الى الامتزاج الشديد الذي نشأ عنه شعب واحد هو الشعب العربي ، يسعى في سبيل نصرته العروية ورفع شأنها .

ومنذ ذلك التاريخ لم يعد من الممكن أن تنفصل مصر عن الشعوب العربية أو تقف بمعزل عن مجريات الامور والحوادث في الوطن العربي بعد أن أصبحت منه بمنابة القلب النابض ، واللسان الفصيح المنحدرت باسمه في سنى المناسبات .

لقد كان للفتح العربي أثره الكبير في توطيد دعائم الثقافة العربية في مصر التي كان لديها الاستعداد الفطري للثقافة ، وقد كانت تملك أقدم قوة موجهة في التاريخ ، وهي قوة العلم والحضارة ، ومن ربوعها انبثقت شعلة العرفان التي أضاءت العالم وانتشرت في مختلف الربوع والوديان . فما أن رأت الطريق أمامها مهذا حتى سلكته وما أن وجدت الفرصة سانحة لأن تثبت وجودها من جديد حتى انتهرت هذه الفرصة ، وأقبلت على الثقافة العربية ترتوى من معينها وتهضمها وتبينها .

وقد كان لمبادئ الاسلام كما سبق ، وللمعاملة الكريمة الطيبة ، والاسوة الحسنة التي سار عليها المسلمون الأول أثر كبير في اقبال المصريين على اعتناق الاسلام منذ ما قبل الفتح الاسلامي الرسمي لمصر .

وقد وجد المصريون في ظل هذا الدين الجديد متقذا لهم ما هم فيه من ضيق ، واعتبروه علاجا لآلامهم وبلسما لجراحهم التي طال عليها الالامد





حصن نابليون الحصين الذي افتتحه العرب في مصر

وسار كثير من هؤلاء المصريين الذين أسلموا تحت لواء الاسلام جنودا فاتحين (١) .

ومن بقي من المصريين على دينه آمنه المسلمون عليه لأن مبدأ الاسلام « لا اكراه في الدين » ولأنهم سمعوا حديث رسولهم الكريم صلى الله عليه وسلم ناصحا لهم بحسن معاملته أهل الكتاب وخص منهم المصريين .. روى عمرو بن العاص عن عمر بن الخطاب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ان الله سيفتح عليكم بعدي مصر فاستوصوا بقبطها خيرا فان لكم بهم سهرا وذمة » (٢) .

وقد نفذ المسلمون هذه الوصية فكانوا يتعجبون الى الاقباط وهؤلاء يمنحونهم ولاصهم واخلاصهم ، ولم يكن العرب غزاة أتوا للسلب والنهب ، ولذلك لم يتركوا في فتوحاتهم أي أثر للعسف أو الظلم (٣) .

---

(١) كتاب « مصر في فجر الاسلام » لسيد اسماعيل كاشف .

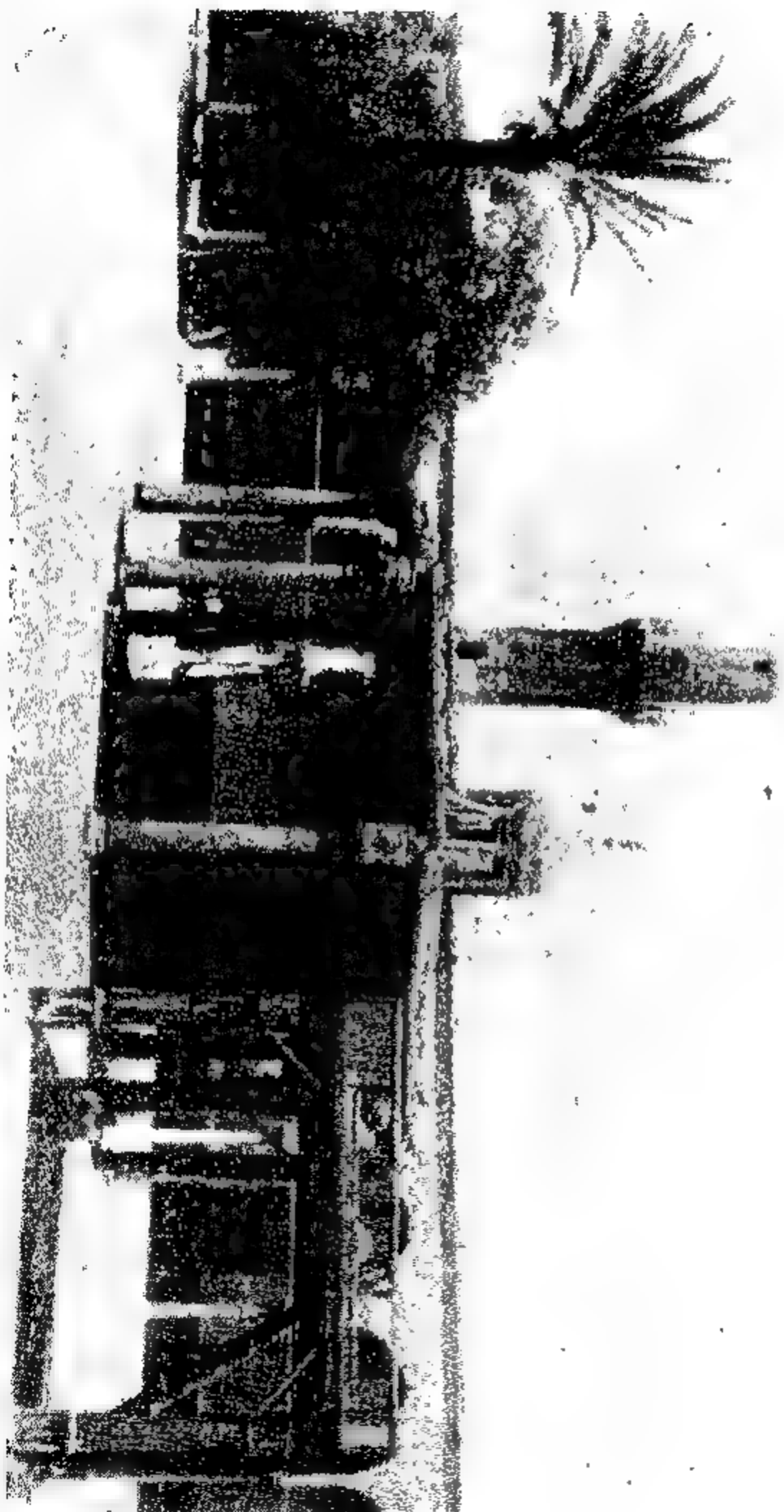
(٢) حسن المحاضرة ج ١ ص ٤ .

(٣) « مصر في فجر الاسلام » - لسيد اسماعيل كاشف .

صورة خيل النيل



منظر خارجی مسجد عمرو بن العاص





منظر داخل مسجد عمرو بن العاص



زخرفة داخلية لمسجد عمرو بن العاص



• عتبة المسجد من القاهرة

## مصر جزء من الأمة العربية

يعتبر الفتح الاسلامي نقطة تحول في تاريخ مصر فقد نقلها من ولاية تابعة للروم الى قطر عربي له دلالاته ومقوماته وآثاره ، وسرعان ما أصبح هذا القطر جزءا من الامة العربية الكبرى التي امتدت مساحتها حتى شملت أجزاء كثيرة من المعمورة ، بل أصبح هذا القطر فيما بعد له مكان الصدارة في هذه الامة العربية ، فقد احتضن الدعوة الاسلامية ووجدت فيه حصنا لها حين عدت عوادي الصليبيين والتتار فيما بعد ، وحاول كل منهما أن يقضى على الدولة الاسلامية وعلى نفوذها الموجه في العالم .

وبفتح مصر توالى وفود القبائل العربية في هجرات متوالية ، بعضها للتجارة ، وبعضها للرحلات ، وبعضها للاقامة .

ولم يأت العرب الى مصر كما كان يأتي غيرهم من الفاتحين وفي نفوسهم تسلط الفاتح ، وشهوة المستعمر وقسوة الغالب ، وصسلف المتسلط ، ولكنهم جاءوا ومعهم مبادئهم الكريمة ، واخلاقهم العظيمة . ومثلهم العليا التي كانت ولا تزال مضرب الأمثال ، جاءوا اخوة في الدين ، ورسلا اصلاح ، ودعاة هداية ، وأصحاب رسالة تدعو الى المساواة والانصاف والعدالة الاجتماعية ، ولقد ترك النبي صلى الله عليه وسلم قدوته فيهم وأثره بينهم وهم لم يزالوا يرتلون قوله تعالى « لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا » (١) .

---

(١) سورة الاحزاب .



جاء المسلمون بهذه الاخلاق فوجد المصريون في ظلهم الأمن الذي كانوا يتوقون اليه والعدل الذي طال حرماتهم منه ، والمساواة التي كانت أملا بعيد المنال حينما كان الروم متسلطين عليهم ، ولأول مرة بعد قرون طويلة شعر المصري بكيانه في ظل الحكم الجديد وأقبل على عمله في جد ونشاط : الزارع في حقله ، والعامل في عمله ، لا يكلف في أمره شططا ولا يطلب منه الا حق الدولة نظير رعايته وتأمينه والدفاع عنه وما تتطلبه معيشتة من حقوق وواجبات . هذا الى جانب شعور متبادل بين العربي الوافد والمصري المقيم يحس في ظله كل منهما أنه قريب من الآخر ، مشدود اليه بجاذب خفي هو جاذب الصهر والنسب القديم .

ثم كان لتشجيع الخلفاء لهذه القبائل على الهجرة الى مصر اثر كبير في نزايده هذه الهجرات ، وفي اقبال كثير من المصريين على الدخول في دين الله افواجا .

#### انشاء الفسطاط :

كان العرب في اول أمرهم يقيمون متجمعين في المدينة التي اختطها عمرو بن العاص وهي « الفسطاط » سنة ٢١ هـ ، وسبب تسميتها كذلك كما يقول المؤرخون ان عمرو بن العاص (١) لما أراد التوجه الى الاسكندرية لفتحها بعد أن استولى على حصن بابليون أمر بأن ينزع فسطاطه ( وهو الخيمة التي كان يقيم فيها ) ولكن رأى فيه زوج يمام قد أفرخ فقال عمرو : « لقد تحرم بنا » وتيامن به ، وترك الفسطاط مكانه رافة بهذا اليمام . ولما عاد من الاسكندرية بعد فتحها سألته المسلمون عن المكان الذي ينزلون فيه فقال المكان الذي تركنا فيه الفسطاط .

فنزل هناك المسلمون وأقاموا حوله ثم ابتدوا يختطون المواضع بجانبه . كل قبيلة اختارت لها مكانا معيناً .

وأتيح لمصر بانشاء الفسطاط أن تشيد عاصمة جديدة تعد أولى عواصم مصر الاسلامية وكان موضع الفسسطاط جديرا بالاختيار من الوجهتين الحربية والمناخية .

ويذكر المقرئ في خطه أن موضع الفسطاط كان أرضا فضاء ومزارع فيما بين النيل والجبل الشرقي المعروف بجبل المقطم ولم يكن

(١) خطط المقرئ .

بهذا الموضع من البناء والعمران سوى حصن يطلق عليه اسم قصر الشمع والمعلقة ، وهو الذي كان يقيم فيه حاكم مصر من قبل الروم ، وكان الحصن يمسح على النيل وكانت السفن تصل الى بابه القبلي المعروف بباب الحديد وهو الباب الذي خرج منه فيرس ومن صحبه من وجاله بعد استيلاء المصريين على الحصن ، وما زالت آثاره الى وقتنا هذا . والى شمال الحصن كانت تمتد مروج ومزارع أقيم عليها جامع الفسطاط (١)

وهذا المسجد هو أول ما أقيم في هذه المدينة ، وحوله تنافس العرب في إقامة بيوتهم وتشبيد خططهم ، ورأى عمرو بن العاص أن يعين على هذه الخطط أربعة من جنده ، وهم « معاوية بن حديج ، وشريك ابن سمي الغطيفي ، وعمرو بن مخزوم الخولاني ، وحيسويل بن ناشرة المعافري » فأنزل هؤلاء الرؤساء الناس منازلهم ، وجعلوا لكل قبيلة من القبائل خطة تأوى اليها ، وقد سميت هذه الخطط أو الحارات بأسماء هذه القبائل (٢) ، ومن هذه الخطط خطة مهرة ، وخطة لحم وجدام ، وخطة بني بحر وهم قوم من الأزدي ، وخطة ثقيف ، وخطة حضرموت ، وخطة سبأ ، وخطة مذحج ، وخطة غطيف ، وبني وعلان ، وخطة خولان ، وخطة نافع ، وغيرهم (٣) ، ومن هذه الخطط تكونت الفسطاط الحاضرة الجديدة لمصر الاسلامية .

والفسطاط هي حي مصر القديمة حالياً ومن الملحوظ أن أكثر شوارعها يحمل أسماء عربية قديمة ، ولا يزال بهذا الحي مسجد عمرو بن العاص المشهور ، وهو أول مسجد أسس في مصر ، وكان قديماً منارة للعلم والعرفان والأدب ، يقوم بما قام به الأزهر فيما بعد .

وقد ظلت الفسطاط مقراً للولاة في عهد الخلفاء الراشدين وعهد الدولة الاموية وأقيمت فيها قصور كثيرة منها قصر الذهب الذي بناه والي مصر عبد العزيز بن مروان ( ٦٥ - ٨٦ هـ ) كما أقيم فيها كثير من المنشآت العامة من متاجر وأسواق ومتنزعات وفنادق وحمامات .

وبالرغم من انشاء حواجز جديدة في عهد صالح بن علي عام ٣٣ هـ ، وفي عهد أحمد بن طولون عام ٢٥٤ هـ فإن الفسطاط ظلت محتفظة بروبقها وازدهارها ، حتى أنشئت القاهرة عام ٣٥٨ هـ على يد جوهر

(١) ، (٢) خطط المغربي .

(٣) مصر في فجر الاسلام ص ٢٤٥ ، وفي هذا دلالة على أن مصر يتألف عربيا من أكثر القبائل العربية المعروفة ، والتي تمثل أكثر أقطار الوطن العربي عراقة وحجازه وعينه .

الصقلي قائد المعز لدين الله الفاطمي ، فظل شأنها يضعف شيئا فشيئا  
اذ حلت محلها قاهرة المعز ، وفي أيام الحروب الصليبية حدث نزاع كبير  
بين الوزيرين شاور وضرغام واستعان شاور بالفرنج لنصرته ضد  
أسد الدين شيركوه ، وقدم الفرنج واقتربوا من القسطنطينية التي كانت  
مقرا في ذلك الوقت للمقاومة الشعبية ، ومركزا هاما من مراكز الاستعداد  
والدفاع والتمرن على أساليب الحرب والقتال مما كان يشغل بال شاور  
والعاصد باستمرار ويعتبرانه مكن الخطر دائما . فوجد شاور الفرصة  
سائحة للتخلص من القسطنطينية ، فأمر أهلها بأن ينزحوا منها  
الى القاهرة بحجة أنه يريد حرقها لئلا يستولى عليها الا فرنج ، ولم يجد  
احتجاج أهلها وثورتهم شيئا فقد أرسل عشرين ألف قارورة من النفط  
وأشعل فيها النار وظلت مشتعلة أربعة وخمسين يوما حتى أتت على كل  
شيء فيها .

وقد صمرت القسطنطينية فيما بعد ولكنها لم تصل الى مكانتها الاولى  
ولكن العرب بمرور الوقت لم يكتفوا بالاستقرار في العاصمة فقد تحولوا  
الى القرى وشاركوا أهلها في زراعاتهم ، بل أخذت القبائل العربية تفر  
الى مصر وتستقر في القرى المصرية ، ويذكر المؤرخون أنه في زمن مروان  
ابن محمد عندما ولي الخوثة بن سهيل الباهلي مصر ( ١٢٨ - ١٣١ هـ )  
مالت اليه بطون قيس ، فمات مروان وبها ثلاثة آلاف أسرة منهم ، ثم  
توالدوا وقدم عليهم من البادية كثير من ذوى قرباهم ، ويظهر ان القبائل  
العربية أخذت تفر الى مصر باستمرار وأخذت تصاهر أهل البلاد (١) .  
ومن قدم الى مصر في ذلك العهد أولاد الكنز وأصلهم من ربيعة  
ابن معد بن عدنان أي من عرب الشمال وكانوا ينزلون اليمامة وقد قدم  
كثير منهم الى مصر في خلافة المتوكل على الله العباسي بعد سنة ٢٤٠ هـ ،  
وانتشروا في أنحاءها ، ونزلت طائفة منهم بأعلى الصعيد . وكانت  
البيجة (٢) تشن الغارات على القرى الشرقية في كل وقت حتى خربوها .  
فقامت بطون ربيعة تصدهم ، وقد تمكن الخليفة المتوكل من إخضاعهم ،  
ووفد اليه رئيسهم ليقدم فروض الطاعة والولاء وعادت ولاية عباسية  
كما كانت قبل ذلك .

وهكذا تم نصر الله والفتح ، وأصبحت مصر في يد العرب الذين  
توغلوا في شتى أرجائها وامتزجت دماؤهم بدماء أهلها ، وتزاوجوا

(١) كتاب « مصر في فجر الاسلام » للدكتور ميهام اسماعيل الكلاش

(٢) بلاد البيجة تمتد من صحراء قوص الى أول بلاد الجيزة .

وتناسلوا منهم واخذت قبائل العرب تتربى وتتابع على شتى انحاء البلاد حتى غصت بهم (١) .

وتم الاندماج الكامل بين العرب والمصريين فى عهد الخليفة المعتصم العباسى فقد انتشر العرب - كما قلنا - فى القرى المصرية انتشارا كبيرا ترتب عليه انتشار اللغة العربية وآدابها تبعا لانتشار الدين الاسلامى فى البلاد ونبع فى مختلف العلوم العربية حتى عن غير المسلمين علماء مصريون فقد الف البطريرك الملكانى كتابه فى التاريخ باللغة العربية ، وكذلك أرخ ساويرس أسقف الاشمونين للبطاركة فى أواخر القرن الرابع الهجرى باللغة العربية ، .. وهذا يدل على ان اللغة العربية أصبحت لغة الكلام والتخاطب واللغة الرسمية لمصر ، ولم تعد اللغة القبطية التى كانت سائدة قبل ذلك تفهم من عامة الشعب المصرى . (٢)

وباقبال العلماء على مصر وهجرتهم اليها ، وبافتتاح كثير من المدارس والمعاهد ، وبانشاء المساجد والمكتبات لم تلبث مصر أن أصبحت تحتل المركز الاول فى توجيه دفعة الحضارة والعلوم والتقدم فى العالم العربى ، وأصبحت مركز الإشعاع من جديد ، وأعدت على العالم تاريخها المشرق بالعلوم والفنون المختلفة ، مما كان له أكبر الأثر فى اتساع حركة العمران ، والاحتفاظ للعرب بمجدهم وعظمتهم ، وظهور أئمة اعلام فى مختلف فروع العلم من أمثال الشافعى ، وأبى عبد الله أحمد بن يحيى التجيبى ، والليث بن سعد بن عبد الرحمن الفهمى ، وعثمان بن الحكم الخزامى ، والمفضل بن فضالة بن عبيد الرعينى ، وعبد الدين وهب ابن مسلم المصرى وغيرهم ممن كانوا أعلاما فى الاجتهاد والفقه واللغة والأدب .

ومن أئمة الحديث الذين وفدوا الى مصر وكان لهم فيها انتاج حسن أبو ذر عبد الله بن عمر الجهنى ، وأبو الخير مرتد بن مكحول ، وعقيل ابن خالد ، وعبد الله بن يوسف التنسى ، وعبد الله بن الزبير الحميدى وحمة بن محمد بن على الكتانى المصرى ، وابن العماد الامام الحافظ الاسكندرانى ، والمنذرى زكى الدين أبو محمد المصرى ، والدمياطى والحرثى وغيرهم .

ومن أئمة القراءات والنحو واللغة عقبة بن عامر الجهنى ، وداود ابن طيبة المصرى وعبد الصمد بن عبد الرحمن بن القاسم العتقى ،

(١) كتاب « صور من كفاى السعبد العربى » للدكتور جمال الدين الرمادى .

(٢) كتاب « مصر فى فجر الاسلام » للدكتور سيد اسماعيل الكاشف .

وعبد الملك بن هشام بن أيوب المفاقرى والحوفى صاحب اعراب القرآن  
وابن بابشاذ ، والشاطبى وأبو حيان ، وابن هشام ، وابن عقيل وغيرهم .

ومن علماء الطب والحكمة والفلك سعيد بن نوقل ، وسعيد بن  
البطريق ، ومحمد بن أحمد التميمى ، والرشيد بن الزبير الاسواتى .  
والقطب المصرى وابن البيطار ، وابن النفيس ، والاصفهانى ، وابن محمد  
التبريزى وغيرهم .

ومن المؤرخين سعيد بن عفير وابن خلكان ، والفضالى ، وابن  
الفرات ، والمقرئى ، وابن حجر .

ومن الأدباء والشعراء جميل بثينة ، وكثير عزة ، وعزة صاحبته  
ونصيب بن رباح ، وأبو نواس ، وأبو تمام وأبو العباس الناشئ .  
وكشاجم ، والمتنبى . ومن شعراء مصر تميم بن العز ، وابن مطروح .  
والبهاء زهير ، وابن نباته ، وابن الفارض وغيرهم .

ولقد أفرد العلامة الشيخ جلال الدين السيوطى فى كتابه « حسن  
المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة » مائة وعشرين صفحة تقريبا ذكر فيها  
أسماء العلماء والحكماء والأدباء والشعراء الذين كانوا بمصر ، أو وفدوا  
إليها منذ الفتح الاسلامى حتى تاريخ تأليف كتابه .

وبذلك نجد أن مصر قد وصلت فى فترتها التى امتدت منذ الفتح  
الاسلامى حتى ابتليت بالفتح العثمانى الى غاية كبيرة من العظمة والسؤدد  
وتبؤات عرش العالم الاسلامى وتزعيمته ، وبعد ان كانت ولاية خاضعة  
للخلافة فى عصر الخلفاء الراشدين وخلفاء بنى أمية وبعض العباسيين لم  
تلبث أن أصبحت مركزا للخلافة الفاطمية ثم أصبحت مركزا للخلافة  
العباسية نفسها وذلك بعد سقوط بغداد فى أيدي التتار سنة  
٦٥٦ هـ وانتقال الخليفة العباسى الى مصر فى عهد الظاهر  
بيبرس سنة ٦٦١ هـ ، وظل الامر على ذلك حتى فتح العثمانيون مصر  
سنة ٩٢٣ هـ (١)

والتقدم العلمى عادة يتبع الدول المتقدمة فى الحضارة والعكس  
صحيح أيضا فان تقدم الحضارة موقوف على التقدم العلمى فى الدول .  
وبذلك يحق لنا أن نؤكد ان مصر كانت خليفة بأن تبلغ مالم تبلغه دولة ،  
لا حقيقته من تقدم فى التاحيتين العلمية والحضارية . وقد أشار ابن

(١) مصر فى فجر الاسلام . المرجع السابق .

خلدون الى ذلك في مقدمته عندما تحدث عن أن العلم يتبع الامصار  
الموفورة بالحضارة وذكر دليلا على صحة نظريته بقوله « ولا أوفر اليوم  
في الحضارة من مصر فهي أم العالم وإيوان الاسلام » وينبوع العلم  
والصنائع ، وبقي بعض الحضارة فيما وراء النهر » (١) .

---

(١) مقدمة ابن خلدون .

## شهادة التاريخ لمصر

ظفرت مصر عبر التاريخ بثروة ضخمة من أقوال المفكرين والمؤرخين ، وتناولتها الكتب المقدسة بكثير من الآيات البينات ، ولم تخل أقوال الانبياء عليهم السلام من الاشارة اليها والاشادة بها ، ويعتبر هذا مشار فخر للمصريين حين يفتخرون بوطنهم الحبيب الذي جمع بين جلال الماضي ، وروعة الحاضر ، وجمال الأمل في المستقبل .

وان دل هذا على شيء فانما يدل على ما كان لهذا القطر العظيم من مجد عظيم ، واثر لا ينكر في بعث الحضارة ، واشراق نور العلم والعرفان في كل زمان ومكان ، وكان للنيل ومجراه حظ كبير في التفرد بالذكر في كثير من الاحيان ، حتى كتبت عنه الاساطير ونسجت حوله الحكايات ، وكان منارا خصبيا لافتنان الخيال وروعة التصوير ، وحتى قيل عنه انه من الجنة .

ولا ينكر أحد ما للنيل من فضل على الوادي الذي يجري فيه ولم يقل هيروdot المؤرخ القديم قولته الماثورة « مصر هبة النيل » عبثا ، هذه القولة التي سارت مع الزمن مثلا ماثورا وحكمة خالدة ، وقد تنبه المصريون القدماء لذلك انفضل فتعدوا به درجة التقدير الى درجة التقديس والعبادة ، لانه مصدر الحياة ، ولازال . ولم يعد الحقيقة في شيء ذلك الشاعر الذي يخاطبه بقوله .

أنت في مسلك الدماء وفي الانفاس تجري مدويا في انسيابك .

واعترافا من القدماء بفضل النيل كانوا يقيمون له احتفالا بوفائه

كل عام . ولا زال الشعب المصري يحتفل به حتى الآن ، ولكن القدماء  
مبالغة في الاحتفاء كانوا يقدمون للنيل هدية قيمة تتمثل في عروس  
جميلة فاتنه رمزا للمحبة والوفاء ، وتقديرا لما كان يهبهم اياه من نعمة  
الحياة . وقد ابطل هذه العادة عمرو بن العاص ، حين فتح مصر ، وكان  
ذلك بأمر من الخليفة الثاني عمر بن الخطاب رضى الله عنه .

وأول أثر ورد في مصر وفضلها يحكى عن آدم عليه السلام (١)  
حين مثل الله له الدنيا « شرقها وغربها وسهلها وجبلها وأنهارها  
وبحارها وعامرها وخرابها » ومن يسكنها من الأمم ، ومن يملكها من  
الملوك ، فلما رأى مصر رأيا أرضا سهلة ذات نهر جار ، مادته من الجنة  
تتجدد فيه البركة ، ورأى جبلا من جبالها مكسوا نورا لا يخلو من نظر  
الرب عز وجل اليه بالرحمة ، فى سطحه أشجار مثمرة ، فروعها فى الجنة  
تسقى بماء الرحمة ، فدعا آدم للنيل بالبركة ودعا لأرض مصر بالرحمة  
والبر والتقوى . وبارك دنى نيلها سبع مرات . قال أيها الجبل المرحوم:  
سفحك جنة ، وتربتك مسكة تدفن فيها عرائس الجنة أرض حافظة  
مطبقة رحيمة : لا خلتك يا مصر بركة ، ولا زال بك حفظة ، ولا زال منك  
عز ، يا أرض مصر فيك الخبايا والكنوز ، ولك البر والثروة ، سال نهرك  
عسلا ، كثر الله رزقك ودر ضرعك وزكا نباتك وعظمت بركتك وخصبت  
ولا زال فيك يا مصر خير مالم تتجبرى وتتكبرى أو تخونى » .

ويقال : ان هذا أول دعاء لمصر بالرحمة : وبغض النظر عن صحة  
تبوت هذا النص الى أبينا آدم عليه السلام أو عدم ثبوته فان فيه من الدلائل  
ما نراه متفقا مع طبيعة مصر وطبيعة أهلها السهلة القوية المتميزة ، ومتفقا مع  
ما نراه من كلا الله ورعايته لهذا القطر العظيم . فهو فى مأمن من الجوائح  
والمصائب . وما ينتاب غيره من البلاد الأخرى من كوارث ، تظهر فى تلك  
الفضبات الطبيعية المدمرة من زلازل وبراكين وأعاصير وفيضانات تشرد  
الأمنين ، وتفتك بالاهلين ، وتقضى على مظاهر الحياة والعمران ، وتسبب  
الرعب ، وتصيب الناس بالجنون . كما لا يظهر فيها أكثر ما تتعرض  
له بعض البلاد الأخرى من آفات وأمراض وأوبئة وغلاء مما يذهب بأمن  
اناس ويصيبهم بالخوف ويجعلهم لا يطمثون الى حياتهم ، ويعرض  
استقرارهم لهزات عنيفة ، ويلجئهم الى ذلك الجفاف الروحى الذى  
نراه فى كثير من الدول التى تطنى فيها المادة على الروح وتتركهم حيارى  
يتخبطون فى دياجير الملذات والشهوات وتدنهم من مرتبة الحيوانات ،

(١) النجوم الزاهرة .



وليس هذا يحتاج الى دليل ، فمصر والله لحمد لا تزال في منجاسة من كل ذلك .

وما نراه في بعض الاحيان متعارضا مع منطوق هذا النص فانما هو قليل بالنسبة لما تتعرض ته الديار الأخرى ، والأعم الاغلب فيها الأمن والبركة والسلامة . وهذا القليل الذي تتعرض له انما هو من قبيل التذكير الذي يذكر الله به عباده . تمشيا مع قوله تعالى « ونبلوكم بالشرا والخير فتنة » فهو من قبيل اختبار العزائم ، وتقوية روح الدين القويم ، وتثبيت العقيدة في النفوس ، فالشدائد تعتبر رباطا قويا يؤلف بين القلوب ، ويوثق العلاقة بين الانسان وخالقه ، ولم تكن سببا في افتتان الناس عن دينهم أو انصرافهم عن بارئهم الا من أراد الله ان يختسم على قلبه ويصره ، وقديما قال الشاعر . .

قد ينعم الله بالبلوى وان عظمت ويبتلى الله بعض القوم بالنعم

ولا زالت تقارير الأمم المتحدة توافينا بما يشهد أن مصر أعظم الدول بركة ، وأخصبها عيشا وأرغدها حياة ففي آخر تقرير لها عام ١٩٦٢ تؤكد أن مصر أرخص دول العالم في الاسعار رغم ارتفاع مستوى المعيشة عما قبل أيام الثورة بكثير .

ويشهد بذلك أيضا الأجانب القادمون الى مصر ، والمصريون الذين زاروا البلاد الأجنبية ، فانهم يجمعون على أن بلادنا هي أرخص بلاد العالم واغناها بالسلع الضرورية ، وفي الوقت الذي يستطيع فيه أي سائح أجنبي محدود الدخل أن يقضي رحلة ممتعة بتكاليف زهيدة في بلادنا ، لا يمكن لأي مصري أن يسافر الى إحدى دول أمريكا أو أوروبا أو غيرها الا اذا كان معدا نفسه ولديه مورد ضخم يمكنه من مجابهة رحلته وما ينتظره فيها من نفقات باهظة ، وتكاليف كثيرة ، وغلاء فاحش .

ونرى هذا النص السابق متفقا مع دعوة نوح عليه السلام لحفيده بيصر بن حسام ، وقد رواها عبد الله بن عباس رضي الله عنهما - : « اللهم انه قد أجاب دعوتي فيبارك فيه وفي ذريته ، وأسكنه الارض الطيبة المباركة التي هي أم البلاد ، ويقصد بها مصر (١) ، ويقال : ان مصر سميت على اسم ابنه مصر بن بيصر بن حام بن نوح عليه السلام .

(١) النجوم الزاهرة .

ومن الآثار الواردة في فضل مصر ، ما روى عن كعب الاحبار : « لولا  
وعبتي في بيت المقدس لما سكنت الا مصر » ، فقيل له ولم ؟ قال : لانها  
مغفاة من الفتن ، ومن اراد بها سواء كبه الله على وجهه ، وهي بلد مبارك  
لاهلها فيه (١) .

وروى ابن يونس عن كعب الاحبار انه قال : من اراد أن ينظر الى  
شبه الجنة فلينظر الى مصر اذا زخرفت ، وفي رواية اذا ازدهرت .

وروى صاحب النجوم الزاهرة عن ابن يونس أيضا قال : في  
التوراة مكتوب أن مصر خزائن الارض كلها فمن اراد بها سواء قصمه  
الله .

وفي القرآن الكريم اشارات عدة الى مصر تدل على فضائلها الكثيرة ،  
ونعمها الجليلة . فهو يحكى عن يوسف عليه السلام قوله مخاطبا اخوته  
والديه « ادخلوا مصر ان شاء الله آمنين » وهو اعتراف صريح بالامن  
المكفول في مصر ، والنعمة الوفيرة في جنابها ، والرحمة الظاهرة في ربوعها  
وخاصة أنه في عهد يوسف عليه السلام كان الجذب والقحط منتشرين  
في ربوع البلاد ، ولم ينج من تلك المجاعة التي اجتاحت العالم وقت ذاك  
الا القطر المصرى الذى حفظه الله وظهر فيه حسن تدبير يوسف عليه  
السلام ، وقد سبقت الإشارة الى ذلك .

وفي معرض النعم التى طلب الله سبحانه وتعالى أن يذكر بها  
موسى قومه ، نعمة اقامتهم بمصر لانها دار عز ومقام كريم « وأوحينا  
الى موسى وأخيه أن تبوءا لقومكما بمصر بيوتا واجعلوا بيوتكم قبلة  
واقیموا الصلاة وبشر المؤمنين » ، ولكن قومه لم يحفظوا هذه النعمة  
الجليلة فحرمهم الله منها وكتب عليهم الذلة والمسكنة وبأوا بغضب  
من الله وشرذوا في الافاق .

وأراد الله ان يتكلا عيسى بن مريم وأمه برعايته وحفظه فوجههما  
الى مصر وحكى القرآن انكریم هذه القصة بقوله « وجعلنا ابن مريم  
وأمه آية وأویناهما الى ربوة ذات قرار ومعین » وعلى تفسیر أشهر  
المفسرين أن ذلك في مصر .

هذا غير ما وردت الإشارة اليه في عدة مواضع عن ابن عباس  
عشرة ، وقال جلال الدين السيوطى انها اثنا عشر موضعا ، وهذا رقم

---

(١) المصدر السابق .

قياسى بالنسبة لغيرها من البلاد التى لم تذكر أصلا أو ذكرت فى مواضع قليلة .

وهناك أحاديث كثيرة رويت عن النبى صلى الله عليه وسلم فى مصر وفضائلها منها ما أخرجه ابن عبد الحكم عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : اذا فتح الله عليكم مصر فاتخذوا فيها جندا كثيفا فذلك الجند خير أجناد الارض ، فقال أبو بكر : ولم يا رسول الله ؟ قال : لأنهم أزواجهم فى رباط الى يوم القيامة (١) .

والتاريخ يؤكد صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى أخبر عنه الوحي بأنه لا ينطق عن الهوى ، فان ما نراه اليوم من غلبة الجيش المصرى وقوته واستعداده لهو أكبر شاهد على صدق هذا الاثر الروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وان هذا الجيش هو الذى حقق أول ثورة ناجحة قوية بيضاء قضت على الظلم والفساد ، وضربت المثل الاعلى فى البناء والتشييد والقيادة الحكيمة وقد وقف الشعب كله من خلفها يحميها ويؤازرها ، ويقدم نفسه فداء وتضحية لكل دعوة تحررية فى البلاد العربية . بل فى العالم أجمع ، وما دوره الاخير فى تثبيت دعائم الثورة العربية فى ارض اليمن بغائب عن الاذهان ، وما دوره فى ارباب اسرائيل وبعث الرعب المتواصل فى أوصالها بمجهول ، وان الامل العظيم معقود عليه فى أن يتم رسالته فى تطهير الارض العربية من الاستعمار وأذنابه ، واقامة جيش وطنى عربى واحد ترفرف عليه راية عربية واحدة وبذلك تتم الوحدة الكبرى الشاملة التى هى هدف العرب فى كل مكان .

واذا ما تصفحنا المؤلفات الحديثة وجدناها تزخر بعبارات دائمة الصيت تشهد بالفضل والفخار لمصر حتى من غير العرب ، وما يسعهم غير ذلك . فالآيات الخالدة تستنطق الخصوم قبل الاصدقاء ، وترفعهم على أن يشهدوا لها ويشيدوا بمجدها ويذيعوا فضائلها ، فأول من اكتشف حل الرموز الهرموجرافية « شامبليون » تبهره أعاجيب الفن المصرى وحضارة المصريين فيقول : ان مصر فى كل العصور هى أبداً دائمة القوة والعظمة فى كل فنونها وفى ضيائها ، واذا ما ارتقينا سلم القرون فاننا نراها دائما تتلأأ ببهاء لا يحتجب ، ولا ينقصنا شيء فى

(١) حسن المحاضرة للسيوطى .

سبيل ارضاء عاطفة حب الاستطلاع الا ان نعرف كيف نشأت هذه  
المدينة الاولى . (١)

ويقول « سير دنسون روس » مدير مدرسة العلوم الشرقية  
بانجلترا « مصر هي مهد الفنون ولولا بقاء كثير من آثارها الاولى حتى  
يومنا هذا لقامت معلوماتنا عن التاريخ الاول - للفنون على الحدس  
والتخمين (٢) »

وكتب العلامة الاتري الامريكى « جيمس هنرى برستيد » . . . .  
وهكذا صارت مصر أقدم واهم المراكز التى على شاطئ البحر الابيض  
المتوسط . كيف لا وقد اجتمعت فيها السيادة المدنية والحربية من  
أقدم عصور التاريخ الى ظهور مدينتنا وحضارتنا الحديثتين (٣) .

تلك نخبة من الاقوال الماثورة الواردة فى مصر ، ولن يتسع المجال  
لذكر جملة ما ورد فيها من اقوال . فالأثور من ذلك كثير ، وقد أطلق  
عليها المؤرخون والرحالة قديما اسم « العمورة » والمحروسة « وقرنوا  
اسمها بهاتين الصفتين نظرا لما رأوا فيها من آثار الحضارة والعمران التى  
لا تزال باقية حتى الآن .

ومن فضائلها التى عدّها الكندى (٤) « جبلها مقدس ، ونيلها مبارك ،  
وبها الطور حيث كلم الله تعالى نبيه موسى ، وبها الوادى المقدس ، وبها  
القي موسى عصاه . وبها فلق الله البحر لموسى ، وبها ولد موسى وهرون  
عليهما السلام ويوشع ابن نون و داڤيال وأرميا ولقمان وعيسى بن مريم  
وبها النخلة التى ذكرها الله تعالى لمريم (٥) . . ومن فضائلها انها فرضة  
الدنيا يحمل من خيرها الى سواحلها . وبها ملك يوسف عليه السلام :  
وبها مساجد ابراهيم ويعقوب وموسى ويوسف عليهم السلام . وبها  
البرابى العجيبة والهرمان ، وليس على وجه الارض بناء بائد حجرا على  
حجر أطول منهما » .

ولو امتد به الاجل أو لو استشف مكنون الفيب ورأى مظاهر  
النهضة الحديثة لتحدث عن ذلك حديثا مستفيضا ، وأضاف الى افضال  
مصر القديمة افضالا من بدائع صنع العقل البشرى ، ومن ابتكارات

(١) و (٢) « مصر » - زكى سعد واحمد يوسف .

(٣) و (٤) كتاب مصر لزكى سعد واحمد يوسف .

(٥) فى القرآن الكريم يقول الله لمريم « وهري البك مجدع النخلة ساقط عليك وطبا  
جنبنا فكل واشربى وقرى عينا » .

العبقريّة المصريّة التي اذهلت العالم واجبرته على التسليم لها بالاعجاز  
والخلود .

أن مصر بحق جمعت بين مجدين عريقين ووصلت ماضيها المشرق  
بحاضرها المزهري لتبني بهما مستقبلا أشد اشراقا ، وأقوى ازدهارا  
وأروع في جبين الدهر حسنا وجمالا ..

1



صورة القصر الملكي

الصورات من القاهرة

## أشهر الوفود التي قدمت الى مصر

لم تزل مصر كعبة يحج إليها منذ أقدم العصور حتى الآن ، يجد في رحابها القصاد كل ما ينشدون من أمن وهدوء واستقرار ، وقد امتازت الطبيعة المصرية بكرم الضيافة الماثور الذي أضفى عليها جمالا ، واكسبها في عيون البلاد هيبة وجلالا ، وترك لها صيتا ذائعا وشهرة واسعة .

وكانت مصر - وما زالت - ملجأ الأحرار يلجئون إليها حين تضيق بهم السبل ويدركون أن الاخطار قد أحاطت بهم ، وأنه لا حيلة لهم الا الفرار من وجه الظلم حتى تواتيهم الفرصة الممكنة فيكروا عائدين الى أوطانهم وقد ظهرت من الفساد وخلصت من الأصفاد ، وهم يشنون على ذلك البلد المضياف الذي وجدوا في ظله المأوى الأمين والمقام الكريم .

ولم يكن استقبال مصر لهؤلاء الوافدين الا مشاركة منها في تحمل مسئولية النضال في سبيل الحرية والاستقلال ، فقد قاست مصر من أهوال الاستعمار الشيء الكثير ، وأدركت مرارته وقسوته ، وجربت أساليبه وألأعيبه ، وذاقت بعد ذلك طعم الحرية بعد كفاح مرير وطويل ، عرفت مصر ذلك فأولت الشعوب الراغبة في الحرية كل اهتمامها ، وآلت على نفسها أن تكون قاعدة للحرية ينبثق منها اشعاع قوى مضى ينير الطريق لكل أمة تحاول أن تشق طريقها الى مستقبل زاهر بايمان وعزم ، ولن تكف مصر عن حمل ذلك اللواء الحفاق أبدا فهذا عزم وعهد قطعتهما على نفسها وترجم عنهما رئيسها جمال عبد الناصر في خطابه بمناسبة عيد العلم السادس في الخامس عشر من ديسمبر سنة ١٩٦٠ بقوله : « ان

احتفالنا بعيد الفن والعلم اليوم ليس انعزالا عن الممارك التي تدور من حولنا طلبا للحرية ، وانما هو في تصوري تفاعل معها وتجاوب صحيح مع معاركها الدامية ، بل هو أكثر من ذلك ، هو وعد وهو عهد من شعب هذه الجمهورية العربية المتحدة الذي أدرك دور الفن والعلم في تحقيق حريته ، وعد وعهد من هذا الشعب الذي يدرك دور حريته التي حصل عليها في تحقيق حرية غيره من الشعوب المحيطة به ، المتطلعة الى مثل ما يسعى لتحقيقه . وأن القيمة الكبرى لشعب هذه الجمهورية العربية المتحدة هو أنه طليعة ، كما أن التبعة الكبرى لهذه الجمهورية العربية المتحدة هي أنها قاعدة للحرية ، تلك قيمتها وتلك في نفس الوقت مسئوليتها وعلى شعبنا ان يتحمل مسئولية أنه طليعة للحرية ، وعلى جمهوريتنا أن تتحمل أنها قاعدة للحرية ، وان التعاون الحقيقي المنبعث عن عاطفة صادقة في سبيل الخير والمثل العليا هو هدف نبيل تحققه مصر باستمرار في هذه الصورة الرائعة التي تراها في استقبال القادمين وتوديع العائدين ، وهو في الوقت نفسه خطوة واسعة نحو تحقيق المبادئ الكريمة السامية من حرية وعدالة ومساواة حاول المجاهدون الوافدون تحقيقها وحالت ظروف قاسية بينهم وبين ذلك .

ولم يخل بطبيعة الحال ان يكون بعض الوافدين ممن يحلمون بتحقيق اغراض خاصة بهم ، وقد جاءوا الى مصر يحاولون تحقيق بعض ماكانوا يحلمون به أو يقيمون ريشا يتمكنون من وجود الفرصة المناسبة لتحقيق مايريدون .

ولم تضق مصر بطبيعتها ذرعا بهؤلاء ، فهي لم تغلق في وجه أحد بابها طالما كان مسئلة حميدا ، وغايته كريمة ، وأمره فوق مستوى الشبهات .

والوفادة الى مصر قديمة منذ فجر التاريخ ، ففي السنة السادسة من حكم « منوسريت » الثاني ( الاسرة الثانية عشرة اى في نحو سنة ١٩٠٠ ق م ) وفدت الى مصر قبيلة من أرض كنعان مؤلفة من سبعة وتلاثين شخصا بين رجال ونساء وأطفال ووصلت الى اقليم الغزالة وهناك استقبلها موظف مصرى اسمه « حيتى » ثم قادها الى حاكم الاقليم الامر « خنومهووتيو » فأحسن مقابلتها ، وأقطعها أرضا تقيم فيها ، وأمر الرسامين بتسجيل هذا الحادث رسما في بعض المقابر الموجودة الآن في قرية تعرف بقرية بنى حسن ( احدى قرى محافظة المنيا ) في



ثلاث صور (١) • ويعلق الاستاذ عبد القادر حمزة باشا على هذه القصة في كتابه ( على هامش التاريخ المصرى القديم ) قائلا : وأغلب الظن أن وفود هذه القبيلة لم يكن الحادث القذ الذى حدث من هذا النوع ، بل كانت له أشباه تتجدد بتجدد السنين والشهور لأن القبائل الآسيوية التى كانت ضاربة على حدود مصر الشرقية فى سيناء ، وكنعان كانت تغد على مصر كلما عضها الجوع لتلتمس العيش والمأوى ، فوفود تلك القبيلة لم يكن الا واحدا من حوادث متعددة متجددة •

وقد سبق أن أشرنا الى أن القرآن الكريم سجل حادثة شبيهة بهذه الحوادث ، وهى وفاة أخوة سيدنا يوسف عليه السلام الى مصر حين أجذبت أرضهم ، وانتابها القحط والحراب بقوله : وجاء أخوة يوسف فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون •

ولما جاء الاسلام اتسعت حركة الوفادة وخاصة بعد أن أصبحت مصر مركزا للخلافة الاسلامية ، وجاء الادباء والشعراء من كل صوب يؤمون الولاة والخلفاء بمدائحهم وينالون جوائزهم • وأقبل العلماء يجدون فى مصر المكان الرحب والصدر الفسيح لعلمهم والمجال الواسع لانتاجهم فيقيمون ويعطون لهم المقام ، وجاء الطلاب يتلقون العلم فى مساجدها ومدارسها ويستمعون الى هؤلاء العلماء ويخرجون ويصبحون رسل ثقافة ومنارات هداية واشراق •

قامت الدولة الاموية سنة ٤٠ هـ بعد كفاح مرير مع آخر الخلفاء الراشدين على بن أبى طالب كرم الله وجهه ومع أبنائه من بعده ، وقد تعهد معاوية بن أبى سفيان للحسن بن على بن على أن يفى بشروط أملاها عليه الحسن حقنا لنماء المسلمين ، ولكن معاوية لم يحفظ هذا العهد ونكث به ، وأراد أن يجعل الخلافة من بعده لابنه يزيد ، وفى سبيل ذلك ارتكب ما لم يرتكبه خليفة من قبله ، وجاء يزيد ومن بعده من خلفائه وفى قلوبهم من الحقد على الأسرة الهاشمية ما فيها ، وحدثت موقعة كربلاء التى استشهد فيها سبط الرسول صلى الله عليه وسلم الحسين بن على رضى الله عنهما ومعه كثير من أهل بيته وولده ، ولم يطمئن بهذه الاسرة الكريمة المقام بعد أن أدركوا الحقد الذى يتعقبهم به خلفاء بنى أمية وولاتهم ، ووجدوا ان الحجاز لم يعد الموطن الآمن بالنسبة لهم خاصة بعد أن بث الامويون العيون من حولهم خوفا من أن يؤلفوا القلوب ، ويستميلوا النفوس ، ويكونوا جيشا ينقضون به على بنى أمية ليقتصوا

(١) كتاب على هامش التاريخ المصرى القديم « لعبد القادر حمزة » •

منهم ، ولم يرضوا أن يكونوا موضع شك أو مثار ريبة وتوجس ، وهم الذين طبعهم الله على العزة والانفة ، وطهرهم من الرجس تطهيرا ، وأكرمهم بالانتساب الى رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم .

فأقبلت وفودهم الى مصر حيث وجدوا في رحابها الأمن والهدوء ، وكانت مصر في استقبالها لهم عند حسن ظنهم بها ، فقد رحبت بهم أيما ترحيب وأكرمت وفادتهم وأفسحت لهم صدرها ، ولاقتهم بما يليق بهم . وبمجدهم الكريم من حفاوة وتكريم .

وبذلك أصبحت مصر دارا للأسرة النبوية المجيدة التي بادلت مصر الحب وأولتها من التقدير ما حفظه لها التاريخ ، وما جعل القلوب تزداد اليها تشوقا وحنينا ، ولم يكن ذلك بالغريب على مصر فهي التي تعودت أن تستقبل الغرباء من كل حذب وصوب فأولى بها أن تستقبل أحفاد الرسول وأهل بيته ، وهم الذين يوصى بهم ويحضر على أكرامهم ، وهم الذين نزل القرآن في شأنهم على منزلتهم ويتوج هام الأيام بهم .

وأصبحت مصر في نظر العالم الاسلامي منذ ذلك الوقت رمزا للوفاء والتقدير يتطلع اليها المسلمون في شتى الاقطار ، لأنها في نظرهم هي التي حفظت لهذه الاسرة الكريمة جميلها واعترفت بحقها ، وأولتها من العناية والتقدير ، ما يليق بها وبمنزلتها .

وأصبحت بيوت الهاشميين في مصر قبلة يحج اليها المسلمون ، وأضحت قبورهم من بعدهم مثار ذكرى ، ومهبط رحمة ، ومكان قدس ، ومحط آمال ، وكعبة يقصدها الآلاف يستعيدون فيها سيرة رسول الله الكريم ، ويتبركون فيها بآثار عثرته الطاهرة الزكية . ولحكمة ما اختص الله مصر بهذه النعمة المباركة ، وأكرمها بتلك الرحمة الشاملة السابغة فما من بلد آخر يشاركها في ذلك الفضل المأثور . وتلك القباب العالية المتلائة والمآذن المشرقة السامقة ، والأضرحة الكثيرة المنبئة في ربوع الوادي ، تشهد أن مصر من غير شك كانت ولا تزال مهبط رحمة الله ومستقر فيضه ونعمته ، فقد أكرمها بأوليائه ، الطاهرين وأصفياؤه المقربين ، حتى ان من شاء الله له أن يقبض منهم بعيدا عن مصر قبض الله له من ينقل جسده أو رأسه الشريف اليها ، فقد نقل رأس الحسين رضي الله عنه على يد طلائع بن رزيك نائب مصر في سنة ٥٥٠ هـ ، وهو الذي بنى المشهد الحسيني بالقاهرة . ذلك المشهد الذي جده فيما بعد عبد الرحمن كتحدا ، وهو في مكانه الحالي ، وقد بنى طلائع في نقله نحو

أربعين ألف دينار ، وخرج هو وعسكرة فتلقاء خارج مصر (١) ، وفي مسالك الابصار ما يؤيد ذلك فقد جاء فيه « مشهد الحسين بعسقلان وكان رأسه بها ، فلما أخذها الفرنج نقل المسلمون الرأس الى القاهرة ، ودفن بها في المشهد المعروف خلف القصرين (٢) » كما نقل رأس ابنه سيدي علي زين العابدين المتوفى سنة أربع وتسعين هجرية، ودفن بمشهد المعروف قرب مجرة القلعة (٣) ، وإن كان البعض يقول إن هذا المشهد بنى على رأس سيدي علي بن علي زين العابدين (٤) .

وقد عني بعض المؤرخين بذكر أسماء من انتقل الى مصر من أسرة الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم ، وعدوا منها السيدة زينب ابنة الامام علي كرم الله وجهه ، وهي أخت الامام الحسين بن علي رضي الله عنهما ، جاءت الى مصر في ولاية مسلمة بن مخلد في أوائل شعبان سنة ٦١ هـ بعد موقعة كربلاء ، وأقامت في داره عابدة متهجدة حتى توفيت رضي الله عنها في ليلة الأحد لأربعة عشر يوما مضت من رجب سنة ٦٢ هـ ، ودفنت بالمكان الذي أقيم حوله مسجدًا المعروف باسمها ، وقد ذكر أوصافه علي باشا مبارك في خطه .

والسيدة فاطمة النبوية ابنة الامام الحسين بن علي . توفيت سنة عشر ومائة للهجرة ، ودفنت بالمسجد المعروف باسمها الآن خلف الدرب الأحمر (٥) ، والسيدة نفيسة بنت الحسن بن زيد بن الحسن بن علي . دخلت مصر مع زوجها اسحاق بن جعفر ، وقيل مع أبيها الحسن . توفيت سنة ثمان ومائتين للهجرة ، ودفنت في منزلها المعروف بخط درب السباع (٦) ، والسيدة رقية ابنة الامام علي كرم الله وجهه ، وكانت لها تكية في غاية الاتقان بداخلها ضريحها المعروف قرب السيدة نفيسة (٧) والسيدة عائشة النبوية ابنة جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين وأخت موسى الكاظم توفيت سنة ١٤٥ هـ ، ودفنت بالمسجد المعروف باسمها الآن بناحية قره ميدان (٨) .

وبديهي أن يكون أكثر من وفد الى مصر من أسرة الرسول نساء

(١) مشارق الانوار الشبغ حسن العلوي الحزوي ص ١٥٦ .

(٢) مسالك الابصار لابن فضل الله العمري ص ٢١٨ .

(٣) و (٤) مشارق الانوار ص ١٥٨ .

(٥) الدر المنثور في طبقات رملات الخوار ص ٣٦٢ .

(٦) المصدر السابق ص ٥٢١ .

(٧) المصدر السابق ص ٢٠٦ .

(٨) المصدر السابق للسيدة زينب بنت علي بن الحسين .

فان أكثر الرجال استشهدوا في موقعة كربلاء ، ولم يبق من أولاد الحسين رضى الله عنه الا على زين العابدين وكان طفلا مريضا ، ومع ذلك فقد أرادوا قتله لولا أن دافعت عنه عمته السيدة زينب رضى الله عنها دفاعا مجيدا ، وهو الذى حفظ سلالة الحسين رضى الله عنه من الاندثار .

وهكذا ردت مصر الى عترة الرسول صلى الله عليه وسلم اعتبارهم ، وحفظت لهم كرامتهم وحقت معهم قوله صلى الله عليه وسلم وقد اخرجهم أحمد في مسنده ، « انى أوشك أن أدعى فأجيب ، وانى تارك فيكم الثقلين : كتاب الله عز وجل جبل ممدود من السماء الى الأرض ، وعترتى اهل بيتى ، وان اللطيف أخبرنى أنهما لن يتفرقا حتى يردا على الحوض ، فانظروا بماذا تخلصونى منهما » (١) .

وتسامع الناس فى مشارق الأرض ومغاربها ، بما لمصر من حظ موفور وعز مشهور فأقبلوا زرافات ووحدانا يؤمون ولائها وأمرائها ، ويتعرفون على مآثرها وآثارها ، ويمتعون أنفسهم بمحاسن جمالها ، ويغنون فوق كل ذلك وينعمون .

ففى ولاية عبد العزيز بن مروان نرى نصيبا الشاعر يقصده لينال جوائزه ومعروفه ويقول فى وصف حوف مصر :

سرى الهم تشنينى اليك طلائعه      بمصر وبالحوف اعترتنى روائعه  
وبات وسادى ساعدا قل لحمة      عن العظم حتى كاد تبدو أشاجعه

وقد أكرم عبد العزيز بن مروان وفادته ورده الى أهله شاكرا بعد أن منحه مالا جزيلا وعطايا كثيرة . . . (٢)

ومن قبل نصيب جاء جميل بن مضر الشاعر العنرى المشهور بجميل بثينة وقد أكرمه عبد العزيز بن مروان وقد مات بمصر ودفن فيها . . (٣)

وكما جاء جميل صاحب بثينة جاء كثير صاحب عزة وأقام بمصر مدة وأصاب منها قراء عظيما وحظا موفورا . . (٤)

وسمع أبو نواس الشاعر العباسى بكرم الخصيب عامل مصر فى أيام

(١) مشارق الأنوار ص ١٢٦ للشيخ المعوى .

(٢) الأغاني طبعة التحرير ص ١٠٨ .

(٣) حسن للحاضرة للسيوطى ص ٣٣٩ .

(٤) الفصل فى تاريخ الأدب العربى ج ١ ص ١٧٩ .

الخليفة العباسي هارون الرشيد فقصده ومدحه بعة قصائد من أبلغ شعره ،  
وحصل من جوائزه ومن جوائز أعيان مصر أكثر من ثلاثة آلاف دينار أنفق  
أكثرها في عام قضاء في القسطنطينية ينعم بها ، ويظرب ، ومن شعره الذي  
يمدح به الحبيب ويذكر فيه مصر قوله : -

تقول التي من بينها خف محلي	عسير علينا أن نراك تسير
أما دون مصر للغنى مطلب	بلى ان أسباب الغنى لكثير
فقلت لها واستعجلتها بواذر	جرت فجری في اثرهن عير
ذريني أكثر حاسديك برحلة	الى بلد فيه الحبيب أمير
إذا لم تزر أرض الحبيب رحالنا	فأى فتى بعد الحبيب تزور

وأغلب الظن ان مجيء أبي نواس لم يكن بقصد تحصيل الثراء بقدر  
ما كان للمتعة بمفاتن مصر وجمالها ، والتمتع بما فيها من روائع ومشاهد ،  
وهو الشاعر المعروف عنه الحرص على طلب المتعة وتحصيل اللذائذ . والا  
فقد كان يكفيهِ المال الذي يحصل عليه من الخلفاء والأمراء في العاصمة وقد  
كان الرشيد مشهورا بعطاياه الفائقة وجوائزه الثمينة التي كان يقدحها  
على الأدباء والشعراء تشجيعا لهم على الافتنان في الشعر وضروب الأدب .

وتتسع آمال المتنبي ويرغب في الامارة والملك ، ويسعى لذلك جهده  
عند سيف الدولة الحمداني أمير حلب ، ولكنه لا يجد عنده بغيته فيحاول  
أن يجد تحقيق هذه الآمال العريضة في مصر ، فيولى وجهه شطر كافور  
الأخشيدي ويقلده من مدائحه دررا ثمينة ، ومنها قوله : -

وفي النفس حاجات وفيك فطانة	سكوتي بيان عندها وخطاب
وما أنا بالباغي على الحب رشوة	ضعيف هوى يبغى عليه ثواب
إذا نلت منك الود فالكل حين	وكل النى فوق التراب تراب
وما كنت - لولا أنت - الا مهاجرا	له كل يوم بلدة وصحاب

ولم يكن أبو الطيب يؤمل في كافور ماله أو عطاياه أو هداياه ، فقد  
كان غنيا بما أعطاه سيف الدولة ، ولكنه كان يريد أن يلى بعض بلاد  
الصعيد ، وذلك لتحقيق بعض آماله السياسية التي تتراعى الى غاياتها  
البعيدة (١) \*

ولكن لغايات سياسية أيضا لم يشأ كافور الاخشيدي أن يحقق  
طلبته ، فقد روى أنه قال له : أنت في حال الفقر وسوء الحال وعدم المعين  
سمعت نفسك الى النبوة فان أصبت ولاية وصار لك أتباع ، فمن يطيفك ؟

(١) المتنبي للاستاذ محمود محمد شاكر عدد خاص من مجلة المقتطف ص ١٤٧ .

وايأس هذا أبا الطيب فظل ينتظر الفرصة الملائمة للخروج من مصر، حتى وافته في يوم عرفة سنة ٣٥٠ هـ فخرج من مصر بليل ، بعد أن ترك قصيدة يذم فيها كافورا ملقاة على فراشه . ولم تسلم مصر كذلك من ذمه ، فقد جاءها وكله أمل في أنه سيجد فيها رغبته ويحقق طلبته ولكن أمورها إذ ذلك لم يمكنه من غايته ، فأحفظ ذلك نفسه وملاها غما وغيظا . فلم يجد بدا من أن يشغى ذلك كله - وهو الشاعر - بأبيات يضمنها سبب غيظه ومبلغ غمه وآله ، وقد يلتبس له العذر على أية حال ، فانه قد تكب في نفسه وآماله وقلبه وهواه قبل أن يفد إلى مصر ثم لم يجد بعد ذلك ما كان يعلل به نفسه من آمال عريضة تعرضه بعض الغبن الذي أحس به على يد سيف الدولة ، وترجع إليه كرامته التي أحس أنه فقدتها ، وهو الحريص عليها والمتغنى بها . . . ليس مثل هذا الشخص ملوما إذا ازداد حنقه وغيظه فكفر بالبلاد ومن فيها وتصور محاسنها مفسدة ، ومفاتها قبائح ، وظن بأهلها الظنون .

وليس من الحق أن نبري تلك الآونة التي كانت تعيش فيها مصر تحت حكم الاخشيديين من وجود بعض المفسد التي ظهرت على أيدي هؤلاء الحكام الذين كانوا من المماليك ثم أصبحوا من الملوك ، ولو اننا حاولنا أن نستنطق أي مصري عاش في هذه الفترة عن مكنون ضميره لرأيناه يوافق المتنبي في عتبه على مصر لولا أنه أسرف في قسوته عليها في معرض قسوته على كافور .

ولئن كان المتنبي قد فاتته الامارة في مصر فان الغنى والثروة والمقام اللين لم يفته ، ولقد أجازته كافور وأكرمه وأعطاه من المال ما كان كفيلا بأن يرضى غيره من الشعراء ، ولكننا لا نستطيع أن نجبر الحاكم ، وهو السياسي الذي ينظر بمنظار السياسة الى بواطن الامور على أن يولي طامعا في الولاية مقابل أن يمدحه بشعره ، ويبالغ في الثناء عليه .

فسواء رضى المتنبي أو لم يرض ، فحسب مصر أنها أكرمت وفادته ، ولم تغلق في وجهه أبوابها ، وأعطته من خيرها وبرها الشيء الكثير .

وظلت مصر هكذا حريصة على عهدها تستقبل وفود القادمين من شتى بقاع العالم العربي والاسلامي وغيرها ، وتطور هذا العهد حتى أصبح رسالة سامية تؤدىها ، وبذلك أصبحت قلعة للحوية ومعقلا للأحرار في تاريخها القديم والحديث على أن مدلول هذه الرسالة قد اتسع فيما بعد حتى أصبحت شيئا ماثورا في المجال الدولي .

## الرحلات الى مصر :

ان المتتبع لآخبار الرحلات في التاريخ يدرك ما كان لمصر من منزلة تعرض نفسها على الرحالة والسائحين ، وتجبرهم على أن تكون أول ما نتجه اليه أنظارهم ، وتتحرك ، اليه همهم وخواطرهم .

فابن حوقل الذي عاش في أواسط القرن الرابع الهجرى ( العاشر الميلادى ) يشير فى كتابه ( المسالك والممالك ) عند وصوله الى مصر الى خصوبة تربتها ونضارة زرعها وكثرة خيراتها . ولم يترك فى حديثه الاشارة الى الثروة الحيوانية فى مصر كما أشار الى ما يصنع فى مدينة قنيس ودمياط من فاخر الثياب ، ويقول : « ربما بلغت الحلة من الثياب مائتى دينار اذا كان فيها ذهب ، وقد يبلغ ثمن مالا ذهب فيها مائة دينار أو أكثر » وهذا دليل على ما بلغت اليه مصر من رقى وارتفاع فى مستوى المعيشة فى ذلك العصر ، كما خص الاسكندرية بذكر مشوق ، ووصفها بأنها مدينة رسومها بينة وآثارها ظاهرة تنطق عن ملك وقدره وتعرف عن تمكن فى البلاد وسمو ، وتفصح عن عظمة وعبرة ، واستشهد فى وصفها بهذا البيت :

فلو سئلت عن أهلها لرأيتها مخبرة عن حالهم بالعظام (١)

وجاء الادريسي المتوفى عام ١١٨٠ م الى مصر ، ووصف النيل ، كما تعرض للثروة السمكية الموجودة فيه وأنواعها وأشكالها ، ووصف مدينة الفيوم وما فيها من فواكه وغللات .

وجاء الرحالة ابن جبير المتوفى عام ١٢١٧م أيضا الى مصر ، وأخذ بمنظر النيل الساحر ، وبعد أن دار الاسكندرية توغل فى بلاد الوجه البحرى ، ووصل الى مدينة دمنهور ، وهى على حد تعبيره ، بلد مسور فى بسيط من الارض فسيح ، كما وصف كثيرا من المدن والقرى الواقعة على النيل ، وقد صور حياة المصريين وأعمالهم وبيوتهم وقصورهم وآثارهم ومساجدهم أروع تصوير . (٢) .

والقزوينى المتوفى عام ١٢٨٣هـ - رحل الى مصر وتحدث عن النيل . حديثا مستفيضاً وقال عنه : « ليس فى الدنيا نهر يصب من الجنوب الى

(١) دائرة معارف الشعب كتاب رقم ٤٩ عن كتاب ( المسالك والممالك ) لابن حوقل .

(٢) المرجع السابق .

الشمال ، ويمد في شدة الحر حين تنتقص الانهار كلها ويزيد بترتيب وينقص بترتيب غير نهر النيل » (١) .

كما وصف ابن بطوطة المتوفى عام ١٣٧٨ م مصر في رحلته وصفا جميلا وكان مما قاله فيها « هي أم البلاد وقرارة فرعون ذى الاوتاد ، ذات الاقاليم العريضة والبلاد الارضية ، المتناحية في الحسن والنضارة ، مجمع الوارد والصادر ، ومحط رحل الضعيف والقادر ، تموج موج البحر بسكانها ، وتكاد تضيق بهم على سعة مكانها ، وشبابها يجدد على طول العهد ، وكوكب تعديلا لا يبرح عن منزل السعد . قهرت قاهرها من الأمم ، وتملكت ملوكها نواحي العرب والعجم ، ولها خصوصية النيل التي جل خطرها ، وأغناها أن يستمد القطر خطرها ، كريمة التربة ، مؤنسة لذوى المتربة » ، وفيها يقول الشاعر : -

لعمرك ما مصر بمصر وانما  
هي الجنة الدنيا لمن يتبصر  
فالولادها الولدان والخور عيتها

وروضتها الفردوس والنيل كوثر .

وفي حديثه عن طبيعة مصر يقول « واهلها ذوو طرب وسرور » كما انه وصف المصريين بكرم الضيافة فهو يتحدث عن مدينة ملوى قائلا : وبهذه المدينة احدى عشرة معصرة للسكر ، ومن عاداتهم أنهم لا يمنعون فقيرا من دخول معصرة منها ، فيأتى الفقير بالخبزة الحارة فيطرحها في القدر التي يطبخ السكر فيها ثم يخرجها وقد امتلأت سكرا فينصرف بها (٢) .

ولم تقتصر الرحلات الى مصر على الرحالة من العرب ، ولكن هناك اجانب وفدوا الى مصر في رحلاتهم ، وتحدثوا عنها في افاضة واسهاب . فمنهم ، «بروس» المتوفى عام ١٧٩٤ م ، وقد سافر الى الاسكندرية عام ١٧٦٨ م وزار الاقصر بعد ذلك وعبر الصحراء قاصدا القصير ومنها الى جده (٣) .

و « براون » المتوفى عام ١٨١٣ م زار في رحلاته مصر ، وقد نشر

(١) رحلة ابن بطوطة .

(٢) رحلة ابن بطوطة .

(٣) المرجع السابق دائرة معارف الشعب .



كتاباً في عام ١٧٩٩ م بعنوان رحلات في افريقية ومصر وسورية ، وأفاض في حديثه عن مصر (١) .

وفي العصر الحديث قبل قيام الثورة شهدت مصر مطلع الحرية العربية بالحركات التي قامت لتحرير الوطن العربي على أيدي رجال قدموا إليها ، لانهم وجدوا في مصر مجالا واسعا لدعوتهم ، وان مصر التي آلت على نفسها منذ أصبحت مركزا للخلافة الاسلامية أن تكون حرما آمنا لكل لاجئ إليها لم تحت في العهد الذي قطعت على نفسها ، حتى ولو كانت تحت سيطرة حكومة باغية جائرة ، أو في ظل حكم رجعي قاس .

ففي عام ١٨٦٩ م اتجه جمال الدين الافغاني الى مصر ، وكانت شهرته قد سبقته إليها ، وكان مجيئه بدا لتنبية القلوب ، وتحرير الاذهان ، وتخفيف حجب الغفلة التي كانت سائدة في ذلك الوقت ، ولكن دعوته لم تصادف قبولا من القائمين بالأمر فذهب الى استانبول ولكنه عاد الى مصر مرة أخرى في عام ١٨٧١ م وفي هذه المرة التف حوله كثيرون من طلبة العلم ففتح عيونهم على حقيقة وجودهم ، وأزال الغشاوة التي كانت مغطيه عليها ، ونبههم الى الاخطار المحدقة بهم ، ونفخ فيهم من روحه وأثار فيهم حمية الوطنية والغيرة على الدين ، وقد استطاع جمال الدين الافغاني بخطبه الملهبة ودروسه القيمة ، وأحاديثه الشيقة أن يبعث في النفوس نزوعا الى الحرية ورغبة في تحقيق العدالة .

وتعلق هو بالشعب المصري تعلقا شديدا ، وأحبه حبا جما ، لانه وجد أن تعاليمه التي يجاهد من أجلها لا يمكن أن تثمر الا في مصر ، وما من قطر من أقطار الشرق أثر فيه جمال الدين مثل تأثيره في مصر فهو من أوائل العاملين على تطور الروح الوطني في هذه البلاد ، وقد وجد استجابة من جانب الشعب المصري في ذلك فبدأ الناس ينتقدون الحكام علانية وكان لذلك أثره فيما بعد حين اشتعلت الثورة العرابية المشهورة . ومن الطبيعي ألا ترضى تصرفات جمال الدين الافغاني الحكام المستبدين بعد أن رأوا الخطر المحدق بهم من وراء تعاليمه التحريرية الثورية ، فصدرت الأوامر بإبعاده من مصر فسافر متجها الى الهند ، ولكن تعاليمه ظلت من بعده قوية ناصعة حتى وجدت الفرصة مهيأة للاعلان عن نفسها في شكل ثورة عرابي ، وفي شكل الافكار التقدمية التي شاء الله لها أن تظهر فيما بعد على يد من ساروا على هديه وآمنوا بتعاليمه فقاموا بثورة يوليو سنة ١٩٥٢ م .

(١) دائرة معارف الشعب كتاب رقم ٤٩ ص ٢٩١ وما بعدها .

وتبع الافغانى فى المجرىء الى مصر عبد الرحمن الكواكبي ، وهو أحد الابطال الاحرار الذين ثاروا على الظلم ، ونددوا بالعسف الاستعماري ، ونبهوا الشعب العربى الى حقوقه وواجباته ، وثاروا ضد الظلم العثماني ممثلا فى السلطان عبد الحميد ولم تجد معه الوعود المغرية ولا التهديدات المتوالية ، ونصب نفسه محاميا يحامى عن المظلومين ويدافع عن المضطهدين حتى أوغر صدور الحكام فضيقوا عليه الخناق ، فلم يجد أمامه سوى القاهرة ليواصل كفاحه فيها مع زمرة من المصلحين الذين التقت قلوبهم بقلبه ، جاء الى المجتمع الذى كافح فيه جمال الدين الافغانى ومصطفى كامل ومحمد عبده ، وظل يجاهد حوالى عامين حتى توفي عام ١٩٠٢ ، بعد أن ترك أول دعوة الى مؤتمر اسلامى سياسى اقترحه وصوره فى كتاب «ام القرى» وترك كتاب « طبائع الاستبداد » صور فيه الظلم والظالمين ، وحث على مقاومة المستبدين .

ويعد الافغانى والكواكبي من الرواد الذين حاولوا بعث القومية العربية واشغال فكرتها مستنهضين الهمم نحوها والاخذ بأسبابها ، فهى الطريق الوحيد للوصول بالعرب الى عزتهم وكرامتهم . ويعتبر هذان المثلان قدوة طيبة لمن جاء بعدهما وتتلمذ على أيديهما من القادة والساسة والمصلحين ، وقد لبي دعوتهم فى كل قطر عربى كثير من الاحرار ، ووجدوا فى مصر المكان المهيأ لفكرة ناصعة قوية حاول الاستعمار خنقها فلم يفلح وهيئات الباطل أن يخنق الحق مهما أوتى من قوة وسلطان .

وتحت الضغط الاستعماري الايطالى فى ليبيا اضطر كثير من الزعماء الليبيين الى اللجوء الى مصر وأخذوا يستنصرون لبلادهم القوي التى تعينهم على تحقيق استقلالهم وجاء عمر المختار فى سنة ١٩٢٢ م الى أرض الكنانة لينزود للجهاد ، وليدعو رفاقه الى العودة للوطن ويحضهم على النضال ، وقوبل فى مصر بمقابلة كريمة تليق بشرف غايته وسمو دعوته ، ثم عاد الى ليبيا ليد تأنف جهاده ، وعلان الحرب على الايطاليين ، حتى خر صريعا على يد هؤلاء المستعمرين بعد حياة حافلة بالجهاد والكفاح الشريف العادل .

وكانت ثورة يوليو ١٩٥٢ فى مصر فاتحة عهد جديد فى تاريخ الامة العربية ، فقد أشرقت معها شمس القومية العربية التى سبق التبشير بها، والتى تنادى بالعزة والكرامة والتحرر ، وكان ان تجاوب معها الاحرار فى كل قطر عربى يحاولون أن يسيروا على متوالها ، ويهتدوا بهديها .

لقد صارت مصر قاعدة للحرية تشع على كل بلدان العالم نورا  
وهديا وإيمانا ، وتنادى على لسان قائدها « ان يمدى فى يد كل وطنى حر  
مخلص لبلاده » لقد اتجهت الاذهان اليها من جديد ، واشراقت الاعناق  
ترقب مطلع هذا العهد السعيد ، وكان لاصلاحاتها التورية المتوالية  
واشعاعاتها القوية المشرقة ، ومبادئها السليمة الهادية ، صدى عميق الاثر  
تهتز له نفس كل أبى ، وتتجاوب معه روح كل عربى .

وقصدها الوفود مجددة العهود وبانية الآمال ، واتسع نطاق العمل  
الثورى حتى تعدى حدود الوطن العربى الكبير وشمل القارتين الافريقية  
والآسيوية ، وانعقدت المؤتمرات وتعددت الرحلات ، وكثرت الزيارات .  
وأشرقت شمس مصر باعتبارها قلب العالم العربى وقلب العالم الافريقى  
والآسيوى، تهدى من مبادئها تحية الكيان الانسانى وتبعث سلام التعايش  
السلمى ، وتبشر بنور رسالة جديدة لا تلبث ان يعم نورها الآفاق فيبدد  
بما فيها من ظلم وجور واضطهاد .



( تصویر کے س . دیوانہ )

میں سے اس کے لئے

## قلب العروبة النابض

ظلت مصر ولاية تابعة للخلافة الإسلامية مدة الخلفاء الراشدين ،  
وخلفاء بني أمية وصدرا من عهد خلفاء العباسيين •

ولم تتوان طوال هذا العهد من أن تقوم بواجبها — باعتبارها جزءا من  
الامة العربية الكبرى — خير قيام ، وكانت تنظر الى القاعدة التي تنبثق منها  
أضواء الخلافة نظرة اكبار واجلال ، سواء آكانت هذه القاعدة هي المدينة  
المنورة ، أم دمشق ، أم بغداد •

وكان لماضى الشعب المصرى فى العلوم والفنون أثر كبير فى حمل  
رسائله العلمية والتقدمية ، والمضى بها الى الامام لتتبر للشعوب العربية  
فى جميع أجزاء الوطن العربى طريق المستقبل المشرق •

ولم تستطع شمس دمشق أو بغداد أن تكشف هذه الانوار المتدفقة  
من شواطئ النيل فقد كان الولاة فى مصر يعملون بكل ما أوتوا من قوة  
على أن تظل مصر زينة الدنيا ومنارة العرفان •

وتسابق هؤلاء الولاة فى استقدام الأدباء والشعراء ، وفى بناء  
القصور والمساجد ، وفى الافتنان فى انشاء الحدائق والمتنزهات ، وفى  
العناية بمظاهر العظمة والسلطان حتى حدث كما أشرنا سابقا أن وجد  
الشعراء لأنفسهم مجالا آخر غير مجال الخلفاء فى دمشق وبغداد يثرون عن  
طريقه ، ويتسلقون قمة المجد والشهرة • كما حدث بالنسبة لجميل بثينة  
وكثير عزة ونصيب بن رباح وأبى نواس وغيرهم من الشعراء الذين قدموا  
الى مصر ومدحوا ولاتها ونالوا جوائزهم • هذا غير من كان يقد الى مصر

من العلماء والمتعلمين والوجهاء والمتنزهين وسوى هؤلاء من ولد بها ونشأ فيها من العلماء والادباء وتبع وأنتج .

ولم تغب روعة مصر عن بال الخلفاء أنفسهم ، خاصة لان بعضهم كان قد قصد اليها قبل خلافته مثل عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان ومعاوية بن أبي سفيان وغيرهم ، كما رغب في زيارتها بعض الخلفاء للتعرف عليها والتنعم بمظاهرها ، وقد زارها الخليفة المأمون العباسي ومكث بها زمنا وأعجبته مباحجها ، ولكنه حاول أن يفضل بغداد عليها ، وقد وردت عنه قصة في ذلك ذكرها صاحب نهاية الارب (١) فقال : « قال سعيد بن عقبة كنت بحضرة المأمون وهو في قبة الهواء ، فقال : لعن الله فرعون حين يقول : اليس لي ملك مصر ؟ فلو رأى العراق ! فقلت يا أمير المؤمنين : لا تقل هذا فان الله عز وجل يقول : ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون ، فما ظنك بشيء دمره الله وهذا بقيته ؟ قال : ثم قلت : لقد بلغتني ان أرضا لم تكن أعظم من مصر ، وجميع أهل الأرض يحتاجون اليها ، وكانت الانهار بقناطر وجسور وتقدير حتى ان الماء يجري تحت منازلهم ، وأفنيتهم بحبسونه متى شاموا ويرسلونه متى شاموا ، وكانت البساتين بحافتي النيل من أوله الى آخره ما بين أسوان الى رشيد الى الشام متصلة لا تنقطع ، ولقد كانت الأمة تضع الممثل على رأسها فيمتلئ مما يسقط من الشجر ، ويعقب النويري صاحب نهاية الارب بعد أن عدد جملة من أوصاف مصر بقوله فهذه نبذة من فضائل مصر ، ولولا الرغبة في الاختصار لكانت فضائلها تكون كتابا منفردا .

ونضيف : فما بالكم لو رأى سعيد بن عقبة والنويري مصر في أيامنا هذه ؟

وكانت مصر تعتبر مركزا هاما بالنسبة للامة العربية الكبرى فمن طريقها ترتبط أجزاء هذا الوطن العربي الكبير ، وعن طريقها يسافر الراغب في أداء فريضة الحج المقدسة وفي ذلك يقول القلقشندي : ان مصر مع ما اشتملت عليه من الفضائل وحفت به من المآثر أعظم الاقاليم خطرا وأجلها قدرا وأفخمها ملكة وأطيبها تربة وأخفها ماء وأخصبها زرعاً وأحسنها ثماراً وأعدلها هواء ، وألطفها ساكناء ، ولذلك ترى الناس يرحلون اليها وفودا ، ويفدون عليها من كل ناحية ، وقل أن ينزح منها من دخلها أو يرحل عنها من ولجها ، مع ما اشتملت عليه من حسن المنظر

(١) نهاية الارب في فنون الادب للنوير ص ٣٤٢ ج ٦ طبعة دار الكتب .

وبهجة الرونق لاسيما في زمن الربيع (١) ، ويقول في موضع آخر ...  
والقاهرة اليوم أم الممالك وحاضرة البلاد وهي وقتنا هذا دار الخلافة ،  
وكرسى الملك ، ومنبع الحكماء ، ومحط الرحال ، ويتبعها كل شرق وغرب  
خلا الهند فانه نائي المكان ، بعيد المدى . وتقول لم نعد الهند الآن بعيدة  
المدى بل أصبحت ترتبط بمصر ارتباطا وبقا في كثير من مجالات الحياة  
المختلفة .

كما ان مصر في ذلك الوقت بالذات كانت تقوم بدور خطير في تدمير  
الحرمين الشريفين ، واعداد سكانهما بما يحتاجون اليه من ضرورات الحياة  
ويقول النويري في نهاية الارب « من فضائل مصر أنها تدير الحرمين  
الشريفين ولولا مصر لما أمكن أهل الحرمين وعمالهما المقام بهما ، ولما توصل  
اليهما من يريد من أقطار الأرض (٢) » وقال ابن زولان في كلام له عن  
محاسن مصر « ومن ذلك الاقوات والميرة التي لا قوام لاحد الا بها ، فان  
مصر تدير أهلها والساكين بها وبأعمالها وتدير الحرمين الشريفين والوافدين  
اليهما من الاقطار وما تجد بلدة الا وتصل اليها ميرة مصر (٣) » .

وظل الأمر على هذا المنوال طيلة فترة تبعيتها للخلافة وتقدر بحوالى  
قرنين من الزمان ، حتى اذا أمكنت الفرصة أحمد بن طولون من استقلاله  
بمصر سنة ٦٤٥ هـ (٤) أصبحت مصر دولة مستقلة عن الخلافة ، فأتسع  
سلطانها ونافست بغداد في عظمتها ورقبتها ، وازدادت نبعا لذلك أعباؤها ،  
فلم يكن استقلالها فرارا من واجباتها ازاء الدولة العربية الكبرى ولكنه  
كان طليعة لأن تقوم بدور أكبر في حياة الأمة العربية ، فقد أسس أحمد  
ابن طولون مدينة القطائع وأشرقت الحضارة العربية في سمائها ، وجمعت  
في أرجائها بدائع الفن وروعة الحضارة وإشراق المجد ، ومسجده القائم الى  
اليوم مظهر من مظاهر الحضارة التي كانت ، ويتميز هذا المسجد بمئذنته  
الفريدة في وضعها الهندسي .

وقامت بعد ذلك دولة الاخشيد في الوقت الذي تفرقت فيه وحدة  
الأمة العربية وأصبحت مقسمة الى أجزاء بعد أن انفصلت عرى الخلافة  
وطمع كل أمير في استقلال ما تحت يده من امارات ، وقد اتسع عمران  
مصر وعظم أمرها وقوى جيشها حتى أصبحت فيما بعد مثابة للناس  
وأمننا .

(١) صبح الاعشى ص ١٨٥ ج ١ طبعة دار الكتب ، وطبعة الدار القومية .

(٢) نهاية الارب ج ١ .

(٣) النجوم الزاهرة ج ١ ص ٤٥ .

(٤) بدائع الزهور ص ٢٦ .

وبعد أن ابتليت الأمة العربية بالتتار ، ودخلوا بغداد في عهد آخر خليفة عباسي سنة ٦٥٦ هـ (١) ، ولجأ الى القاهرة حيث كان يحكمها في ذلك الوقت الظاهر بيبرس البندقداري ، فأكرم وفادته ، وبايعه بالخلافة في مجلس كبير جمع فيه علماء مصر وقضااتها وأعيانها ومن يومها أصبحت مصر مركزا للخلافة الاسلامية وعاصمة للدول العربية ، ولم تزل كذلك حتى الآن - يقول القلقشندي تحقيقا على استقرار الخلافة في مصر « أما الآن فقد استقرت دار الخلافة بخط المشهد النفيسي بين مصر والقاهرة ولا أدخل الله هذه المملكة من آثار النبوة (٢) »

وفي أحلك العصور التي مرت بالأمة العربية ، وابتليت فيها بالمحن القاسية ، وكادت شمسها أن تغيب قبض الله لها مصر ، فهي التي حفظت للعروبة مجدها ، وحملت لواء الشعلة العربية المقدسة تضيء بها الطريق ، حتى أذن الله لهذه الغمة أن تنجلي وهذه السحب أن تبدد ، وبذلك عادت للعروبة شمسها المشرقة الساطعة .

ان مصر تعتبر قلب العروبة النابض ، وبما أتاح الله لها من فرص مهيئة مكنتها من الاحتفاظ بقداسة هذا الدين وجوهر هذه الأمة ، أونت العالم العربي كل أهميتها ، وآلت على نفسها أن تكون عند وعددها الذي قطعت على نفسها باعتبارها مركزا للعالم الاسلامي منذ وطئت أقدام آخر خليفة عباسي أرضها ، وباعتبارها حفيظة على العروبة التي تسرى في دماها وتتغلغل في كيائها ، وباعتبارها جزءا من الأمة العربية الكبرى التي كتب الله لها أياما مشرقة مجيدة ، وعلمت العالم كله معنى الحضارة والحرية ، ولقنته دروسا في المثل العليا والقيم الاخلاقية ، وأحييت فيه معاني الكرامة والنبيل ، وبعثت فيه انسانيته وأرته طريق العلم والتقدم ، وباعتبارها مع كل ذلك مؤمنة بتعاليم رسالاتها السمحة ومبادئها الكريمة المنبثقة من تراثها العربي الكريم ، وباعتبارها تنادى بالوفاء والمودة والتضامن .

ولذلك خاضت في سبيل ذلك كثيرا من المعارك الطاحنة ، وقاست ضروبا من الكفاح والصراع ضد أعداء العروبة في الداخل والخارج قديما وحديثا ، وضد عوادي الزمن ، ودواعي الفرقة ، وعوامل الانحلال . وخرجت من تلك المعارك منتصرة صلبة العود قوية العزيمة ، لأن الصراع في طريق الحق لا يزيد القلوب الا تصميميا ، ولا يكسب النفوس الا صلابة وقوة .

---

(١) و (٢) صبح الاعنى .



والقاهرة هي اليوم مركز الاشعاع بالنسبة للعالم العربي والاسلامي بل لقد اتسعت اشعاعاتها فشملت كل الشعوب المتطلعة للحرية والاستقلال المحبة للسلام في افريقيا وآسيا وغيرها .

وثورتها اليوم قد علمت غيرها من الثورات كيف تكون ناجحة ومصلحة ، ومهدت الطريق أمام كل الشعوب المتطلعة للحرية لان تسلك طريقها على بينة ووضوح ، لذلك اتجهت اليها قلوب هي في أمس الحاجة الى ايمان قوى بها وبالقومية العربية التي تبشر بها ، وبالرسالة التي تؤمن بمبادئها .

وما زالت كلمات رئيسها من فوق منبر الأمم المتحدة ترن في أسماع العالم حتى الآن ، وتجد طريقها الى قلوب الشعوب بسرعة عجيبة . فلم يتعودوا ان يسمعوا من قبل ذلك كلاما يبشر بالامل ويجلو صيدا المادة ويزيح ركام الزيف والتضليل ، ويبين للشعوب حقها ، ويأخذ بأيديهم اليه ، ويهتف بأمجاد العدالة الاجتماعية وينادي بحياة أجمل ومستقبل أفضل مما سمعوا من كلمات الرئيس .

لم يتعودوا ان يسمعوا ذلك من قبل في ذلك المكان ، ولكنهم كانوا يسمعون خطبا جوفاء ، وعبارات خالية من المدلولات ، ووعودا زائفة ، ومهاترات تزيد من أمد الخصومات .

تلك هي مصر وهذه هي مبادئها فلماذا لا تتربع على عرش القلوب ؟ ولماذا لا نهفر اليها أفئدة الشعوب ؟ ولماذا لا تكون قلبا نابضا بالحياة لكل عربي ، ورمزا للعزة والكرامة لكل أبن ؟

وقد نشرت صحيفة الجمهورية (١) في يومياتها بقلم ناصر الدين النشاشيبي ما يشير الى هذا المعنى تحت عنوان « هذا بلد الاشعاع » وقد جاء فيه : « المهمة الحقيقية لوفد الجزائر الذي يزور القاهرة حاليا هي التعرف على القاهرة ، ولا يقتصر معنى التعرف على زيارة منطقة الهرم والقناطر الخيرية وقلعة صلاح الدين ، بل هو التعرف على جوهر القاهرة ، لروحها ، لرحاب جامعاتها ، لحقيقة رسالتها ، لفلسفة ثورتها ، لأحاديث زعمائها للجو الذي تعمل فيه اذاعتها ، للشعارات التي ترفعها أنديتها ومحافلها ، لمصانعها الحربية ، لأبحاثها العلمية ، لحضارتها الاسلامية الخالدة ، لسر هذه التي أصبحت بلد الاشعاع لدنيا آسيا وأفريقيا على

---

(١) عدد ١٢ ابريل سنة ١٩٦٣ .

السواء . وما يقوم به وفد الجزائر في زيارته اليوم قد قام بمثله كل وفد عربي حتى الى القاهرة منذ ثورة ٢٣ يوليو ، هكذا فعل وفد المغرب ، وفد اليمن ، وفود العراق ولبنان والجزيرة العربية وفلسطين والأردن والخليج العربي وتونس والسودان . كلهم جاءوا الى القاهرة يبحثون عن سرها ، عن اشعاعها ، عن روحها ، عن معالم حياتها ، فاستلهموا منها الكثير ووجدوا على أرضها لغة أصيلة ودينا أصيلا وثقافة خالدة وفنا عظيما وعفولا تعدت السدود والحدود ، وغزت آفاق الأدب في أكثر من عاصمة في الشرق والغرب ، وشاهدوا دورا ، للنشر تنتج في كل يوم ثلاثة كتب جديدة ( أو أكثر ) ودورا للصحف تخرج كل يوم خمس صحف بمختلف اللغات ودورا للأدب والحياة . . . هذه هي القاهرة ، وعندما أقول القاهرة أعني كل شبر فوق أرض هذه الجمهورية . فالباحث عن البطولات يذهب الى بورسعيد ، والباحث عن الآثار يطير الى الأقصر ، والباحث عن أحلى سوار لأحلى حسن يذهب الى الاسكندرية . . . وما أكثر ما سمعت عن أشخاص في أقاصي الدنيا يسألونني عن القاهرة حتى (الصهاينة) أعداؤنا ما زالوا يبكون ويترحمون على ( أيامهم في مصر ) ، وقد نجد مدنا كبيرة كنيويورك مثلا بلا روح ، وقد نجد مدنا صغيرة بلا شمول ولا عمق ولا اتساع . ولكن القاهرة جمعت في يد واحدة سر الملايين ، وجمعت في اليد الأخرى سر الحياة والعلم والحضارة والمدنية والاشعاع الكبير . . .

ولهذا المركز الخطير الذي تتمتع به مصر تؤمن ايماننا لا حد له بضرورة التعاون بين الشعوب على أسس كريمة دعامتها المحبة والسلام والرغبة في ايجاد عالم أفضل وهي على هذا الاساس تقيم علاقاتها مع الدول المختلفة ، وتحاول أن تختط لنفسها طريقا متميزا واضحا يعرفه الاصدقاء والاعداء على السواء ، وان يكن لذلك من أثر فائنا نلمسه في المبادئ التي تنادي بها بلادنا منذ مؤتمر باندونج حتى اليوم ، تلك المبادئ المنبثقة من ضمير حر يدرك قيمة الانسان ، ويعرف للانسانية حقها ويقدر المثل العليا والقيم الاخلاقية حق قدرها .

وكل دولة تبني نفسها وترسم خطواتها وتحدد معالم طريقها على هذا الاساس لابد أن تجني من الثمرات ما يكفل لها تحقيق العزة والكرامة الوطنية ، ولابد أن تحظى بتقدير خصومها ، قبل أن تظفر بتقدير أصدقائها .

وهذا هو الذي كان فان الرغبة الاكيدة التي تحفز قادة الشعب الى

أن يصلوا بشعبهم الى غايته المرجوة من الكمال والمجد . . هذه الرغبة قد دفعتهم الى أن يحددوا معالم الوصول اليها من أقرب طريق .

وأقرب طريق هو الطريق الطبيعي الذى أوصت الشرائع كلها على سلوكه لا التواء ولا تعسف ولا غموض ولا لعب بالمقدرات ولا استغلال ولا عبث بالكرامات الانسانية ولا وعود باطلا ولا تضليل ولا غير ذلك مما تنتهجه الدول والحكومات الاستعمارية والرجعية والانتهازية . لاشئ من ذلك كله جعله قادة الشعب المصرى نصب أعينهم حينما أرادوا أن يصلوا بهذا الشعب الى غايته المرجوة من الكمال والمجد .

وعلى هذا الأساس السليم أقام الشعب المصرى علاقته مع الدول فوجد تجاوبا من كل الشعوب المحبة للحرية والسلام ، ولا أدل على ذلك من موقف تلك الشعوب أيام العدوان الغادر على مصر عام ١٩٥٦م فان دولة واحدة فى منظمة الامم المتحدة لم تستطع أن تؤيد تلك الحملة الغادرة، وأن الضمير العالمى يومئذ شعر بهزة عنيفة جعلته يصرخ فى وجوه المعتدين : أن ارفعوا أيديكم عن مصر ، وكان الانسحاب المخزى ، وكانت الهزيمة المرة ، ومن يومها تحولت هذه الدول المعتدية الى دول من الدرجة الثانية ، ولم ترفع رأسها من الرغام الذى وضعها فيه حكامها الآثمون .

ان الأدلة على زيادة التعاون بين مصر وغيرها من الشعوب كثيرة جدا ونراها فى مظاهرها المختلفة فى صور الوفود الذهبية والآيية ، وفى المؤتمرات المتعددة وفى المهرجانات والمعارض الكثيرة ، وفى البعثات العلمية والتجارية والثقافية . فى الانتفاع بالخبرات والكفاءات ، فى تبادل الجهود والخدمات ، فى ازدهار حركة السياسة وتنشيطها وحركة الصناعة وتقديمها والنواحي العمرانية والزراعية والاقتصادية والفنية ، وغير ذلك من مظاهر التعاون الايجابى المثمر .

والتصفح للمصحف اليومية يرى الدليل الملموس على صدق هذا القول ، فقد نشرت صحيفة الأخبار (١)، ذات يوم ما يلى : « . . تقرير اقامة اسبوع للصدقة الالمانية المصرية ، فى نهاية يونيو القادم تقام احتفالات هذا الأسبوع فى . . (ديوسبرج) أكبر ميناء ألماني على نهر الراين ، أعدت مهرجانات ضخمة تطلق خلالها الصواريخ الملونة تحمل صورة الرئيس جمال عبد الناصر والأهرامات والنيل ، ويشترك فى هذا المهرجان مليون ونصف مليون مواطن ألماني ، ويساهم فيه الطلبة العرب فى ألمانيا ، ويقام

١٦٢ جريدة الاخبار عدد ١٦٦٣/٤/٢٣ .

تحت رعاية الحكومة الفيدرالية بألمانيا ، وتعرض فيه المنتجات المصرية ونواحي الحياة المختلفة في مصر ، وتلقى محاضرات مختلفة تتناول الصداقة بين ألمانيا والجمهورية العربية المتحدة ونواحي النشاط والتعاون بين البلدين . »

ومما يدل أيضا على مدى التعاون الوثيق بين مصر وألمانيا مساهمة العلماء الألمان في تطور الصناعة المصرية وتقديمها ، مما أثار إسرائيل وجعلها تقوم بحملة مسعورة بقصد تعطيل هؤلاء العلماء عن واجبهم وحمل الحكومة الألمانية على إجبارهم على العودة إلى ألمانيا ، ولكن باءت محاولاتهم بالفشل ، فقد أصر هؤلاء العلماء على استمرار القيام بواجبهم والتعاون مع الشعب المصري الذي يرون فيه مثلا حيا للشعوب الجديرة بالحياة والتفوق . ومع ذلك ففي سبيل العروبة قطعت مصر علاقاتها مع ألمانيا لأنها أسرفت في تدليل إسرائيل .

ومن الأسباب الوثيقة الصلة بالتعاون قيام بلادنا بجهود كبيرة في خدمة السلام العالمي ، ومساهمتها في حل المشكلات التي تقوم بين الدول المختلفة على أساس من التفاهم والتعق في البحث ، والعدالة والاحتفاظ بالكرامة ، ومن أمثلة ذلك تلك الزيارة التي قام بها السيد علي صبري عضو مجلس الرياسة ورئيس المجلس التنفيذي إلى موسكو والصين والهند ، يحمل معه رسائل المحبة والسلام ، ويقوم بدور فعال في اصلاح ذات البين بين الهند والصين . ومن الكلمات المشعة التي تحمل معاني التعاون والحب والوئام تلك الكلمة التي ألقاها في مطار بكين حينما استقبلته جموع الشعب الصيني بملايسهم الزاهية : « أيها الأصدقاء : حملني الرئيس جمال عبد الناصر تحيته وتحية شعب الجمهورية العربية المتحدة إلى شعب الصين العظيم وإلى قادته الأصدقاء مقرونة بأمانى السعادة والنجاح ، ودوام التقدم والرخاء ، وأشكركم - يا صاحب الفخامة - على كلمتكم الرقيقة التي عبرتم بها عن الروح الطيبة والصداقة الوطيدة التي تربط بين الشعبين العريقين الصيني والعربي ، وهما من رواد الشعوب التي أضاءت مشاعل النور الأول في طريق البشرية منذ فجر التاريخ . »

ان المسافات الشاسعة ، لم تستطع أن تفصل بين الشعوب الصديقة أو تمنع التقاءها أو تعوق التعاون بينها ، ولقد آكبت أحداث التاريخ أن اللقاء كان متصلا ومستمرا بين شعب الصين العظيم على ضفاف اليانج تى والنهر الأصفر ، وبين الشعب العربي الخالد على ضفاف النيل منذ أقدم العصور ، ثم عاد اللقاء في عصرنا الحديث متصلا ومثمرا منذ المؤتمر

التاريخى للدول الافريقية والآسيوية ببياندونج حيث التقى الرئيس جمال عبد الناصر بكم ، ولقد بدأت صفحة جديدة من التعاون المشترك الذى ينمو على مر الايام بين بلدينا الصديقين منذ ذلك اللقاء التاريخى .

أيها الأصدقاء . ان حضارة العالم ليست الا حصيلة للجهد المشترك للأسرة البشرية جميعها التى يجب أن تتعاون جميعها من أجل سلامتها واسعادها وتحريرها .

وقد أشارت الصحف واذاعات العالم حين ذلك الى هذا الدور الذى يقوم به السيد على صبرى ، وعلى سبيل المثال نشرت صحيفة الجمهورية (١) ، ما يلى : « يسود الدوائر الدبلوماسية فى نيودلهى شعور متزايد بالتفاؤل لحل الخلاف الصينى الهندى نتيجة لمباحثات السيد على صبرى ، والتى ينتظر نجاحها بفضل قدرته على الاقناع . ويعلقون أهمية كبيرة على المباحثات الدائرة بهذا الصدد » .

ومن أمثلة التعاون بين مصر والهند ما نراه من تبادل فى شتى أنواع الجهود والخدمات فى سبيل البناء والاستعداد لخلق وطن حر قوى ناهض يستطيع مواجهة الأحداث وصمد العدوان بأنواعه وأشكاله ، وقد نشرت صحيفة الأهرام خبرا يدور حول هذا المعنى فى عددها الصادر بتاريخ ٢٣/٤/٦٣ « أعلن اليوم فى نيودلهى أن الحكومة الهندية تبحث ارسال بعثة هندية الى الجمهورية العربية المتحدة لزيارة المصنع العربى للطائرات النفاثة ، وقال راجور أمابا وزير الانتاج الحربى وهو يعلن ذلك أمام البرلمان الهندى أن البعثة التى ستسافر الى القاهرة تضم عددا من الخبراء العاملين فى مصنع الطائرات النفاثة الهندية فى بانجالو ، ومنهم خبراء يعملون تحت اشراف المهندس الالمانى الدكتور كورت تانك » .

\* وقد ظهرت فكرة إفاد البعثة فى أعقاب الاقتراح الخاص بالتعاون بين الهند ومصر فى انتاج الطائرات التى تزيد سرعتها على سرعة الصوت ، ومعروف أن الجمهورية العربية المتحدة تعمل لانتشاج محرك نفاث أسرع من الصوت ، وقد زار الهند فريق من الخبراء المصريين ، وزاروا مصنع بانجالور »

\* وفى مجال آخر من مجالات التعاون ، نشرت الصحيفة نفسها تحقيقا تحدثت فيه عن دور الجمهورية العربية المتحدة فى رفع مستوى

---

(١) عدد ١٩٦٣/٤/٢٣ .

الخدمات الطبية لكل دول الشرق الاوسط وافريقيا ، وقد أشار التحقيق الى انعقاد مؤتمر طبي لذلك يتكون من ١٥٤ أستاذا من أساتذة الطب لمدة أسبوع في قاعة مجلس الامة بالقاهرة ، وهذا المؤتمر يقرر بصفة نهائية ما سبقت مناقشته في مؤتمر الاسكندرية للتعليم الطبي في سبتمبر ومؤتمر طهران في أكتوبر ١٩٦٣ والموضوع الذي يبحثه هذا المؤتمر هو كيفية توصيل الخدمات الطبية الى جماهير الشعوب العربية والافريقية ودول الشرق الاوسط بزيادة عدد الاطباء ، وفي الوقت نفسه بالارتفاع بمستوى الأطباء ومتابعة تطورات التقدم الكبير في الميدان الطبي العالمي .

هذا ما تشعر به مصر ازاء مسئولياتها التي تتحملها باعتبارها مركزا للعالم العربي والافريقي وهي تقوم بهذه الاعباء مخلصه في أداء هذا الواجب لانه جزء من رسالتها التي آمنت بها عبر القرون .

ولقد أدركت جميع الدول العربية هذا الدور ومدى خطورة هذه الرسالة في شأن العرب خاصة وفي شأن الدول الافريقية والآسيوية عامة وتحدث بها المسئولون والسياسيون في مختلف العواصم العربية ، ولقد نشرت مجلة الهلال في عددها الصادر في مارس سنة ١٩٥٣ م مقالا بقلم السيد نجيب الراوى سفير العراق في مصر في ذلك الوقت تحت عنوان « العالم العربي والاسلامى ماذا ينتظر من مصر ؟ » جاء فيه : « قطعت مصر شوطا عظيما في نواحي الثقافة والاقتصاد والسياسة ، والشرق الاسلامى والعربى ينتظر الى جامعات مصر ومعاهدها العلمية نظرة اكبار واعجاب ، ويرى فيها منهلأ عذبا للعلم ينهل فيه فتياته وفتيانه وموطنا تجتمع فيسه الآراء والافكار ويتوحد شعور ابناء الجيل فتتوثق الروابط وتبنى على أسس صحيحة ترجع الى التاريخ واللغة وصلات المعرفة التي تكونت في ربوع الشرق العربى والتي لعبت فيها دورا عظيما في سالف العصور كل من مكة وبغداد ودمشق والقاهرة فامتزجت هذه الثقافات امتزاجا قويا ، وأصبح من الواضح أن تتجه الافكار الى معاهد العلم والجامعات في مصر ، وصار من الطبيعى أن تفتح هذه الجامعات أبوابها لابناء الشرق العربى والاسلامى ، وتحتضنهم لتصبح الوحدة الثقافية حقيقة واقعة ، هذا ما ينتظره الشرق العربى من الناحية الثقافية ، كذلك ينظر الشرق العربى والاسلامى الى هذا التقدم الاقتصادى الذى أصابته مصر في زراعتها ، وفي تنظيم الري واستغلال التربة ومن ثم الى شركاتها الصناعية وما تنتجه ، ويرى فيها سوقا عربية كبرى تتحد فيها الأسواق الاقتصادية العربية لايجاد سوق عربية كبرى تنظم اقتصادياتنا وتفتح لها الآفاق المالية التي تمكننا من

استثمار كنوزنا الطيبة • ان في هذه البلاد وفرة طبيعية لا حدود لها ،  
فاذا اتجهت الى وحدة اقتصادية ينتظرها الشرق العربي من مصر أصبح  
معها يوما ما كتلة اقتصادية لها شأنها في تموين العالم ومعونته بالغذاء  
والكساء والمواد الاولية •

» وقد صارت الشقيقة الكبرى مصر بفضل مكانها الطبيعي مركزا  
سياسيا ومحورا تلتقي فيه الدول العربية اذا حز بها أمر سياسي يمس  
مصالح الشرق العربي مجتمعا • ولا شك ان اتجاه العالم اليوم الى القوة  
والرأى المجتمع يتطلب منا تقوية وحدة رأينا في جميع اتجاهاتنا السياسية •  
ان الشرق العربي في مجموعه بين دوله وحة سياسية طبيعية لها مصالحها  
المشتركة في الحياة الاقتصادية والثقافية ، فاذا هي اجمعت رأيا، واحكمت  
خطتها استطاعت ان تمل على العالم رغبتها في حفظ كيان الشرق العربي  
والدفاع عن مصالحه ، وجعله مركزا ينظر اليه العالم نظرة الاكبار •

من أجل هذا كله تعتبر مصر قلب العروبة النابض ، ومركزها ، وهي  
بالنسبة للدول الآسيوية والافريقية في القمة ، فهي وشعبها طليعة التحرر،  
واليها تهفو قلوب المسلمين في كل مكان ، واليها تتجه أنظار الملايين في  
شعوب كثيرة من مختلف القارات وتهتف باسمها السنتهم ، وتبارك شعبها  
قلوبهم ، وتردد شعاراتها أرواحهم • وقد ترجمت شعاراتها بالنسبة  
للعالم الاسلامي الى أعمال فخصصت في اذاعتها محطة تذيع القرآن الكريم  
طوال الوقت ، وأمدت أقطار المسلمين في شتى انواع العالم بألاف كثيرة  
من المصحف الشريف مكتوبا أو مسجلا برواية حفص عن عاصم ، أو رواية  
ورش عن نافع ، وأفردت للبرامج الدينية في الاذاعة والتلفزيون وقتا  
منظما فسيحا ، وخصت الدول الاسلامية في افريقية وآسيا بكثير من  
الكتب التي تبسط قواعد الدين ومناهجه ، وتتولى توزيع تسجيلات تعليم  
الصلاة في الاسلام بالعربية والفرنسية والانجليزية والاوردية والسواحلية  
وأوفدت كثيرا من العلماء ومن جلة القراء الى شتى أنحاء العالم العربي  
والعالم الاسلامي عامة ، لا تبغى من وراء هذا كله الا ان تكون قد نهضت  
بواجبها ، وأدت رسالتها •

## مصر قلعة حصينة للعالم العربي

« ان روح هذا الشعب لم  
تستسلم وانما استطاعت تحت  
المعن العنيفة ان تختزن طاقات  
تحفزت لاطلاقها في اللحظة  
المناسبة »

الميثاق

### بناء وحماية

#### منهج البناء :

قد يكون من الكلام المعاد أن نقول : ان مصر هي أستاذ العالم في  
مختلف الحضارات ، فقد سبق أن أشرنا الى ذلك في أثناء الاحاديث التي  
مرت .

والذي تضيفه هنا أن مصر باعتبارها قطب الرحي بالنسبة للدول  
العربية كلها قد أصبحت القلعة الحصينة التي تصدر عنها الاشعاعات  
المختلفة في كل ما يتصل بنواحي الحياة الفكرية والاجتماعية والاقتصادية  
والسياسية والعسكرية . والنواحي التي تتصل بالبناء والتشييد والاعداد  
والتوجيه والتقوية .

وقد بلغت مصر في ذلك أقصى ما تصل اليه دولة ذات حضارة  
ومجد ، وقد توافر لها من الاسباب ما أعانها على القيام بهذا العبء ،  
ومكنها من النهوض به .



لقد ظلت مصر وحاضراتها : ( الفسطاط والقطائع والقاهرة ) منار إشعاع طوال أيامها ، وكثر فيها التعمير والانشاء ، وبنيت فيها المساجد ، وأقيمت الاسواق وأنشئت المكتبات العامة بالكتب والمراجع ، والمدارس النظامية المختلفة ، فأقبل عليها طلاب العلم من كل مكان يتلقون العلوم المختلفة ويدرسون الفنون التي تتصل بالتقدم الحضارى والعمرانى ، وكان لانشاء الازهر أثر كبير في ازدياد النشاط العلمى الثقافى ، فقد أصبح قبلة ، يفد اليها العلماء من كافة الاقطار وكانت له حرمة عظيمة كما يقول ابن اياس (١) ، فى داخل مصر وخارجها ، ولا تعتبر مصر قلعة حصينة الا اذا أخذت بأسباب التقدم جميعها وأول هذه الاسباب هو العلم .

فالعلم هو الوسيلة الوحيدة لنيل المجد وتحصيل العظمة، وبه تصل الامم الى غايتها المرجوة من الكمال والرقى ، ولذلك حرصت الثورة فى عصرنا الحاضر على أن تبني قواعدها على أسس متينة من العلم والثقافة . وكان اعلان الميثاق الوطنى من فوق منبر الجامعة اشارة الى هذا المعنى الدقيق . واشعارا بالارتباط الوثيق بين الاصلاح والعلم ومهما يكن من أمر فلن تنجح أى ثورة ما لم تكن قد قامت أساسا على بحث ودراسة علمية دقيقة ، وأخذت منهج اصلاحها عن طريق العلم والمتعلمين . وفى الخطاب الذى ألقاه الرئيس جمال عبد الناصر فى عيد العلم السادس ما يؤكد هذا المعنى ، فهو يقول : « ما نحن الآن نقود معركة التطور الكبرى ، وفى مقدمة الصفوف الاولى يسير العلماء ، وهم الآن بالمثلث فى المعامل والمصانع ، وفى الحقول وفى المتاجر يبحثون عن الحل للمشاكل المستعصية ويجدون الوسائل للغايات الكبرى ويقودون المجتمع الجديد الى الآفاق التى تطلعوننا اليها » .

وفى خطاب ألقاه فى جامعة القاهرة احتفالا بعيدها الخمسينى يقول : « . . . ان المعرفة هى القوة الحقيقية ، هى الحرية الحقيقية ، فأنتم تعرفون أننا من الناحية السياسية نقاوم احتكار المعرفة ، ولا بد انكم تتابعون الجهود التى تقوم بها فى الامم المتحدة ومجالاتها لكى نقاوم احتكار العلم . ان العلم يتقدم بسرعة مذهلة وعلينا أن نسارع الى موكبه ونصنع لأنفسنا مكانا فى ركبته . . . علينا أن نتحول الى قوة خلاقة تأخذ من الآخرين ، ولكنها تعطيهم ، وتساهم فى صنع المستقبل بطريقة ايجابية

(١) بدائع الزهور ص ٢٦ .

بناءة ، وأن نعد أنفسنا في هذا السبيل لرحلة طويلة لا نهاية لها ، فإن العلم والفكر ميدان إلى مالا نهاية له .

على أساس من هذا الفهم الواعي حدثت مصر من قديم الزمان طريقها ، لأنها وعت هذه القاعدة وعيا تاما ، وآخذت بأسبابها وكانت لها نتائجها . والشواهد على ذلك في التاريخ القديم والحديث كثيرة .

وليس من المستطاع في هذا المجال استقراء كل مظاهر الإشعاع منذ فجر التاريخ حتى الآن . ولكن يكفي أن تقدم لذلك أمثلة ، ففي عهد الظاهر بيبرس (١) امتد النشاط العلمي والثقافي حتى شمل العناية بإنشاء المؤسسات العلمية وفي مقدمتها المدرسة الظاهرية التي بناها بين القصرين ، وقد استغرق بناؤها عامين ، وأقيم يوم افتتاحها احتفال كبير جرى على عادة ذلك العصر ، وقد جرى العرف على أن يلحق بكل مدرسة خزانة كتب يرجع إليها المعلمون والمتعلمون ويستفيدون منها في البحث والاستقصاء ، لذلك جعل الظاهر بيبرس بمدرسته تلك خزانة كتب جليلة ، وعين لها خازنا من العلماء يجيد ترتيب الكتب وتنظيمها وحفظها وإرشاد المطلاعين إلى ما فيها ، كما أنشأ بجوارها مكتبا لتعليم اليتامى من الأطفال ، ووقف على كل ذلك أوقافا واسعة لينصرف الجميع إلى أعمالهم في جو من الاطمئنان وراحة الفكر .

وقبل هذه المدرسة أنشئ الأزهر في عهد المعز لدين الله الفاطمي سنة ٣٦١ هـ كما أسلفنا .

ويصحب الازدهار العلمي عادة الازدهار في كل أطوار الحياة ، ويتوقف عليه تقدم البلاد في شتى مرافقها ، وإذا كانت مصر قد بلغت من التقدم العلمي حدا تستطيع أن تفاخر به الزمن وتفرض شخصيتها عليه ، وتتميز بطابع عام يجعلها مفخرة في جبينه ، فإنها تجد نفسها ملزمة بالمحافظة على هذا المجد الذي حصلته ، ولذلك فلا بد أن يظهر نهضتها هذه قوة عسكرية تحمي مكاسبها ، وتؤمن حدودها ، وتضمن لها دوام الظفر والقوة والصدارة .

فقد هيات مصر لنفسها قوة حربية منذ القدم ، بها ترهب الأعداء وتصد المعتدين ، وتحقق الأهداف الكريمة السامية ، وتنصر العروبة في كل مكان ، وأنشأت لذلك أسطولا عظيما فرض وجوده على شواطئ

(١) كتاب الظاهر بيبرس ، للدكتور سعيد عبد الفتاح ص ١٤٦ .

البحر الابيض المتوسط ، وشرق وغرب • وهذا ابن هانيء الاندلسى شاعر  
المعز لدين الله الفاطمى يقول فى مدح أسطوله :

لك البر والبحر العظيم عيابه  
فسيان أغمار تخاض ويبيد  
أما والجوارى المنشآت التى سرت  
لقد ظاهرتها عدة وعديد  
قباب كما تزجى القباب على الها  
ولكن من ضمت عليه أسود  
ولله مما لا يرون كتائب  
مسومة تحدر بها وجنود  
أطاع لها أن الملائك خلفها  
كما وقفت خلف الصفوف ردود  
وأن الرياح الذاريات كتائب  
وأن النجوم الطالعات مسعود  
وما راع ملك الروم الا اطلاعها  
تنشر أعلام لها وبنود  
عليها غمام مكفهر صبيره  
له بارقات جملة ورعود

ويحدث ابن اياس عن قوة مصر الحربية فى عصر المعز لدين الله  
الفاطمى فيقول : « ثم ان المعز استكثر من العساكر بمصر ، فكانوا ما بين  
كثانة وروم وصقالية وبربر ومغاربة ، وكانوا فى العدد لا يحصون  
لكثرتهم ، حتى قيل انه لم يطا الارض بعد جيوش الاسكندر أكثر من  
جيوش المعز لدين الله الفاطمى (١) »

وفى عهد الظاهر بيبرس منح الناس من أن يتصرفوا فى أخشاب  
السفن ، وأعاد رجال الاسطول الى الخدمة ، وأمر ببقاء عدد من الشوانى  
وهى السفن الحربية الكبيرة حتى تكامل عنده ببر مصر ما ينيف على  
أربعين قطعة وعلة كثيرة من الحرايق والطرائد ونحوها • وتذكر المراجع  
أن السلطان بيبرس كان ينزل بنفسه الى دار الصناعة بجزيرة الروضة  
ويشرف على بناء السفن ويرتب ما يجب ترتيبه ، فضلا على أنه أنشأ عدة  
شوانى بشفرى دمياط والاسكندرية (٢) •

(١) تاريخ ابن اياس « بدائع الزهور » •

(٢) الظاهر بيبرس من ١٤٢ •

واذن فالنشاط العلمى لا بد أن تظاهره القوة الحربية تقوى من شأنه وتحرسه ، وتحافظ عليه . واذا كان العلم هو خالق المجد ، وبانى الدول ، ومحقق الاصلاح والقوة ، فان القوة أيضا تذكى العلم وترفع شعلته وتثبت أركانه ودعائمه .

عرفت مصر ذلك قديما ، وقد عرفت حديثا . ففى هذا العصر امتدت شعلة العرفان حتى شملت كل قرية من القرى ، وكل كفر من الكفور ، وتسابقت الدولة مع الزمن فى تشييد أركان العلم وتثبيت دعائمه ، ورفع مناراته عاليا ، حتى أنه فى كل ثلاثة أيام تشيد مدرستان كما قضت بذلك الحطة الخمسية وذلك لترفع الدولة الغشاوة عن العيون ، وتزيل ركام الجهل عن العقول . وبدأت الثورة المصرية الحديثة تصحح الأوضاع الخاطئة التى فرضها الاستعمار وأذنا به حين ابتليت هذه الديار بهم ، فقد فرض الاستعمار الجهل على البلاد كعادته مع الدول التى يستعمرها وكتب عليها أن تبقى تابعة لا متبوعة ، وذلك لكى يمكن لنفسه فيها ويبقى على حياته بين ربوعها ، فعمل على اغلاق المدارس وحرمان الشعب من التعليم ، وإباحته للسلادة الاقطاعيين ، وقد محت الثورة كل ذلك وقضت عليه ، وحققت مجانية التعليم فى جميع مراحلها ، بما فيها المرحلة العليا ، فهيات الفرص أمام أبناء الشعب جميعا بحيث يأخذ كل حقه على قدر كفاءته وجهده ، لا فرق بين سيد ومسود ، فالكل فى حق الحياة والعلم سواء ، واتسعت دور العلم وأصبحت الجامعة جامعات ، وتطورت رسالة الأزهر بما يتناسب مع مقتضيات الحياة الحاضرة ، واتسعت مدلولات الثقافة وتعددت روافدها ، وكثرت مصادرها والدلائل عليها ، حتى أصبحت مصر بحق بلد الإشعاع .

ولم يقتصر دور مصر الآن على تلقين العلم ، بل نبهت الأذهان الى ما هو أعمق من ذلك . أصبحت رسالة العلم احياء معانى الكرامة والانسانية ، وتحقيق الغرض الأسمى فى الحياة ، فلم يخلق الانسان ليعيش وحده ، لكنه خلق ليكون له دور ايجابى فى تحقيق معنى السعادة فى الحياة لنفسه ولغيره من أفراد المجتمع الصغير والكبير الذى يعيش فيه .

وأقبلت الوفود - بناء على هذا المبدأ - تسعى الى مصر لتنهل من مناهلها وتستقى من منابعها ، وقامت هى بدورها فى ذلك خير قيام ، فلم تحصل منهم ضريبة على ذلك ، ولم تتخذ العلم تجارة تثرى من ورائها على حساب هؤلاء الواقدين اليها ، بل كان العكس هو الصحيح . وأصبحت

هى التى تعطى وتشجع وتمنح الجوائز وتقدم الهدايا وتيسر السبيل ، وأنشأت من أجل ذلك نادى الوافدين ومدينة البعوث التى تضم مبعوثين من مختلف البلاد العربية والاسلامية والافريقية جاءوا جميعا لينالوا قسطهم من العلم ، وليكونوا رسل الهداية والتبشير بالحرية والكرامة فى بلادهم ، وذلك على نفقة مصر ، لا يتكلفون هم فى نظير تعلمهم ونفقاتهم ومطالبهم شيئا ، ولا يرهقون من أمرهم عسرا .

ثم عرفت مصر للعلم حقه وفضله ، فأقامت له عيدا تحتفل به كل عام ، وتوزع فيه الجوائز على العلماء والمتعلمين حثا لهم على مواصلة الجهود ، وتحقيق السبق وملازمة النجاح والفوز وأدركت ان هذا هو سبيل المجد فعملت على صيانته بكل ما وسعها من جهد ، وذلك عن طريق التقدم الحربى وبناء جيش قوى يحفظ للبلاد حريتها وكرامتها ويرفع من شأنها ، ويحقق أمنها وسلامتها ، ويكون على أهبة الاستعداد فى تثبيت دعائم القومية العربية ورفع رايها عالية خفاقة ، وتأمين مكاسبها ، وحماية ثرواتها والدفاع عنها فى داخل حدودها وخارجها . وغنى عن القول أن تثبت أن مصر الآن لديها هذا الجيش المنتظم المجهز بأحدث الأسلحة ، فقد قام ولا يزال يقوم بدوره الذى تتطلبه الظروف الطارئة فى الأمة العربية ، وتظاهر هذا الجيش قوة معنوية ، وشعبية هائلة ، وإرادة قوية وقيادة رشيدة ، واستعدادات ضخمة ، وامدادات كثيرة ونتاجات حربية متقدمة ومتطورة .

من هذه الناحية يعتبر العالم العربى مصر قلعة حصينة له ، فهى قد أخذت للأمر عدته واستعنت له ، وهيات نفسها للقيام به مهما كلفها من جهود ومشقة ، وألزمت نفسها العمل بمقتضاه ، فهل نفذته ؟ نعم ، وإن كان هذا السؤال لا يحتاج الى جواب ...

**منهج الحماية : - ماذا صنعت مصر لاسباغ حمايتها :**

« ان وادى النيل لم تنقطع فيه أصوات النداءات الثورية فى مواجهة الارهاب المستحكم الذى تسنده قوى الاحتلال الاجنبى والمصالح الدولية الاستعمارية » .

« ان شعب الجمهورية العربية المتحدة فى حربه ضد الاستعمار ضرب مثلا حيا ما زال أسطورة فى تاريخ نضال الشعوب » .

**الميثاق**

لقد نالت مصر عبر التاريخ الدرع الواقية للعروبة ضد عوادي  
الزمن والملح وضد غوائل الاستعمار ، وما من تكة تلم بالامة العربية  
الا وتجد امامها - ولا نقول من خلقها - مصر تشد من أزرها وتقوى من  
عضدها ، وتحمل عنها مشاق الكفاح والجهاد .

**مصر والتتار :** - هجم التتار كما أسلفنا على الدولة العربية في القرن  
السابع الهجرى كالاعصار الجارف الذى يحطم فى طريقه كل شىء ، ولم  
نسب امام هؤلاء الغزاة أية قوة أعدها الخلفاء العباسيون وغيرهم من أمراء  
الدول الاسلامية ، ولم تتمكن جهود هؤلاء من صد هجمات التتار أو  
عاقبتهم عن تقدمهم .

وقد كان هؤلاء التتار مثلاً سيئاً للوحشية والبربرية المدمرة ، التى  
لا تحترم حضارة ولا تعترف بمدنية ، ولا تحافظ على عمران . فقد اتسموا  
بالتخريب والتدمير ، وحافظوا على قسوة طباعهم التى اكتسبوها من  
مواطنهم الأصلية ، ومضوا يحرقون ويدمرون ويقتلون الآمنين ويروعون  
الأطفال والنساء ، وينتهكون حرمة الأبرياء ، ويخربون المدن ، ويشيعون  
الرعبة والفرع فى النفوس ، حتى وصلوا الى بغداد عاصمة الخلافة  
العباسية اذ ذاك ، فدمروها وأحرقوها وخربوا مدارسها وأغرقوا كتبها  
فى النهر وفر الخليفة العباسى ولجأ الى مصر فى أيام الظاهر بيبرس الذى  
بايعه بالخلافة ، كما سبق أن أشرنا الى ذلك ، وجهزه بجيش كبير سافر  
به الى العراق محاولاً أن يصد به هجمات التتار ، ويتمكن من إجلائهم عن  
بغداد ولكن لم يكتب له النصر وقتل .

وأوغل هؤلاء البربر فى البلاد العربية وأنزلوا الضرر ببلاد  
المسلمين فى الشرق . لقد اجتاحتهم العراق ، وأوغلوا فى الشام حتى  
وصلوا غزة وعين جالوت فى فلسطين ، ولم يبق أمامهم الا مصر ، ولكن  
قامت مصر بدورها - كما أسلفنا - وتمكنت من هزيمة التتار فى موقعة  
عين جالوت هزيمة منكرة ، ثم استطاعت إجلائهم عن الشام ، ولكنهم  
ظلوا لا يكفون عن التطلع اليها ومحاولة امتلاكها ، وظلت مصر لهم  
بالمرصاد ، وحرصت على التأهب لهم باستمرار وصد غاراتهم ، وتتبع  
المحاولات التى كانوا يقومون بها للتحالف مع أعداء العرب من الصليبيين  
وغيرهم واحباطها (١) ، ولذلك لم تنقطع الامدادات والحملات من مصر الى  
الجيش العربية المتأهبة فى الشام وما وراءها للقضاء على أية محاولة يقوم

(١) الظاهر بيبرس المرجع السابق ص ٩٢ .

بها التتار ، وقد أوقعت بهم هذه الجيوش هزيمة منكرة في موقعة « البيرة » ، على نهر الفرات ، وظلت تقلم أظافر بغيهم المتكرر ، حتى جاءت سنة ٦٧٥هـ وفيها جاءت الاخبار الى مصر بأن التتار قد زحفوا على البلاد فتقدمت الجيوش العربية الظافرة بقيادة الظاهر بيبرس وتمكنت من هزيمتهم بعد أن قتلت منهم عددا كبيرا ، وكان ملك التتار يقال له « ابغسا » فلما انهزمت جيوشه هرب بالفلول المتبقية معه ، فتبعه الظاهر نحو « الابلسنين » وحدثت بينهما موقعة كبيرة انهزم فيها ايضا جيش التتار بقيادة ملكه ، فتبعه الظاهر حتى وصل زبيد (١) وانتهى الصراع أخيرا بهزيمة التتار ، وفرارهم ، وأسر الكثير منهم .

لقد تمكنت مصر من وقف زحف المغول الرهيب المدمر الذي لم تجرؤ قوة أن تقف في طريقه ، وبذلك حفظت للعالم كله حضارته ومدنياته وتمكنت من أن تحتفظ بصفحات مشرقة لا تزال الانسانية مدينة لمصر بها حتى الآن . فلو أنه قدر للتتار أن يظهروا على مصر لانطفأت شعلة النور من العالم ، واختفت الحضارة وآثارها الى الأبد ، فلم يكن هؤلاء الرعاع يحفظون قيمة العلم أو يقدرون أثره ، ولم يكونوا يعرفون للانسانية كرامة مثلها وقداسة فضلها ، ومقومات حياتها من علم وفن وفضيلة وما يتصل بهذه المقومات . كلا ولكنهم كانوا عتاة جفاة جهلة قساة غافلين عن كل معنى شريف في الحياة ، ولذلك كان استعمارهم شر أنواع الاستعمار .

لقد كان التتار مدفوعين بشهوة التسلط والاستعلاء والغرور والرغبة الملحة في التشفى والانتقام ، وكان يملأ نفوسهم حقد أسود على كل تقدم وعمران ، والا فكيف تعلق ذلك التدمير والتخريب الذي كانت تتعرض له البلاد عقب فتحهم لها وسيطرتهم عليها ؟ وما ذنب المكتبات وما فيها من كتب تتعرض للأنلاف والاغراق ؟ .

فوقوف مصر في وجههم لم يكن خدمة موجهة اليها أو للأمة العربية بقدر ما هي موجهة الى الانسانية جمعاء في مشارق الارض ومغاربها وقد عادت عليها بالخير والسعادة والحياة .

---

(١) تاريخ ابن اياس ص ٦٠ .

## مصر والحروب الصليبية :

وكما وقعت مصر في وجه التتار وصدتهم عن غايتهم ، وأضعفت من شأبهم وقعت كذلك من قبل ومن بعد في وجه الصليبيين في اعتداءاتهم . استعاقبة . حتى تمكنت من القضاء عليهم .

وبالرغم من تمكن الصليبيين من السيطرة على الشام ، وإقامة أربع أمارات لهم هناك فانهم رأوا أنه لا سبيل لهم إلى السيطرة التي يريدونها على الشرق العربي إلا بالاستيلاء على مصر ، لعلمهم أنها هي القلعة الحصينة للعروبة وأنها لا يمكن أن تسكت على ذلك الضم الذي يراد بالعرب جميعا . وقد أعد الصليبيون عدتهم لتحقيق هذا الهدف واستعانوا بالامدادات الكثيرة التي وصلتهم من مختلف البلاد الأوروبية ، وهجموا على دمياط ، ولكن تمكن الجيش المصري بمظاهرة الجيوش الأخرى من أن ينزلوا بالمغربين خسائر فادحة وأن يشيعوا الرعب في صفوفهم ، ويردوهم على أعقابهم خاسرين .

ولم يحترم الصليبيون العهد التي قطعوها على أنفسهم بعد هذه المعركة ، بل نقضوها طمعا في أن يجدوا فرصة يكرون منها لتحقيق أحلامهم القديمة . ولكن صلاح الدين الأيوبي تمكن بعد توحيد الجهود بين الشعب المصري والسوري من القضاء عليهم في معركة ( حطين ) التي مهدت الطريق لتحرير بيت المقدس واستعادة فلسطين ، وقد كان هذا النصر موحيا للشعراء بكثير من قصائدهم التي تسجل هذا الانتصار الرائع ، وهذا حسن الجويني يقول في قصيدة له يمدح بها صلاح الدين الأيوبي : -

جد السماء لهذا الملك أعوان	من شك فيه فهذا الفتح برهان
من رأى الناس ما تحكيه من زمن	وقد مضت قبل أزمان وأزمان
هذي الفتوح فتوح الأنبياء وما	لها سوى الشكر بالأفعال أثمان
لناصر ادخرت هذي الفتوح وما	سمت لها هم الأملاك مذ كانوا
أضحت ملوك الفرنج الصيد في يده	صيدا وما ضعفوا يوما وما هانوا
لو أن ذا الفتح في عصر النبي لقد	تنزلت فيه آيات وقُرآن

وكلما تحركت همة الصليبيين إلى تحقيق أهدافهم السابقة ، وإلى استعادة سلطانهم في الشرق العربي ، وجدوا مصر في طريقهم تصدهم عن عزمهم ، وترددهم عن قصدهم ، وتقلم أظفار أطماعهم . ففي عهد الملك الكامل محمد ، فكر الصليبيون في مهاجمة دمياط لأنهم قدروا أن



انتصار صلاح الدين السابق عليهم يرجع الى أنه جمع في يده معاليد مصر والشام ، وأن مصر مصدر قوته ومصر نصرته ، فمتى استولوا عليها أمكنهم أن يسيطروا على بيت المقدس في يسر وسهولة . وهذا فهم استعماري قديم قائم على دراسة ودراية وبحث ، وقد أشار الميثاق الوطني الى ذلك بقوله : « ان الجمهورية العربية بالذات طليعة الانفصال العربي التقدمي وقاعدته ، وقلعته الحاربة هي الهدف الطبيعي لجميع أعداء الأمة العربية وأعداء تقدمها (١) » .

وقد أبدى أهل دمياط من ضروب الشجاعة والصبر والاحتمال ما يستحق الإعجاب والتقدير وذلك حين حاصرها الصليبيون ، ودارت رحى الحرب واستمرت أياما متوالية القى فيها الصليبيون بكل خبرتهم وقوتهم وحنكتهم الحربية والسياسية ، ولكن لم يجدهم كل ذلك شيئا أمام تصميم المصري وإيمانه بقوميته ووطنه . وانتهت المعركة بهزيمة الصليبيين هزيمة منكرة واستسلامهم ، ورغم ذلك فقد حاولوا إعادة الكرة في معركة دمياط الثالثة في عهد الملك الصالح نجم الدين وزوجته شجرة الدر ، ولم يكن حظ الصليبيين في هذه المعركة خيرا من حظهم فيما سبق ، فقد دارت الدائرة عليهم وهزموا شر هزيمة وأسر ملكهم لويس التاسع وسجن في دار ابن لقمان بالنصورة ، ونظرا لأن الشعر العربي سجل لتاريخ العرب ديوان منشور لآثارهم وأمجادهم فإن الشاعر المصري جمال الدين بن مطروح سجل هذه الحادثة في شعره بقوله : -

قال نصيح عن قول نصيح	قل للفرنسيس اذا جئته
تحسب أن الزمر يا طبل ريح	أتيت مصرا تبتغي ملكها
ضاق به عن ناظريك الفسيح	فسألك الحين الى أدهم
بحسن تدبيرك بطن الضريح	وكل أصحابك أودعتهم
الا قتيل أو أسير جريح	سبعون الفا لا يرى فيهم
لأخذ ثار أو لفعل قبيح	وقل لهم ان أضمرنا عودة
والقيد باق والطواشي صبيح	دار ابن لقمان على حالها

وتمكن مصر بقيادة الظاهر بيبرس ، بعد تخلصه من التتار من التخلص من بقايا الصليبيين لأنه عرف عنهم الغدر والخيانة ونقض اليهود ، فقام بعدة حملات ضدهم واستولى على مدينة قيسارة ١٣٥٦ م ، واستولى على مدينة صفد سنة ١٣٥٧ م واستولى على يافا سنة ١٣٥٨ م ، وزحف على انطاكية واستسلمت له ، كما تمكن من تحرير عكا وطرابلس .

(١) للميثاق الباب السابع .

وبذلك نجا العرب من عدوان الصليبيين وشرودهم ، وحفظت مصر للعروبة اشراقها ومجدها ، ونالت عن جدارة لقب زعيمة العالم العربي والاسلامى ، واثبتت مكانتها باعتبارها قلعة العروبة الحصينة .

### مصر والمبادئ الهلنمية قديما وحديثا : -

وكما جاهدت مصر العدوان الاستعماري الحبيث على ارض العرب في صورته السياسية جاهدت كذلك الدعوات الانحلالية التخريبية التي تهدف الى تقويض الاسلام والقضاء عليه عن طريق اشاعة الفتن والحرافات ، ونشر العقائد الزائفة المضللة ، واثارة الشكوك ، والالهام في نفوس الناس وبلبلة افكارهم .

ففي عهد (١) الدولة الطولونية انتهك القرامطة حرمة البيت الحرام وعابوا فسادا في بلاد العراق والشام وبقية بلاد العرب ، وابطلوا فريضة الحج ، ودعوا الناس الى ترك الفرائض والعبادات ، واباحوا المحرمات ، ونشروا الفساد والفجور والفضلال فعبات الجيوش المصرية جهودها للقضاء على هذه الحركة الضالة المضللة ، وضربت المثل الاعلى في العمل على حماية الشرق العربي من هذه الفتنة الجارفة واعلاء كلمته وقد تمكن جيش مصر المظفر من هزيمة القرامطة والقضاء على تسليهم والقبض على زعيمهم واعدامه .

ثم أصبحت مصر فيما بعد مركز مقاومة القرامطة ، والقاعدة التي اطاحت بحركتهم تماما فيما بعد ، فقد انتهز القرامطة فرصة ضعف الخلافة في بغداد فعاثوا في الارض فسادا ، ولم يتعظوا بالدرس الذي تلقوه على يد الجيش المصرى ، ولكنهم تمادوا في غيهم وامعنوا في ضلالهم .

سلك الفاطميون في محاربة القرامطة طريقين : طريق الدعوة ، وطريق الجهاد ، ولذلك أسسوا مراكز للرد على دعاوى القرامطة الباطلة ، وقاموا بدعايات واسعة تندد بدعوتهم وتفضع عقيدتهم وتثير الازهوان لتدحض مقترياتهم وتقضى على اباطيلهم ، كما حلوا لواء الجهاد الحربى ضدهم . وتمكنت القوات المصرية من هزيمتهم هزيمة منكرة عند الرملة ، وكان لهذه الهزائم المتوالية التي حاقت بالقرامطة اثر كبير في هدم

---

(١) المجتمع العربى ومنتاحصة الشعبية ص ١٦٩ وما بعدها .

كيانهم وتحويلهم الى مجرد عصابات يائسة لم نلبث أن اندثرت وضاعت  
فى زوايا النسيان .

وفى العصر الحديث تقف الجمهورية العربية المتحدة لأى دعوة  
انحرافية بالمرصاد ، ولازلنا نذكر موقفها من الشيوعية وعملها بحزم على  
عدم تمكينها من نشر مبادئها التى تراها منافية لروح العقيدة الدينية  
المتغلغلة فى كيان الشرق العربى .

وتسلك مصر فى مقاومة الشيوعية مسلك الاصلاح والعمل على رفع  
مستوى الشعب الفكرى والاقتصادى والاجتماعى ، وفى الوقت الذى نرى  
فيه الشيوعية ومبادئها تتغلغل فى كثير من البلاد تحت ستار التبشير  
بالحياة الرغدة السعيدة التى تكفلها للمؤمنين بها ، مستغلة ضعف  
الشعوب وتأخرها وفقرها واستعبادها ، وفى الوقت الذى تجد فيه هذه  
الدعوى قبولا لدى بعض الدول حتى تسمح لها بممارسة نشاطها داخل  
بلادها . . فى هذا الوقت نرى مصر تقوم بواجبها المقدس نحو فضح هذه  
الاساليب ، ونراها تعمل بحكمة على ابطال فاعليتها بما تقوم به من  
اصلاحات داخلية ، وما تبذله من جهد فى سبيل ازالة الفوارق بين الطبقات  
وفى سبيل رفع مستوى الافراد ، وفى سبيل توفير العمل للعمال ، وتأمين  
مستقبلهم ، ورعايتهم فى حال عجزهم أو شيخوختهم ونحو ذلك مما  
يجعل الشيوعية غير ذات موضوع بيننا . ان مصر بحكمة قادتنا وحسن  
تصرف ثورتها تجنب شعبها آلام أشواك المذاهب الشيوعية ، دون أن  
تخسر صداقة الدول الشيوعية ، ودون أن تعوق مشروعاتها التى استعانت  
فيها ببعض الدول الشيوعية ، ان ثورتنا بحكمتها تجمع بين احياء الجانب  
الروحى فى الشعب وبين تنمية الجانب المادى فيه . ولا خير فى أمة تقيم  
دعائنها على حساب ما تؤمن به من أخلاق ومبادئ وقد صدق الشاعر  
حين يقول :

وانما الأمم الأخلاق ما بقيت فان هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا

ولقد أعطى هذا الموقف لمصر مناعة قوية ، وخلع عليها رهبة حالت  
بينها وبين ما أريد بها من سوء ، بل لقد أجبر خصومها على احترامها،  
وجعلهم يدركون أن حيادها صادر عن عقيدة راسخة وإيمان قوى عميق،  
وليس مجرد دعاية أو اعلان غايته مجرد الشهرة والظهور .

## مصر والاستعمار الأوربي :

وفي العصر الحديث وقفت مصر من الاستعمار وقفات مشرفة لها وللعروبة ، هذا الاستعمار الذي رأيناه قديما في صورة حملات الصليبيين والتتار ، ثم رأيناه قد أخذ اتجاهها آخر في القرن الثامن عشر وما بعده .

قدمت الحملة الفرنسية على مصر في عام ١٧٩٨ م بقيادة نابليون الذي كان يحلم باقامة امبراطورية فرنسية في الشرق ، ولكنه لم يفدر لهذه الحملة النجاح بسبب موقف المصريين الباسل ، واجبارهم الفرنسيين على العودة تحت جناح الظلام قبل أن تمضي ثلاث سنوات على قدوم الحملة الى مصر ، وبذلك انهارت آمال الفرنسيين في الشرق العربي .

وأغار الانجليز على مصر في عام ١٨٠٧ م ولكن قواتهم اندحرت عند رشيد ، وتبددت أحلام حملة فريزر التي أعدت لاحتلال مصر ليسهل عن طريقها السيطرة على الشرق .

ولم يتمكن الانجليز من تثبيت أقدامهم في مصر عام ١٨٨٢ م الا عن طريق الدس والخديعة والفتنة التي أشعلها حاكم مصر الذي لم يكن من صميم أبنائها لينتهزها المستعمر ويثبت أقدامه ، ولو كان الحاكم يومئذ مصرياً صميماً لما أمكن أن يتم هذا الأمر ، ولما استطاع المستعمر أن يحقق أغراضه وأهدافه .

وسار الشعب المصري في طريق الثورات ضد المستعمر زمناً طويلاً، وكافح كفاحاً متواصلاً في سبيل نيل حريته واستقلاله ، فلقد عرف عنه أن من طبيعته قوة العزيمة والثورة الفوية الجارفة التي لا تقف أمامها حواجز أو سدود ، وأنه لا يمكن أن يستكين لظلم ، أو يرضى عن ضيم .

والمستعمر لا يكن لمصر من قديم الا كل حقد وضمينة ، لأنها هي التي عاقته قديماً عن تحقيق مطامعه ، وهي الآن تحاول أن تقضى على ما تبقى له من سيطرة ونفوذ .

ولذلك كان موقفه منها ومن ثوراتها المتعاقبة موقف الخنز والتربص والارهاب ، فلم يكن الاستعمار يطيق ، بعد أن وطد أقدامه في الشرق العربي ، فكرة الجلاء عنه ، وترك الكنوز الدفينة وغير الدفينة في هذه البلاد ، ولا أن يتخلى عن القواعد الحربية والمواقع الاستراتيجية الهامة التي تمكنه من التحكم في مصائر العالم ورقاب الشعوب .

ومصر بالذات باعتبارها قلعة حصينة للعالم العربي لا يمكنها أن

تقبل منطق الاستعمار وأساليبه في المساومة والتسوية ، وتلويحه بالقوة واستعمالها في كثير من الأحيان . لذلك نراها مصممة على الكفاح ضده ، ومنازلته في جميع مواقعه ، وكان من الممكن أن يتهيا لها النصر في كثير من المواقع التي خاضتها معه لو أن الصف العربي كان موحداً ، والأهداف العربية كانت واضحة وفي اتجاه واحد ، ولو أن ظروف البلاد مهياة وتحت قيادة حكيمة رشيدة أو لو أن الحزبية البغيضة لم تقتل دوافع الطموح في الشعب وتقضى على مضائيه وعزيمته ، وتفت في عضده وتمكن لنفسها عن هذا الطريق الملتوي المحفوف بأشواك الحياة والغدر .

كانت مصر تستطيع من زمن بعيد أن تنتصر في كثير من هذه المواقع لو أن ذلك لم يكن كذلك ، ولكن قدر للبلاد خلال ذلك الماضي الأسود أن يكون أعداؤها في الداخل أشد وأخطر عليها من خصومها في الخارج .

لذلك وضعت الثورة نصب عينيها أن تقضى قبل كل شيء على هذا الفساد الداخلي أولاً حتى لا تنتكس وتصاب بالفشل كما حدث فيما سبقها من ثورات ، وكان تصرفها الحكيم هذا من دلائل توفيق الله لها .

منذ هذا التاريخ الذي وطئت فيه إنجلترا أرض مصر اخلت تجاهد في سبيل نفض أغلال هذا الاستعمار عن كاهلها ، حتى تمكنت من ذلك بعد قيام ثورة يوليو سنة ١٩٥٢ م ، فقد وقعت هذه الثورة معاهدة الجلاء في يوليو عام ١٩٥٤ م التي تقضى بجلاء الانجليز عن مصر في مدى عشرين شهراً من تاريخ توقيع هذه الاتفاقية ، ولم توقع إنجلترا على هذه المعاهدة طائفة ، ولكن أكرهها على ذلك مذاقته على أيدي الفدائيين من أبناء هذا الوطن المجاهد حتى لقد تم الجلاء فعلاً في ١٣ يونيو ١٩٥٦ م قبل موعده بخمسة أيام ، لأن إنجلترا وجدت صلابه من قادة الثورة في تنفيذ نصوص الاتفاقية ، ووجد القادة سنداً من شعب مجمع على أن يتشد أزهم ، ولم يجد الانجليز الأساليب السابق اتباعها مع غيرهم من حكام مصر ، فكان الجلاء الذي أجبرت عليه إنجلترا والذي كانت له رنة أسى في السواثر الاستعمارية لأنها عدته بداية غروب شمس الاستعمار عن الشرق ، وهذا هو الواقع . ولذلك فما أن أعين الرئيس جمال عبد الناصر تأميم قناة السويس في يونيو سنة ١٩٥٦ م حتى وجد الاستعمار ذريعة لكي يعيد سيرته ، فتحالفت إنجلترا وفرنسا في محاولة فاشلة عن طريق قاعدة العدوان « إسرائيل » للرجوع مرة أخرى إلى مصر ، وقد انتهت هذه المحاولة إلى ما هو معروف من الفشل الذريع والحزى الشائن .

ولقد أشار الميثاق الوطني الى ألوان ذلك الكفاح التى قدمه الشعب المصرى ليعبر به عن قضية من أروع قضاياها ، وهى قضية الثورة ضد معانى الظلم بأنواعه ، وفى مقدمة ذلك الثورة ضد الاستعمار ، سالكا كل الطرق فى ثورته التى تمكنه من الوصول الى أهدافه العظيمة .

لقد كانت ثورة يولية سنة ١٩٥٢ م شعلة انطلاق الى هذه المرحلة الجديدة والمجيدة فى تاريخ النضال المتواصل للشعب العربى فى مصر .

ولقد استفاد الشعب من كل الدروس التى تعلمها من الانتكاسات التى تعرض لها فى ثوراتها المتعاقبة ، حتى أمكنه أن يصنع ثورة ناجحة ، فرضت على الاستعمار ارادتها وأجبرته على أن يتخلى عن مطامعه ، ويحمل عصاه على كاهله ويرحل عنها على حد تعبير الرئيس جمال عبد الناصر اذ يقول : « ان وادى النيل لم تنقطع فيه أصوات النداءات الثورية فى مواجهة هذا الارهاب المتحكم الذى تسنده قوى الاحتلال الأجنبى والمصالح الدولية الاستعمارية » .

« ان أصداء المدافع التى ضربت الاسكندرية ، وأصداء القتال الباسل الذى طعن من الخلف فى التل الكبير ، لم تكف تخفت حتى انطلقت أصوات جديدة تعبر عن ارادة الحياة التى لا تموت لهذا الشعب الباسل ، وعن حركة التغفية التى لم تقهرها المصائب والمصاعب » (١) .

وانتصرت مصر الحديثة فى كفاحها ضد الاستعمار انتصارا حاسما ، وفرضت ارادتها عليه ، ولم يستطع بكل تحديه أن يجبرها على الفرار من أمامه فى أى معركة يخوضها معها حتى حين لجأ الى وسائله الأخرى المقنعة ، لم يتمكن أن ينال منها شيئا .

لجأ الى ذلك حين قررت مصر أن تبني نفسها ، وتسبق الزمن الذى فرض عليها التخلف ، وحين أرادت أن تخرج من مناطق النفوذ والتبعية ، وتسلك طريقها الذى اختارته بحض ارادتها ، وحين أرادت أن تجهز جيشها بأحدث المعدات والأسلحة وتصل به الى مستواه اللائق به ، وحين أرادت أن يكون اقتصادها ملكا لها وحدها ، وحين أبت أن يكون لأحد دخل فى تقرير ما تريد ، أو رفض ما تريد ، وحين رأت أن مصلحتها تملى عليها أن تكون غير منحازة لأى أحد أو تابعة لأى معسكر . حين رأت ذلك وارانته بدا للاستعمار أن هذه لغة جديدة لم يتعود أن يسمعا ، ولم يتصور أن

---

(١) الميثاق - الباب الثالث .

ينفاهم بها قلعاً الى وسائل الضغط ، والحصار الاقتصادي ، واستعراض العضلات ، والتلويح باستعمال القوة ، والى المناورات الحربية وارسال قطع الأسطول تتمشى فى البحار والمحيطات وتنزل فى الشواطئ العربية أملاً فى أن يفت ذلك فى عضد مصر ، أو يجعلها تفكر مرتين قبل أن تنمادى فى تنفيذ ما عزمته عليه ، أو تتراجع عما صممت على تنفيذه ، أو ربما تختار لنفسها حلاً وسطاً قريباً من منطق الاستعمار !!

ولكن كل ذلك كان مصيره أن تدركت مصر بالتبات الذى أشعر المستعمر بخيبة أمله واصابه بغصة فى حلقه لازال يعاني منها حتى اليوم .

ومضت مصر لا تلوى على شيء ، فعربت الشركات وأعمت البنوك ، وفرضت من القيود الاقتصادية والمالية ما يتمشى مع سياستها التى تختطها لنفسها ، وتخلصت من قيود الاسترلينى ، وعقدت صفقات الاسلحة ، واستقدمت الفنيين ، وتعاونت على مدى واسع مع كافة الدول الصديقة والمحبة للسلام ، وأنشأت لمنتجاتها أسواقاً مختلفة فى القارتين الآسيوية والأفريقية ، وخرجت مصر من كل ذلك ظافرة قوية منتصرة ، وخرج الاستعمار من معركة التحدى ملحوراً مذموماً .

وتعقبت مصر الاستعمار تندد به ، وتفضح أساليبه وتعرف الدول بأشكاله وألوانه ، وتنبيه الشعوب الى أفعاليه ، وتنادى فى كل محفل أو مؤتمر أو اجتماع بالحذر منه والتخلص من مناوراته .

إنها تريد أن تقضى عليه فى شتى صورهِ الصريحة والمقنعة وتخلص العالم من شرهِ وآثامهِ ، سواء كان فى صورة شركات ومعونات أو فى صورة ارساليات ونجدات أو فى صورة وصايات وانتدابات ، أو فى صورة احتلال وقواعد أو كان فى أية صورة من صور ووسائل الاستغلال المختلفة .

وتسكنت بجهادها الدبلوماسى من استصدار قرار من المنظمة الدولية للأمم المتحدة بوجوب تصفية الاستعمار فى العالم وتطهيرهِ منه . حتى يمكن للشعوب أن تأخذ طريقها الطبيعى فى الحياة .

وقد أوضح الميثاق الوطنى السياسة التى تسير عليها الجمهورية العربية المتحدة ، وكان من خطوطها الواضحة الرئيسية : الحرب ضد الاستعمار والسيطرة بكل الطاقات والوسائل وكشفه فى جميع أفعاليته ومحاربه فى كل أوكاره .

« ان نهاية هذا العهد البغيض بالنسبة لكل شعوب العالم تحققت  
بفضل نضال شعبنا .

« ان الاستعمار الذى ما زال متمسكا باهدافه غير أسلوبه ... »

ان شعبنا كان بالرصاد لكل محاولات التنكر والتخفى ، وواصل  
مطاردته لها ، وتجميع قوى الشعب ضدها .

« ان اصرار شعبنا على «حاربة الأحلاف العسكرية التى تريد أن تجر  
الشعوب وغم ارادتها الى فلك الاستعمار - كان صوتا عاليا بالحق فى جميع  
المجالات منها ومحترا ... » (١) .

ان مصر التى جربت الاستعمار ، وذاقت من ضراوته وشره الكثير ،  
ثم قدر لها أن تتخلص منه وتنعم بطعم الحرية وتنسم نسيم الاستقلال ،  
لا يسعها الا أن تكون خير معين ، ونصير للشعوب المتطلعة للحرية ،  
ولا يسعها الا أن تكون هى القاعدة المشعة ، التى تنطلق منها تباشير  
الأمل نحو فجر جديد ، ونحو حياة سعيدة خالية من ذلك الاضطبوط  
الحبيث ، وليس ذلك بغريب عليها فهى قلعة حصينة للعالم العربى ، ومركز  
اشعاع قوى للشعب الآسيوى والافريقى .

---

(١) ليلى - الباب العشر ( السياسة الخارجية ) .



## الدعوات التحررية ونشأتها في مصر

### موقف مصر من الثورات التحررية

جاء في الميثاق : « وإذا كانت الجمهورية العربية المتحدة تشعر أن واجبها المؤكد يحتم عليها مساندة كل حركة شعبية وطنية ، فإن هذه المساندة يجب أن تظل في إطار المبادئ الأساسية ، تاركة مناورات الصراع ذاته للعناصر المحلية ، تجمع له الطاقات الوطنية ، وتدفعه إلى أهدافه ، وفق التطور المعلى وامكانياته » .

« كذلك فإن الجمهورية العربية المتحدة مطالبة بأن تفتح مجال التعاون بين جميع الحركات الوطنية التقدمية في العالم العربي » . إنها مطالبة بأن تتفاعل معها فكرياً من أجل التجربة المشتركة ، لكنها في الوقت نفسه لا تستطيع أن تفرض عليها صيغة محددة لصنع التقدم (١) » .

وهكذا نرى أن مصر بحكم كونها قاعدة للحرية ، وطليلة البعث العربي ، يحتم عليها ذلك أن تقف إلى جانب كل حركة تحررية بل ومن أمامها ومن خلفها ، يحتم عليها ذلك كونها هي القاعدة التي تنشأ عنها كل حركة تحررية في الوطن العربي .

إن المبادئ القويمة التي تسير مصر في ضوئها تدعوها إلى أن تبصر أشقاءها العرب بحقيقة واقعهم وتعريفهم طريقهم ، وتدعوهم إلى أن يشقوا

---

(١) الميثاق الباب التاسع ( الوحدة العربية ) .

يسواعدهم ، ويزيحوا منه كل عقبة تعترض تقدمهم . وتعطل سيرهم أو تقيد خطاهم . سواء كانت هذه العقبات في صورة جنود احتلال أو أذئاب للاستعمار أو انفصاليين رجعيين أو اقطاعيين مستغلين أو نحو هؤلاء وأولئك من أعداء الشعوب .

ولذلك فإن الدعوات التحررية التي تتجاوب في العالم العربي اليوم تنظر الى مصر باعتبارها مصدر الإلهام والوحي . والموجه الأمين ، والمساعد القوي ، أنها تنظر إليها باعتبارها الرائد الذي تتعلم منه كيف تصنع ثورتها ، وكيف تنجح فيها ، ومتى تبدأ ، وإلى أين تسير .

نذكر هذا وأمامنا التاريخ الحديث يشهد بأن مصر رغم انتهاجها سياسة قومية خاصة بها خلال الثلث الأخير من القرن التاسع عشر أملت عليها ظروفها الخاصة مثلة في اشتداد الأزمة المالية ، وازدياد التدخل الأجنبي ، ووقوع الاحتلال البريطاني فإن ذلك لم يجعلها بمعزل عن الحركة القومية في البلاد المجاورة فقد استمرت الروابط الثقافية بين مصر وهذه البلاد ، واتفقت أمانيتها مع أمانى العرب في التخلص من ربقة الاستعمار ، وغدت وتفتت من الحركة العربية الكبرى ، بل غدت مصر مركزا لجمعية عربية ذات أهداف قومية في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين ، وأصبحت موئلا وملجأ لكثير من زعماء العرب ومفكرهم وقادتهم الذين لجئوا الى مصر فرارا من بطش الترك ، كما اشترك بعض المصريين في ثورة العرب على الأتراك في أثناء الحرب الكبرى الأولى (١) .

واستمر تيار الحركة القومية في مصر يقوى ، ويزداد رغم اشتداد وطأة الاحتلال البريطاني ، والحكم التركي في البلاد العربية المجاورة ، وكان لقيام الجمعيات العربية التي تكونت في مصر أثر كبير في اذكاء هذه الحركة ، من أمثال جمعية اللامركزية الإدارية العثمانية التي تأسست في القاهرة في أواخر عام ١٩١٢ م ، وكان لها فروع كثيرة في أنحاء الشام ، وكانت أهدافها تدور حول اقناع الأتراك بضرورة إدارة الدولة على أساس لا مركزي من جهة ، وتوجيه الرأي العام العربي نحو المطالبة باللامركزية من جهة أخرى (٢) . وهذه خطوة في طريق تبصير الشعب العربي بحقه ، وتنبيهه الى واجبه ، ودعوته الى الجهاد في سبيله .

(١) تاريخ العالم العربي في العصر الحديث - دكتور أحمد عزت عبد الكريم و دكتور

عبد الحميد البطريق ص ١٥٤ .

(٢) المصدر السابق ص ١٥٦ .

حتى الجمعيات التي نشأت في غير القاهرة كان يتزعمها مصريون ،  
مثل الجمعية القبطانية السرية التي أصبحت فيما بعد جمعية العهد التي  
تأسست في عام ١٩٠٩ م فقد كان يرأسها عزيز المصري الذي كان في ذلك  
الوقت ضابطا بالجيش التركي .

وكان هدف هذه الجمعية أن تكون الاجزاء العربية في الدولة العثمانية  
دولة واحدة ذات برلمان خاص وادارة محلية خاصة لغتها الرسمية هي  
العربية (١) .

واستمر نشاط هذه الحركات القومية يقوى ويشتد ، ويترك أثره  
في جميع اجزاء العالم العربي ، ويشر بطلوع عهد جديد ، وهو وان لم  
يصادف نجاحا سريعا بسبب عوامل قاهرة الا أنه هباً الاذهان لحو جديد  
وثورات أقوى فاعلية وأسعد حظا وأكثر نجاحا .

وظل الكفاح مستمرا في البلاد العربية حتى نجحت ثورة يولية سنة  
١٩٥٢ م فقصت على كل مظاهر الفساد ، ووضعت مشروعات الاصلاح ،  
وتمكن من اجلاء المستعمر ، وبذلك كانت أول ثورة تحريرية في العالم  
العربي تقوم على أسس ثابتة ، وبرنامج مدروس وخطوات ايجابية  
وسريعة .

ولم تتخل الثورة عن واجبهما في المحيط العربي ، بل قدمت كل  
المساعدات الممكنة وفتحت صفحة جديدة في علاقة مصر بشقيقاتها العربية .  
صفحة أملتها واقعية الحياة والادراك السليم لا يجب أن يكون عليه مستقبل  
الوطن العربي ، وضرورة تكاتفه للوصول الى أهدافه .

فقد أدركت الثورة خطورة هذا التفتيت الذي تعرضت له نتيجة  
للعوامل الاستعمارية هذه الامة العربية ، ومن هنا أمكنها المواءمة بين  
دعوتها الى الوطنية المصرية ودعوتها الى القومية العربية فليس بين  
مفهوميهما أي تناقض ، فكلاهما يدعو الى القوة والنهوض وكلاهما يهدف  
الى تحقيق العزة والكرامة وبناء شخصية عربية لها ملامحها المتفتحة  
المتميزة في العالم .

بدأت مصر الثائرة صفحة جديدة في علاقاتها بشقيقاتها العربيات  
قوامها الاخوة الصادقة والتعاون الوثيق والاخلاص المتبادل ، ووضعت  
سياستها على أساس أن عبء الدفاع عن العرب انما يقع على عاتق العرب

---

(١) المصدر السابق ص ١٥٦ .

أنفسهم ، وأن العرب جديرون بالقيام بهذه المسئولية اذا صفت قلوبهم ،  
وصدقت عزائمهم ، وتوحدت جهودهم ، واستجابت حكوماتهم الى نداء  
القومية العربية ، واتخذتها هاديا لها في سياستها ، وتخلصت من الوان  
السيطرة الاجنبية .

ومن ذلك نفهم أن سياسة مصر التي وضعتها عن طريق ثورتها ،  
لا تؤمن بنظام التكتلات ولا الاحلاف الاجنبية التي ترمى الى فرض سيطرة  
خارجية على البلاد العربية واستقلال مواردها عن طريق ذلك .

ومن أجل هذا حاربت مصر الثائرة حلف بغداد بكل ما أوتيت من  
قوة ، وعدته قيذا يكبل أيدي من التزموا به من العرب ، واعتبرت من أيده  
من الحكام السابقين الذين كانوا يتحكمون في مصير الشعوب العربية  
خارجين على ارادة الشعب العربي مستبدين بسياسته ، ومنحرفين بها عن  
تيار الحركة القومية الصحيحة ، وقد أثبتت الايام صحة نظرية الثورة ،  
فقد هب الشعب العربي في العراق يثبت وجوده، ويصحح تاريخه وينكل  
بالذين أرادوا أن يكبلوه بهذه الاغلال الاستعمارية وانتهى الأمر بانسحاب  
العراق من هذا الحلف المشنوم .

وعن طريق هذا القول نستطيع أن نؤكد أن الثورات التحررية انما  
صنعتها مصر باعتبارها الطليعة التي قادت الشعب العربي في طريقه الى  
أهدافه التحررية الكبرى .

وباعتبار أن ثورتها الناجحة المهمة هي التي أشعلت الحماس في قلب  
كل عربي متحرك ليعمل على بناء مستقبله وفق أهداف القومية العربية التي  
ترجو لهذا الوطن العربي الكبير كل تقدم وازدهار .

وباعتبار الجهاد الذي خاضته مصر وثورتها في سبيل تطوير هذا  
الوطن وانتشاله من وهدة الفقر الذي يعيش فيه رغم كنوزه الدفينة  
وخبراته الكثيرة الأمر الذي أثار عجب حافظ ابراهيم ودعاء الى أن يقول :

أيشتكى الفقر غاديننا ورائحننا ونحن غشى على أرض من الذهب؟

وباعتبار الأنظمة الاشتراكية العربية التي نادت بها مصر الثائرة  
وطبقتها انما هي اشتراكية مستمدة من صميم تعاليمنا وقوميتنا وديننا .

انها ليست اشتراكية مستوردة من الشرق أو الغرب ، ولكنها  
اشتراكية تلتقى أصولها مع أصول هذا الدين الحنيف الذي ندين به ،  
وتلتقى مع السكامة العربية ، ومع المروعة والانسانية ، ومع الحب والوفاء.

دمج طبيعة العرب المجبولين على لين الجانب ونجدة الملهوف ، والتضحية  
والإيثار .

وباعتبار ان هذه الثورة التي صنعتها مصر لا تزال فى ثورة . ورغم  
مرور أكثر من عشر سنوات فانها لم تفقد اندفاعها ، ولم تفقد مع اندفاعها  
توازنها ، ولم تشملها الانتصارات الكثيرة المتوالية التي حققتها ، ولم تقنع  
بما حققت من مكاسب ، بل استمرت فى ثورتها القومية العارمة ، تصنع  
كل يوم ثورة ، وتغرس كل يوم شجرة ، وتجنى كل يوم ثمرة ، باعتبار  
كل ذلك وغير ذلك تعد مصر هى صانعة الحركات التحررية فى كل جزء  
من أجزاء الوطن العربى ، حتى لو تمت هذه الحركات بغير علمها ، لان  
ما قامت به مصر انما هو مقدمة ، ونتائجها هى هذه الحلول الحتمية التي  
تضعها العقول التقدمية لما ينتاب أوطانها من مشكلات ، وتأتى هذه الحلول  
فى شكل انتفاضات ، أو ثورات ، أو حركات قومية .

ولانتجاوز الواقع اذا قلنا : ان ما يحدث فى العالم الاfrیقی الآسيوى  
من حركات تحررية يكاد يكون كله صدى لثورة مصر الناجحة البيضاء  
التي قامت دون أن تراق فيها نقطة دم واحدة ، بل ان ثورة كوبا ، مثلا ،  
قد درست جميع ثورات العالم ، وكان لها من ثورة مصر المثل الكامل ، وهى  
فى نظرها النموذج الأعلى للثورات الناجحة المصلحة ، كما صرح بذلك  
قاداتها وزعمائها .

### احتضان مصر للمناضلين العرب :

وعلى هذا الاساس فلا يمكن لصانعة الأجيال أن تنكر لصانعي  
الأجيال

لا تستطيع مصر وهى الحريصة على مصلحة الشعب العربى أن تغلق  
أبوابها فى وجه محررى الشعب العربى .

لا تستطيع قلعة النضال أن تكفر بإبطال النضال .

ان مصر التي وضعت فى اعتبارها الأول تحرير الوطن العربى ،  
وتحقيق وحدته والوصول به الى أهدافه الكبرى ، لا بد أن تفتح قلبها  
الكبير على سعته ليجد فيه كل محب للحرية أمانه وظله وسلامه وعزته ،  
ولينشد فيه كل وطنى غيور على قوميته ملاذه وحباه .

لا يمكن لمصر إطلاقا أن توعد أبوابها فى وجه دعاة الحرية ، ومنقضى

أوطانهم والعاملين على تطوير شعوبهم ، وانقاذها من هاوية التآخر والاضمحلال .

ان مصر باعتبارها العلة الحصينة للعالم العربي قد لجأ اليها الأحرار المناضلون من كافة الاقطار ، فوجدوا في ظلها كل رعاية واهتمام .

وحين يشتد العسف والجور في مكان ويظلم الجو بما يتراكم فيه من سحب الارهاب والتتكيل وتضييق الأرض على الأبطال بما رحبت ، تصبح مصر في نظر هؤلاء الأبطال هي الشعاع الهادي ، وهي الواحة الوارفة الغلال ، فيقبلون اليها ، فرارا بايمانهم بوطنهم ، واستعدادا لوثبة أكبر في جولة مقبلة .

وقد جاء الى مصر كثير من الأحرار ، وكانت عند حسن ظنهم بها ، فأمدتهم بكل ما يحتاجون اليه من عون مادي وأدبي ، وشجعتهم على المضى في دعوتهم التحررية .

وقد سبق أن أشرنا في أثناء ما مر من أحداث الى بعض هذه الاستقبالات التي تمت في مختلف مراحل التاريخ المصري ، وكيف وجد الوافدون في ظل مصر المتحررة كل رعاية وعطف .

ونشير في هذا الموضع الى بعض هذه الوفادات التي تمت في تاريخ مصر الحديث .

جاء المرحوم الامير عبد الكريم الخطابي الزعيم المراكشي الذي قاد ثورة الريف وجاهد ضد الاسبان والفرنسيين ، وكان مثلاً مشرفاً في الجهاد والكفاح ، وأصبح مقره في القاهرة مركز اشعاع للوطنية الصادقة والجهاد المخلص ، وظل بمصر حتى وافته المنية ودفن بها في مشهد مهيب واحتفال رائع يليق بماضيه المشرف في الوطنية والجهاد ، ولا تزال أسرته محل عناية ورعاية من أشقائهم المصريين وقادة الشعب المصري الأمين .

كما جاء اليها من تونس كثير من الأحرار الذين حملوا لواء الجهاد وكافحوا في سبيل تحرير البلاد من الاستعمار الفرنسي وكان من بين هؤلاء الوافدين الحبيب بورقيبة رئيس جمهورية تونس الآن جاء مع كثير من التونسيين الذين جاهدوا في سبيل تحرير شعب تونس من الاستعمار الفرنسي ، فأكرمت مصر وفادتهم ، وافسحت صدرها لهم وأعانتهم في جهادهم .

ومن ليبيا جاء واقدون كثيرون فرارا من الارهاب الايطالي الذي قام

ينكل بالأحرار الليبيين المطالبين بحرية بلادهم واستقلالها ، ومن هؤلاء  
الأحرار المجاهد الكبير عمر المختار ومعه نفر كبير من أنصاره وأخوانه ،  
وقد رحبت بهم مصر يومها حكومة وشعبا ، ولبت عمر المختار في مصر  
فترة غير قصيرة ، وبعدها عاد الى ليبيا ليعاود الجهاد ضد الايطاليين بعد  
أن تزود لهم من قلعة العروبة زادا قوى معنوياته فصمد لهم فترة طويلة حتى  
تمكن المستعمرون من اعتقاله ومحاكمته محاكمة صورية انتهت بإصدار  
الحكم بإعدامه بعد حياة حافلة بالجهاد والبطولة ، وقد تأثرت مصر كثيرا  
بهذا الحكم ، وكان له صدى شديد في دواثرها أثار خواطر الشعراء وألهب  
حماس المفكرين والوطنيين وقد رناه أمير الشعراء بقصيدة يستثير بها  
حمية الشعب العربي ويستحثه على المطالبة بحريته جاء في مطلعها :

ركزوا رفاتك في الرمال لواء      يستنهض الماضي صـباح مساء  
يا ويحهم نصبوا منارا من دم      يوحى الى جيل الضد البغضاء  
ماضر لو جعلوا العلاقة في غد      بين الشعوب مودة وأخاء ؟

في سنة ١٩١١ وجه الايطاليون مدافعهم الى مدينتي : طرابلس ،  
وبنغازي ، وانطلقت القذائف على أهل البلاد الذين تركهم العثمانيون  
وحدهم في الميدان ، وتأهب الليبيون للدفاع عن وطنهم ، ووقفوا أمام  
طائرات العدو ودباباته ومدافعه بعزم قوى ، وشجاعة نادرة ، بقيادة البطل  
العربي عمر المختار ، ذلك الشيخ العجوز الذي استطاع أن يزلزل أركان  
الاستعمار الايطالي ، وينتصر عليه أروع انتصار .

وفد عمر المختار على « مصر » يدعو الزعماء الليبيين الى الكفاح ، غير  
أنهم نصحوه بأن يبقى في مصر وأن يستقر فيها .

ومن العراق وفد الثائر الحر رشيد عالي الكيلاني ، الذي قام بانقلاب  
عسكري في ابريل عام ١٩٤١ وأطاح بالحكومة القائمة ، وجعل الملك ،  
والوصي على العرش ، وعددا من رجال السياسة في العراق يفرون الى  
خارج البلاد .

ولكن لم يقدر لهذا الانقلاب أن يصبح ثورة ناجحة ، فقد احتلت  
انجلترا العراق وضيققت الخناق على ذلك المجاهد الذي كان قد بدأ في  
تنفيذ بعض برامج الإصلاحية وأخيرا لجأ رشيد عالي الكيلاني الى مصر ،  
حيث وجد في ظلها الرعاية والحماية ، وقد ظل بها حتى قامت ثورة يوليو  
سنة ٥٨ في العراق ، واعترفت بثورته الماضية واعتبرتها ثورة وطنية ،  
وطلبت اليه الرجوع الى العراق لينال ما يستحق من تكريم ، وأيضا لم  
يقدر لهذه الثورة أن تستمر على منهجها التحرري الذي رسمته لنفسها .

ولكنها انحرفت عن طريقها على يد عبد الكريم قاسم الذي سجن الاحرار ونكل بالمجاهدين وقبض على زعماء هذه الثورة وزج بهم فى ظلمسات السجن ، وفر من الاحرار من استطاع الفرار ولجأ الى مصر ، وظل من وفد اليها محل رعايتها حتى أذن الله للأوضاع أن تصحح فى العراق مرة أخرى معادوا أحرارا الى وطن حر .

وحين حدثت مأساة فلسطين ، وامتنحت البلاد العربية بأكبر كارثة عرت عليها فى تاريخ حياتها ، وجد الفلسطينيون أنفسهم مشردين لا مأوى لهم ، فقد انتزع الصهيونيون وطنهم وأخرجوهم من ديارهم واستولوا على ممتلكاتهم ، وظاهروهم فى ذلك الاستعمار الحيث ومكن لهم وبذلك صنعت هذه الدول الاستعمارية - التى تزعم أنها متحضرة - أكبر مشكلة فى العالم تسمى اليوم باسم مشكلة اللاجئين .

وفد فتحت مصر صدرها لاستقبال الآلاف منهم ، وكان فى مقدمتهم كبير من رجالاتها الأحرار ، ولا زالت مصر تقوم بواجبها ازاء هؤلاء الاخوة فى العروبة بكل اخلاص ، وتقدم لهم كل المساعدات الممكنة من مادية ومعنوية ، وقد احتضنت قضيتهم وتبنتها ، وجندت نفسها لها واعتبرتها مشكلة من أخص مشكلاتها وأصبحت عودة الفلسطينيين الى ديارهم هدفا قوميا من أهداف الجمهورية العربية المتحدة ، لن يثنىها عن العمل فى سبيل تحقيقه أى عائق ، وسيأتى اليوم الذى ترد فيه لهؤلاء العائدين كرامتهم ، ويعودون الى وطنهم السليب موفورى العزة مرفوعى الرأس .

ولا ينكر أحد الدور الذى قامت به مصر فى تأييد الثورة الجزائرية ، لقد كان دورا رائعا يشهد بمقدار ما تؤمن به مصر من نضال فى طريق العزة والعمومية العربية ولقد رأت فرنسا مدى خطورة هذا الدور ، فإرادت القضاء على ثورة الجزائر عن طريق القضاء على قاعدة الحرية فى الشرق ، فدبرت العدوان الغادر على مصر بمساعدة انجلترا واسرائيل ولكن خاب فآلها ، وطاش سهمها وذهبت أمانيتها أدراج الرياح ، وكان ما كان من أمر العدوان ونهايته .

ذهبت مصر فى تأييدها للجزائر الى أبعد غاية ، وكان مركز حكومتها المؤقتة فى القاهرة ، وظلت مصر مؤيدة للثورة الجزائرية حتى انتصرت الجزائر ونالت استقلالها ، وتمتعت بحقها فى الحرية والحياة الكريمة ، وتتابع اعترافات القادة والزعماء الجزائريين بفضل مصر وتضحياتها فى سبيل وصولهم الى حقهم الذى طال الأمد عليهم وهم يحلمون بتحقيقه .

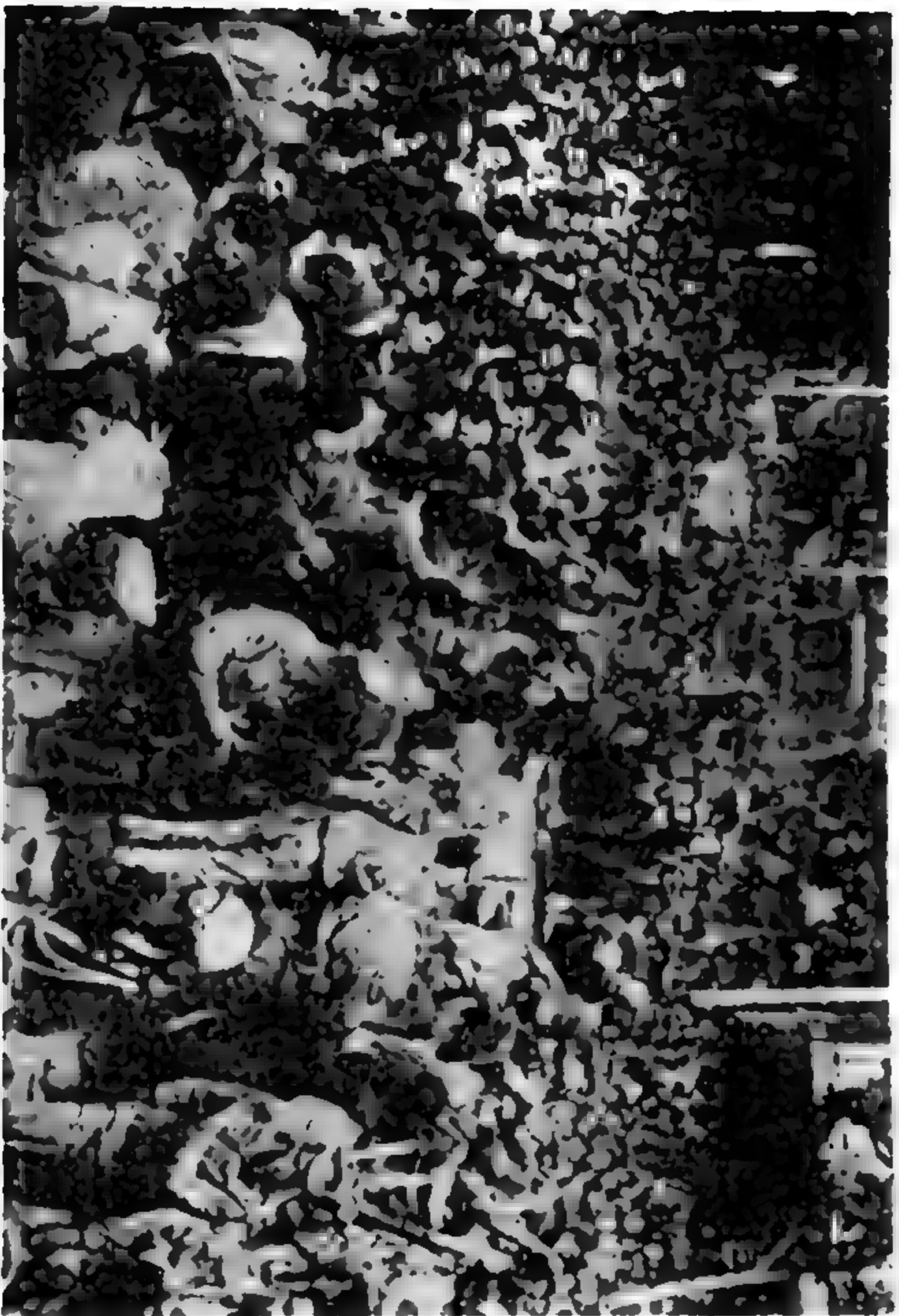


وتوجت الجزائر انتصارها وثورتها باستقبال رائد القومية العربية جمال عبد الناصر الذي زارها في مايو سنة ١٩٦٣م ، فاستقبله الشعب الجزائري استقبال من يعترف بالحق لأصحابه، ويقدر الدور الايجابي الذي قامت به مصر في مساندة ثورته . . . لقد خرجت جموع الشعب الجزائري في عاصمته ومختلف المدن الجزائرية وقراها لتحية ذلك البطل الذي كان له الفضل الأول في نجاح الثورة الجزائرية ، وتجلي العرقان بالجميل في بيان وزارة الدفاع الجزائرية ، الذي أذاعته بمناسبة هذه الزيارة وجاء فيه « ان الجزائر ستعيش غدا يوما تاريخيا لأنها وقد ظفرت بحريتها واستقلالها ، ستستقبل بطلا من عظماء الأبطال في الكفاح المناهض للاستعمار ، وتستقبل أعظم صناع الوحدة والاشتراكية العربية : جمال عبد الناصر . . . . . اننا نحى في شخص عبد الناصر اخواننا العرب الذين ساعدونا منذ الأيام الأولى دون غرض ذاتي . . . . . ولن ننسى اطلاقا المساعدات المادية والمعنوية التي تلقيناها والتي كانت من الأسباب الكبرى في انتصارنا . . . . . »

هذا ولا زالت القاهرة تتطلع اليها أعين المجاهدين في كافة أنحاء العالم العربي والاسلامي . ويجدون من حديدها شعاعا يبرر لهم الشوق في جهادهم ويصل بهم الى غاياتهم الكريمة التي يرجونها لوطانهم وللانسانية جمعاء .

وعناك أمثلة كثيرة لا يتسع المجال لسردها ، ولن تكف مصر عن مساعداتها لهؤلاء النوار ومعونتهم لمواصلة كفاحهم ضد عوادي الظلم والاستعمار ، ولن نتوانى في العمل على تمكينهم من بناء بلادهم على أسس جديدة تسير تطور العصر الحاضر ومقتضياته .

مسکای مرغابی در مازندران



## نص خطاب

السيد الرئيس جمال عبد الناصر

في الجزائر عند زيارته للشعب الجزائري

في ٤ مايو سنة ١٩٦٣ :

أيها الاخوة المواطنين ..

أيها الاحرار ..

الحمد لله ، الحمد لله الذي أعطانا هذه الفرصة ، لنرى الأمانى وقد  
تحققت .. الحمد لله فقد كنا نحلم أن نرى الجزائر العربية ، فقد رأينا  
اليوم الجزائر العربية ، وشعب الجزائر الثائر ، الحمد لله ، الحمد لله أيها  
الاخوة ..

أيها الاخوة .. حينما التقيت بكم اليوم ، وكنت في شوق الى أن  
أرى شعب الجزائر الثائر البطل .. حينما التقيت بكم في ظهر اليوم ،  
كنت أشكر الله من كل قلبى الذى مكّننى من أن أعيش هذا اليوم ، كنت  
أشكر الله من كل قلبى .

وحينما التقيت بكم أيها الاخوة بعد خروجى من الميناء ، وأنا أحمل  
لكم مشاعرا اخوة لكم في المشرق العربى ، في مصر وفي سوريا وفي  
العراق ، وفي كل بلد من بلدان المشرق العربى رأيت نفسى بينكم وكأني  
في مصر أو كأني في سوريا ..

حينما سمعت الى هتافكم في ميدان بورسعيد .. سمعت الهتاف :  
فلسطين ، فلسطين .

في ميدان بورسعيد سمعت الهتاف للقومية العربية ، في ميدان  
بورسعيد وعلى طول الطريق سمعت الهتاف للوحدة .. وكنت أقول لأخي  
احمد بن بيلا : اننى حينما أرى هذا الشعب الثائر أشعر اننى بين أهل  
بلدى .. بين أبناء العروبة .

أشعر أن الهتاف الذى أسمعه اليوم ، فى هذا المكان ، هو الهتاف  
الذى سمعته أمس فى مصر .. وفى سوريا .. وفى العراق .

أيها الاخوة المواطنون ..

ان العرب أمة واحدة ، هذه هى الوحدة العربية الحقيقية ..

أيها الاخوة المواطنون ..

ان الوحدة خلقتها الشعوب منذ أول يوم ، وجمال عيد الناصر لم  
يعمل أى شئ لشعب الجزائر ، ولكن الشعب العربى الذى آمن بوحدته ،  
والذى آمن بحريته .. الشعب العربى فى مصر هو الذى كان يكافح من  
أجل أن يتخلص من الاحتلال البريطانى ، كان يشعر بوحدته مع الشعب  
الثائر الجزائرى ، الذى يريد أن يتخلص من الاستعمار الفرنسى ، ويحصل  
على حريته .

كان هذا هو ما جمع بيننا ، كان هذا هو ما وحدنا على مر الأيام وعلى  
مر السنين .. وحدتنا أيها الاخوة ، وحدتنا الممارك الطويلة ، وحدتنا  
المشاعر المتشابكة ، وحدتنا السماء التى ارتبطت على مر السنين وعلى مر  
القرون ، وحدتنا هذه الامة العربية التى كافحت طويلا من أجل أن تبقى  
حرة عربية ، والتى بذلت الشهداء وبذلت السماء .

منذ عشرات السنين ، ومنذ مئات السنين ، لم تنس أبدا حريتها  
ولم ينس الشعب فى مصر أبدا أن الجزائر لابد أن تكون عربية ، وأن شعب  
الجزائر الثائر لا بد أن ينتصر ..

أيها الاخوة المواطنون ..

أيها الاخوة الاعزاء ..

لم نفرقنا الا دسائس الاستعمار ، والا الاطماع ، والا الحرب الطبقية التي سلطت علينا والا الاستغلال ، ونحن أمة واحدة ، وكنا دائما أمة واحدة ، يشعر الفرد منكم ، هنا في الجزائر بما يحدث للفرد في مصر أو في سوريا أو في العراق أو في اليمن ..

وأنا على ثقة - أيها الاخوة الاعزاء - أنكم هنا ، كنتم تشعرون بالحرب في اليمن ، كما يشعر بها الشعب اليمني الثائر ، وكما يشعر بها الجيش المصري الذي يعجل في اليمن .

أشعر بهذا - أيها الاخوة - لأنني في مصر ، وفي سوريا ، كنت أشعر بمشاعر الشعب المصري ، والشعب السوري ، والشعب العربي في المشرق تجاه الجزائر ، وتجاه ثورة الجزائر وقد رأى ذلك أخي احمد بن بيلا بنفسه .. رأى ذلك كل من زار المشرق العربي .

ان المشرق العربي الذي آمن بوحدة وبوحدة الأمة العربية ، قبل أن تكون هذه الوحدة دستورية .

ان المشرق العربي الذي آمن بالوحدة العربية وان أمة العرب واحدة ، وان كفاح العرب واحد ، كان يشعر دائما أن لابد لشعب الجزائر أن ينتصر .

وحينما التقيت في عام ١٩٥٤ ، بالأخ احمد بن بيلا ، حينما أعلن الثورة وكان في القاهرة شعرت - أيها الاخوة - وهو يتكلم ، أنه يتكلم عن آمال شعب ، عن آمال شعب الجزائر ..

شعرت - أيها الاخوة - وهو يتكلم بثورة مثل ثورة شعب الجزائر ، شعرت منه - أيها الاخوة - بإيمان .. بانتصار شعب الجزائر ، حينما التقيت بالأخ احمد بن بيلا سنة ١٩٥٤ كنت على ثقة أن الجزائر لا بد أن تنتصر بصون الله ما دام فيها مثل احمد بن بيلا ، وما دام فيها هذا الشعب .

الشعب لا بد أن ينتصر

وقال احمد بن بيلا - أيها الاخوة - في هذه الايام ان الشعب لا بد أن ينتصر وأن للثورة أن تنتصر .

## أيها الاخوة ..

وأنا بينكم اليوم بعد أن ثرتم وبذلتم ورفعتكم ، بذلتكم الدماء وبذلتم الروح .. وأنا بينكم اليوم هنا في أرض الجزائر ، أرض الاحرار ، أرض الثوار .. الملايون شهيد أحمد الله من كل قلبي ، أحمد الله الذي أعانكم على الصبر أكثر من سبع سنوات بالنورة وفي القتال حتى تحقق النصر .. أحمد الله الذي مكن لكفاحكم أن ينتصر وأن تلتقي ثورتكم هنا المنتصرة في الجزائر بثورة الشعب العربي في مصر وبثورة الشعب العربي في العراق .. وبثورة الشعب العربي في سوريا .. وبثورة الشعب العربي في اليمن .. وبثورة الشعب العربي في كل بلد عربي من أجل الحرية ومن أجل الاستقلال ، ومن أجل الوحدة العربية .

## أيها الاخوة المواطنون ..

كنت أتمنى أن أرى الجزائر عربية ، كنت أتمنى منذ قامت النورة سنة ١٩٥٢ أن أرى الانجليز وقد خرجوا من مصر .. وأن أرى الجزائر وقد استقلت وأصبحت عربية ، وأن أرى الأمة العربية وقد توحدت وأصبحت دولة عظمى تعيد الأمجاد القديمة ، الأمجاد المبنية على الحرية وعلى العدالة وعلى المساواة وعلى العمل من أجل الانسان ومن أجل حرية الانسان .

وأنا اليوم - أيها الاخوة المواطنون - بينكم ومعى أخى أحمد بن بيلا الذى التقيت به فى سنة ١٩٥٤ ، وكله أمل ، وكله أمل فى الحرية وفى الاستقلال .. أنا اليوم ، وأنا بينكم أحمد الله الذى أعطانا هذا النصر الكبير ، أحمد الله الذى أعطى هذا الشعب الثائر قوة الايمان ، ليدفع الثمن الغالى ، الملايون شهيد ، الملايون بطل ، الجزائر أرض النوار تفخر بكم .

## الجزائر أرض الثوار

### أيها الاخوة العرب فى كل مكان ..

ان الجزائر أرض الثوار ، الجزائر بلد الأبطال ، الجزائر بلد الشعب الذى خاض وجاهد وكافح فصم ، فصم على أن يرفع علم الحرية .. وأنا

اليوم بينكم ، وأرى علمكم ، علم الجزائر الحبيب الذى نسجتموه بأيديكم وعرقكم ودمائكم وبأرواح شهدائكم ، وقد ارتفع عاليا . ليعلن للعالم أجمع أن شعب الجزائر قد استقل ، وأن شعب الجزائر قد تحرر ، وأن شعب الجزائر قد أعلن اليوم - أعلن اليوم - بحرية عن طبيعته ، عن انفعاله ، عن أحاسيسه ، أعلن عن إيمانه بالقومية العربية والوحدة العربية وأعلن عن إيمانه بالحرية العربية ..

اننى أيها الاخوة ، اننى اليوم شعرت بقوة كبرى وأما أسير بينكم ، بينكم من الميناء الى قصر الشعب ، لاننى فعلا أحسست بمشاعر هذا الشعب البطل المكافح المناضل .. أحسست بمشاعر هذا الشعب الذى تحرر ، وأصبح تحرره سياسة لقوة الأمة العربية .

### الحرية وفرفت علينا

اليوم أيها الاخوة المواطنين وأنا كنت أمر بينكم ، كنت أحس بالمعارك التى دخلها اخوتكم ، والمعارك التى خضتموها هنا .. بالدفع والبنادقية ، وبكل شيء من أجل الحرية .. وأحمد الله أن الحرية وفرفت علينا فى المشرق ، وأن الحرية وفرفت أعلامها هنا فى المغرب . وإن أمة العرب تسير رافعة أعلام الحرية ، وهى تعمل بعد أن دفعت الدماء ، وبعد أن دفعت الأرواح ، وبعد أن ضحت وناصلت ، لترفع راية الكرامة الانسانية ..

اننا هنا اليوم معكم أيها الاخوة ، أيها الاخوة ، أيها المناضلون ، أيها الشوار .. وقد انتهت ثورتكم المسلحة من أجل الحرية ، ومن أجل الاستقلال ، وبدأت ثورتكم الكبرى من أجل الاشتراكية .. ومن أجل العدالة الاجتماعية ..

### واجهنا نفس العدو

اننا معكم .. لقد سرنا فى هذه المعركة ، اخوتكم فى مصر تخلصوا من الاستعمار .. وتخلصوا من الاحتلال ، ثم جابهوا العدوان الثلاثى ، وجابهوا عدوان اسرائيل وقتلوا ، وصبروا ، وانتصروا ، وكان كل فرد منهم يعرف أنه انما يدافع عن أرض مصر . وفى نفس الوقت يدافع عن أمة العرب كلها .

## رفعنا راية العدالة

ثم بعد هذا بدأنا في رفع راية العدالة الاجتماعية لتتخلص من السيطرة التي قاسينا منها في الماضي ، سيطرة الطبقة المستغلة ..  
تخلصنا من الاقطاع ، وتخلصنا من سيطرة رأس المال المستغل . ورفعنا راية العدالة الاجتماعية لأننا كنا نعرف أن الحرية جناحها الديمقراطية والاشتراكية .

والاشتراكية أيها الاخوة ، هي الديمقراطية الاجتماعية .

## ماذا نرى بينكم ؟

واليوم ونحن معكم هنا ، نرى أنكم تبثون بلدكم بالعرق وبالكفاح .. كما حصلتم على حريتكم بالنم وبالأرواح .

ونقول لكم .. اننا نساندكم دائما كما سانددناكم في الماضي، ونعرف أن هذه المساندة هي قوة لنا ، لأن شعب الجزائر التائر ، شعب الجزائر الحر ، حينما يساند الامة العربية .. انما يكون قوة للامة العربية كلها ، في كل شبر من أرجائها .

## أحاسيس لا يمكن وصفها

أيها الاخوة المواطنون ..

ان الأحاسيس التي شعرت بها اليوم وأنا القاكم .. ان الانفعال الذي شعرت به اليوم وأنا بينكم ، لا يمكن لانسان أن يتخيله .. لان هذا اليوم ، في الحقيقة كان يظهر لنا في الماضي أنه حلم ولكن الله كبير ، الله الذي نصركم ، كنا نشعر أن ما رأيناه اليوم ، كنا نحلم به منذ سنوات ولكنه أصبح حقيقة .

الحمد لله الذي مكنتنا من أن نرى هذه الفرصة لنرى الجزائر العربية، الجزائر المستقلة .. وأنا أشعر اليوم بفرحة أخي احمد بن بيلا واخوانه الذين جاهدوا وقاتلوا معه ، أشعر أنه في سنة ١٩٥٤ أيضا كان يحلم بهذه الأيام .. فقد قال لنا اليوم انه كان يحلم بهذه الايام .. اننا نحمد الله ، نحمد الله الذي أعطى هذا الشعب القوة والقدرة على الكفاح .. والذي أعطى هذا الشعب هذا القائد المناضل المكافح الذي قاده من أجل النصر ومن أجل الحرية ..



أقد قال احمد بن بيلا فى سنة ١٩٥٤ أن لا بد أن تنتصر أو أن  
نستشهد من أجل الحرية .. من أجل الاستقلال .  
الحمد لله الذى نصر احمد بن بيلا وانتصر شعب الجزائر الحر  
المكافح ..

أيها الاخوة ..

اسمحوا لى أن أنقل اليكم تحية كل فرد من أبناء الجمهورية العربية  
المتحدة ..

وكما قلت لكم كانوا جميعا يعيشون معكم ثورتكم ، وكفاحكم ، وقد  
الرحوا جميعا بانتصاركم ..

فاسمحوا لى أن أقول للأخ احمد بن بيلا اننا من كل قلوبنا نرجو من  
الله أن ينصرك وينصر الشعب الجزائرى فى مرحلة البناء والاشتراكية ،  
كما نصرك ونصر شعب الجزائر فى مرحلة الحرية والاستقلال ..

### الشعارات التى نحققها

اننا - أيها الاخوة - فى هذه المرحلة نسير جنباً الى جنب فى كل  
مكان من أرجاء الوطن العربى ..

من أجل البناء ، من أجل الاشتراكية .. من أجل العدالة الاجتماعية،  
من أجل أن نرفع أعلام الحرية وأعلام الاستقلال .. من أجل أن نبني  
الأمة العربية القوية الموحدة .. التى يشعر كل فرد فيها بالهزة والحرية  
والكرامة والمساواة .

اننا نسير من أجل تحقيق الشعارات التى سمعناها اليوم وأنا أسير  
بينكم ، القومية العربية ، تحرير فلسطين ، الوحدة العربية ، بناء الدولة  
العربية الموحدة الكبرى .. وهذا سيكون بعون الله ، وبفضل كفاحكم ..  
ونضالكم ، ونضال الشعب العربى فى كل مكان فى أرجاء الوطن  
العربى .

والله الموفق والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

## موقفها من الحركات التحررية

ان موقف مصر من جميع الحركات التحررية موقف معروف يدل على فهم واسع ، وادراك سليم ، ونحن هنا نفسح هذا المجال للزعيم العربي المجاهد الجزائري ليبدى رأيه اذ كتب تحت عنوان :

ماذا يمثل عبد الناصر (١) ، يقول :

« الحق ان الثورة المصرية التي قادها الاخ المناضل جمال عبد الناصر عام ١٩٥٢م كانت نقطة تحول خطيرة في وطننا العربي وافريقيا ، بل وفي الحركة الثورية العالمية ضد الاستعمار والامبريالية ، ان هذه الثورة قد استطاعت لأول مرة أن تطلق القوى الشعبية الساعية للتحرر والتغيير الاجتماعي من قيود العالم الاستعماري والامبريالي . وجمال عبد الناصر يمثل موضوعا القيادة الجديدة الواعية بعمق لوحدة الهدف التحرري الوطني ، وهدف التقدم الاجتماعي في طريق الاشتراكية لأعلى النطاق المحلي فمحسب ، بل على نطاق الوطن العربي ككل ، وافريقيا ككل ، والحركة الثورية العالمية ضد الاستعمار ككل ، ومن هنا تتبع قيمته الجوهرية العالمية المعاصرة . »

« وبدون فهم هذا لا يمكن فهم تحرك عبد الناصر الثوري السريع لمساندة الثورة اليمنية الباسلة بكل هذه القوة والحيوية في الحركة ، وبدون فهم هذا أيضا لا يمكن فهم مساندته الحياوية للثورة الجزائرية ، »

(١) الاحرام في ٢٧/٤/١٩٦٣ م .

ولا أذيع سرا اذا قلت : ان عبد الناصر لم يتردد لحظة في تأييد قيام هذه الثورة ماديا ومعنويا ، وكان واثقا الى أبعد حد من نجاحها . والحق أن الشعب المصري وثورته وقيادته التي يمثلها جمال عبد الناصر ، قد تحملا بحق في سبيل قضايا الثورات التحررية العربية والافريقية أكبر قسط من المسؤولية التاريخية ، يحق لهم أن يفخروا به ، ويوم يكتب التاريخ هذه المرحلة المعاصرة سيكشف العالم أن ما عرفه عن دور ثورة الشعب المصري في عام ١٩٥٢م وعن دور جمال عبد الناصر القيادي ، لا يعدو أن يكون جانبا صغيرا جدا من الحقيقة .

ثم اسمعه ايضا يقول بعد أن ولاء شعبه رئاسة الجمهورية الجزائرية أثر نجاح الثورة :

« ان جمال عبد الناصر كان هو الرجل الوحيد من بين جميع الرجال الذين اتصلنا بهم قبيل ثورة نوفمبر سنة ١٩٥٤ . كان لا يرى في حركة الشعب الجزائري التي لم تكن تضم غير ثلاثة الاف مقاتل يعوز معظمهم السلاح مقاومة طائشة خاسرة ، وانما رآها ثورة عميقة الجذور قادرة على تفجير طاقات الشعب كله في الجزائر والوطن العربي وافريقيا ، والانتصار على المليون جندي فرنسي المسلحين باحدث الاسلحة والمستندين الى حلف الاطلنطي . ومن هنا بادر منذ الدقيقة الاولى الى مساندتها ومدها بالسلاح » .

وتقول مجلة الطليعة في عددها الثاني تعقيبا على ذلك أن نفس هذا الموقف اتخذته جمال عبد الناصر بلا تردد بالنسبة لثورة اليمن سنة ١٩٦٢ . وثورة شعب الكونجو ، بالنسبة لتخطي كل الخلافات العربية لبناء وحدة عمل عربي مشترك ضد العدوان الاسرائيلي . . .

وحقا ذلك فان دور الشعب المصري وثورته في تأييد الحركات التحررية دور ايجابي لا يكتفى فيه بالتأييد الادبي ، ولكنه يصل في كثير من الاحيان الى تبني هذه الحركات واحتضانها والتضحية من أجلها بالنفس والنفس حتى تصل الى بر السلام والامن .

وقد بدا ذلك واضحا في موقف مصر من ثورة الجزائر نفسها التي تحدث عنها زعيمها احمد بن بيللا ، فقد أدرجت مصر في ميزانياتها حسابا خاصا بثورة الجزائر ، وقامت بكل ما يمكن أن تقوم به دولة تشعر بتبعتها الحقيقية نحو شعب عربي شقيق يريد أن يتحرر . ولم تنظر مصر الى الجزائر الا النظرة التي تملأها عليها واجباتها كشقيقة كبرى

تشعر نحو شقيقتها الناهضة بشعور الحب العميق والاخوة الصادقة والوفاء الصادر من الاعماق الذي تحتمه صلات العروبة والدين .

وسخت مصر الى غير حد في المعونات المبدولة - للجزائريين من غنية وعسكرية وطبية وغيرها مما تتطلبه الظروف ، وتبنت قضيتها في هيئة الامم المتحدة ، وراحت تدافع عن حق الجزائر في تقرير مصيرها بكل ما وسعها من جهد وقوة ، وفضحت اساليب الاستعمار وانهزمته بالقرصنة والخروج على السلوك الادبي والذوق العام في المعاملات لاسيما بعد حادث اعتقال الزعماء الخمسة في أكتوبر عام ١٩٥٦ م .

ولم تشعر مصر بالارتياح الا بعد أن توجت الجزائر كفاحها بانتزاع استقلالها وتسليم العدو بحقها في تقرير مصيرها ، وبذلك أصبحت دولة مستقلة ذات سيادة .

هذا ولا زالت مصر تقف الى جوار الجزائر في معركتها الثانية التي تخوضها في سبيل تطوير نفسها وبناء مستقبلها وتعمير بلادها .

وكما وقفت مصر بجوار الجزائر ، وقفت كذلك بجوار العراق حين أعلن ثورته الأولى والثانية . ففي ١٤ يوليو سنة ١٩٥٨ م انطلقت ارادة الشعب العراقي في حركة ثورية يعبر بها عن نفسه ويقضي على الطغيان الجاثم على صدر البلاد ممثلا في الاستعمار الانجليزي وعملائه وصانعي حلف بغداد . وكانت الجمهورية العربية المتحدة اول دولة أعلنت اعترافها بهذه الثورة ووضعت جيشها بكامل معداته تحت تصرف الشعب العراقي الشقيق .

ولما انحرفت هذه الثورة ظلت مصر على وفائها لشعب العراق مفرقة بين الشعب وبين حكامه المنحرفين ، وظلت تساند هذا الشعب وترماه حتى اذن الله لهذا الشعب الشقيق أن يتخلص من هؤلاء المنحرفين ، وحتى قامت ثورة ١٤ رمضان ١٣٨٢ هـ ، التي صححت طريق الثورة الماضية ، وأعادت الامور الى نصابها ، وبذلك رجع زعيم الثورة الحقيقي الى مكانه الحقيقي ، في قيادة الثورة الرشيدة الى بر الامان .

وكما سارعت مصر الى مباركة الثورة الاولى قبل انحرافها ، سارعت الى مباركة تصحيح هذه الثورة بعد قيام حركة ١٤ رمضان ، وكذلك أثبتت الجمهورية العربية المتحدة أنها في صف كل دعوة تقدمية وضد كل دعوة انتهازية معوقة للنضال العربي .

وفي عام ١٩٥٨م اشتدت حركة المقاومة الشعبية ضد السياسة الاستعمارية التي كان بعض أذناب الاستعمار يحاولون تحقيقها في لبنان ، وقامت الثورة الشعبية تنادى بسقوط ذلك الحكم الرجعي الذي يهدف الى تثبيت أركان الاستعمار في الشرق الأوسط ، وقد استنجد هؤلاء الأذناب وقتذاك بالدوائر الاستعمارية التي أرسلت بعض قطع الاسطول السادس ونزلت جنوده في شواطئ لبنان .

لم تنظر « مصر » الجمهورية العربية المتحدة بعين الرضا الى هذه التحركات الاستعمارية ونظرت بعطف بالغ الى الثورة الشعبية التي حاولت أن تخلص لبنان من هذا الحكم الرجعي وقد كان مصير هذا الحكم فعلا الانهيار كما انهارت قبله الانظمة المماثلة ، وكما ستنهار كل الانظمة التي تحاول أن تفرض بقاءها عن طريق استجدائها رضى الحكومات الاستعمارية والاستنجاد بها كلما أخرجها شعبها .

ان الزمن الآن ليس مع الحكومات بقدر ما هو مع الشعوب . ولقد أثبتت كل هذه الثورات التحررية أن ارادة الشعب لا تغلب ، وأن الكلمة الأخيرة لا تقولها الحكومات ، ولكن يقولها الشعب بإيمانه العميق ، وحقه الغالب ، ووعيه الصادق ، وارادته النافذة .

ولقد رأينا موقف الجمهورية العربية المتحدة من معركة الكونفو . وتأيدتها المطلق لمنطق العدل والحرية الذي كان ينادى به لومومبا ، وقد استنكرت كل ما حدث من الاعيب انتهت بكل أسف بمصرع الزعيم المجاهد لومومبا الذي ابلى بلاء حسنا في تحرير شعبه وانتزاع حقه من برائن الاستعمار البلجيكي الرهيب .

كما انها لا تزال تؤيد كل حركة تحريرية في الوطن الافريقي تهدف الى التسليم بحق الشعب واعطائه حياته وحرية كما يتجلى في موقفها من حكومة روديسيا البيضاء ، وحكومة جنوبي افريقية .

ولا يمكن أن ينسى اطلاقا موقف الشعب المصري من ثورة اليمن الخالدة التي قامت في سبتمبر عام ١٩٦٢م وربما كان جائزا لولا معونة الجمهورية أن تتلاشى هذه الثورة كما تلاشت الثورات التي قامت قبلها . فان نحو الف عام قضتها أسرة حميد الدين في التسلط على الشعب اليمني تركت رواسب عميقة في عقول الشعب وأحاسيسه ، كما مكنت هذه الاسرة لنفسها بكل الوسائل الرهيبة التي لا تخطر على بال ، ومن بينها نظام الرهائن المعقوت .

وكانت اليمن على سعتها تعتبر مسجنا كبيرا وهي على كثرة مساحتها وخصوبتها وصلاحياتها للزراعة وغناها بالمواد الاولية والخامات يعيش اهلها في منتهى الضنك والفقر ، لان منطق الحاكم يقضى بهذا ، يقضى بانه لا يريد لهذا الشعب أن يتعلم ، ولا يريد له أن يثرى ، ولا يريد أن يعمل ، ونتيجة لذلك هجر آلاف اليمنيين وطنهم ، وتركوه الى مختلف البلاد طمعا في الحياة الكريمة السعيدة التي لم يتمكنوا من تحقيقها في اليمن . الذي كان يطلق عليه « اليمن السعيد » .

وقامت نورة اليمن ضد هذا الفساد والتأخر والرجعية والانحلال الذي تعرضت له البلاد والذي فرضته هذه الاسرة المتسلطة ، وأعلنت الجمهورية وخلعت آخر امام تبقى من أسرة حميد الدين ، وتمكن هذا الامام المخلوع من الفرار ، وحاول أن يجد له ملاذا وحماية في ظل الاستعمار والرجعية . وهؤلاء وأولئك جمعوا جموعهم ، وهياوا جيوشهم محاولين بذلك القضاء على الثورة اليمنية الظافرة . ولكن هيهات ، فالقضاء غالب والقدر بالمرصاد ، والله الذي هيا الكنانة لتكون على موعدها الموقوت مع الحركات التقدمية يأبى أن يمكن لهؤلاء المبطلين أن ينتصروا على الحق ، ولذلك بادرت الجمهورية العربية المتحدة الى الاعتراف الصريح بثورة اليمن ، وأعلنت أنها مع الجمهورية العربية اليمنية قلبا وقالبا ، تدافع عنها بكل ما أوتيت من قوة . وذهب الجيش العربي من مصر ليدفع عن الشعب العربي في اليمن ندوان المعتدين ، ويسحق المتسللين ، ويقضى على تحركاتهم ، ويبيد قواتهم ، ويبدد شملهم وينفضح مؤامراتهم . ولهذا يقول الرئيس جمال عبد الناصر في خطابه الذي القاه في حفل استقبال الأبطال العائدين من اليمن بتاريخ ٢٢ أكتوبر سنة ١٩٦٣ !

« خرجتم لتدعيم ثورة الشعب اليمني ، خرجتم تشقون بقوة السلاح صفوف الحصار الذي أرادوا أن يضربوه علينا . . خرجتم من أجل التضحية ومن أجل الفداء . . التضحية بالأرواح ، التضحية بالدماء ، من أجل هدم القلاع المظلمة . . خرجتم بدون تردد لمساندة ثورة الشعب اليمني . . خرجتم حين قرر هذا الشعب انه لابد أن يتحمل مسئوليته كاملة ولايد أن يسير في طريق الواجب .

خرجتم وكان المد انرجى والاستعمار وعملاء الاستعمار يوجهون الينا هنا في مصر كل الاسلحة التي يمكنهم أن يجمعوها ليصوبوها الى القومية العربية والى فكرة الوحدة العربية ، والى فكرة تحرير الوطن العربي ، والى فكرة تحرير الانسان العربي ، والى فكرة الثورة العربية من أجل الحرية والاشتراكية والوحدة » .

وتوالت الامدادات على المناهضين لثوره اليمن المباركة ، ولكنها لم تجد شيئاً ، ولم تجدهم اسرائيل ودعايتها ، ولم تنفع الاموال التي ارادوا أن يشتروا بها الدم ، ويحولوا بها أنظار الشعب اليمني عن طريقه ، ويسلبوا ارادته ويخربوا ضمائره ، فليس من المعقول ان ينجح بريق الذهب في أن يعشي الابصار القوية او يحولها عن نور الشمس المشرق الواضح فهو لا يقلح الا مع مرضى النفوس والضمائر وبذلك ذهبت هذه الاموال بدداً ، وضاعت عبثاً ، ورجع المتاجرون بأموال الشعب من صفتهم خاسرين ، وعادوا دون أن يظفروا بخف واحد من خفي حنين .

لقد كان صوت الحق اقوى ألف مرة من أبواق الدعايات الباطلة وكان الايمان ، بالفجر الجديد الذي تفجر في جوانب اليمن أشد اشرافاً وأقوى وضوحاً وأعمق تأثيراً .

وكانت التضحية العربية النادرة التي رآها العالم ممثلة في موقف الجمهورية العربية المتحدة النبيل مضرب الامثال ، كما كان لها أروع الأثر في نجاح هذه الثورة اليمنية الظافرة ومضيها في طريقها نحو الإصلاح والتعمير والانشاء .

ولاول مرة في تاريخ اليمن يسمع الشعب اليمني كلمة الدستور ويدرك معناها ويمارس سلطاته بنفسه ، ويشترك في الحكم ويتمكن من تحطيم جدران السجن الكبير ويتنسم نسيم الحرية ، ويتنسم للمستقبل المشرق ويؤمن بأحقية اللقب الذي كان يقترن باليمن « السعيد » دائماً .

وعادت طلائع جيش مصر الى مصر بعد أن لبست قواعد الحرية ورفعت لواء الشعب في انيمن ومكنت للثورة اليمنية ان تقوم بواجبها في موكب الحرية الزاحف ، وتصنع التاريخ الجدير بأمة العرب .

ان اليمن بعد أن أصبح جمهورية يؤمن ايماناً كاملاً بأن نجاح ثورته يرجع الفضل فيه الى موقف مصر من هذه الثورة وتأييدها تأييداً مطلقاً وتضحياتها في سبيل نجاحها بالنفس والنفيس .

ولم تقم مصر بهذا الدور الا تلبية لما عاهدت به نفسها من أنها ستدافع عن الحق العربي في كل مكان ، وثبتت وجوده ، وتحقق كيانه ، وتعمل على صيانة الوطن العربي والوصول به الى أسمى غايته من الكمال والرقى والنهوض ، وتخليصه من الاستعمار ، واذنابه وعملائه وتطهيره من كل رواسبه المتبقية التي تعمل على تخلفه وتعويقه عن التقدم والمضي

الى الامام . وبنائه على أسس قوية متينة تفهم له بلوغ الهدف وسعادة الحياة .

وهذا الدور هو ما تتطلبه منها الشعوب العربية باعتبارها قلعة الحرية ، وقاعدة الاحرار ومركز الاشعاع القومى المنير .

ولما اقتضت مصلحة الصف العربى الموحد أن تمد الجمهورية المتحدة يدها الى شقيقتها السعودية العربية لم تتوان فى مدها ، والتقى الرئيس والملك . وكانت ثمرة هذا اللقاء ميثاق جدة الذى يرجى أن يكون منطلق الأمن والسلام فى ربوع اليمن الشقيق .

ان سر موقف الجمهورية العربية المتحدة من ثورة اليمن تفسرها فى وضوح خطبة السيد الرئيس جمال عبد الناصر التى القاها امام كبار العلماء باليمن بتاريخ ٢٥ ابريل ١٩٦٤ (١)

## ايها العلماء الاحرار ..

لقد كان اليمن دائما منذ قامت الدعوة الاسلامية رافعا رسالة الاسلام والحرية فى كل مكان . لم يكن هذا فى اليمن فقط ، ولكنه تعدى اليمن الى كل العالم . اليمن مشهور عنه الذكاء ، ومشهور عنه المعرفة ومشهور عنه حبه لله . . كما قلت لكم اول أمس حينما ذهبت فى زيارتى الى آسيا وكنت ألمس ذلك بنفسى فى كل بلد من بلدان آسيا . كنت أسأل فكانوا يقولون لى أنهم أهل اليمن ، أهل حضرموت ، وحضرموت كانت دائما جزءا من اليمن وكنت أشعر فى هذه الأيام بالفارق الكبير بين اليمن الذى تلقى دعوة الاسلام وتلقى دعوة محمد لينشرها بين ربوع الأرض واليمن تحت حكم الأئمة . وكنت دائما أردد قول الله ان الملوك اذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة . وكان الاحرار هنا دائما يقاومون الذلة ويعملون على رفع راية الحرية . واستمر اليمن يرفع راية الحرية ويرفع راية الاسلام حتى تمكنت منه الامامة الفاسدة،

---

(١) اجتمع الرئيس جمال عبد الناصر فى صبيحة يوم ٢٥ من ابريل سنة ١٩٦٤ بكبار العلماء ووفود القبائل البمتبة وقد حضر الاجماع الرئيس عبد الله السلال والسادة مرافقو الرئيس . وبعد أن ألقى المشايخ القصائد الشعرية للترحيب بالرئيس عبد الناصر ولإعلان تسميتهم على الكفاح بالطريق الذى رسمه ألقى ميادته هذا الخطاب .



وتعجب اسماعكم استطاعت أن تفصل اليمن وتعزله عن العالم ، وتجعله دولة متأخرة تعيش في غياهب الظلام . ولكن هل استكان اليمن واستكان رجال اليمن الأحرار وعلماء اليمن الأحرار إلى هذه الدلة ؟ أبدا لقد ثاروا دائما وكما قلتم الآن أن السجون كانت دائما تحوى الأحرار من العلماء والشرفاء ورجال الجيش والمجاهدين في كل مكان . وفي كل عام أردتم أن تولفوا بين القلوب حيث أراد الله ولو أنقتم ما في الأرض جميعا ما ألغتم بين قلوبهم ولكن الله ألف بين قلوبكم .

ان الاسلام هو دين الحرية وأتم العلماء رسل الاسلام في الأرض واجبكم الجهاد من أجل الحرية واجبكم الجهاد من أجل المسلمين لان دين الاسلام هو دين الحرية فهو الذي رفع راية الحرية وانطلق من الجزيرة العربية حتى عمت مشارق الأرض ومغاربها ويحرر الإنسان من الرق والعبودية ويحرره من التعرقة ويحرره من الاقطاع ويحرره من كل المساوي التي حلت بالأرض . وحينما قام محمد صلى الله عليه وسلم برسالة الله ونادى بالاسلام كان يعنى القضاء على الاقطاع والقضاء على الاستبداد والقضاء على الامامة التي تمكنت في تلك الأيام تحت اسم الاسر كاسم أسرة بنى - غيان وأسرة قريش والتي تصدى لها محمد العبد الضعيف ولكنه كان قويا لانه كان يحمل راية النصر التي كانت تهدف إلى التآلف بين قلوب المؤمنين جميعا والتآلف بين قلوب العرب جميعا ، لان عزة العرب هي عزة الاسلام . سرتهم وحملتهم هذه الرسالة حتى استطاعت الامامة أن تبعدكم وأن تعزلكم عن العالم . وحتى استطاعت الخلافات الأخرى باسم الدين أن تكبل العالم الاسلامي بأغلال الرجعية . عادت تحت اسم الحكم العثماني الذي كان يدعى أنه يحكم باسم الدين ، ولم يكن الدين هذا إلا وسيلة وذريعة . كما كان أيضا في مصر لان الامبراطورية العثمانية كانت تحمل اسم الدين بالاسم فقط ولم تكن تعمل من أجل الدين أبدا . . . لانها كانت تعزز الاقطاع لتثبت الاقطاع وتثبت السيطرة وتثبت سيطرة الاسر . وكانت تفرق بين الناس وكانت تبيع الرق وكانت تبيع العبودية ولكن دين الاسلام ينادى من أجل المساواة بين الناس . ينادى من أجل حرية الإنسان . ينادى من أجل القضاء على العبودية .

قامت ثورتنا في ٢٣ يوليو ١٩٥٢ في مصر وهي تحمل الشعارات التي خرج بها الاسلام على العالم وأول هذه الشعارات هي الحرية . حرية الفرد وحرية الوطن . ولا يمكن للوطن أن يكون حرا اذا لم يكن الفرد حرا وكان لابد لنا من أن نحرر الفرد من سيطرة رأس المال ومن

كل أنواع السيطرة حتى يكون الفرد حراً يستطيع أن يقول نعم حينما يشاء ، ويستطيع أن يقول لا حينما يشاء . وسرنا في هذا وكنا نؤمن من قلوبنا أننا تثبت دعائم الإسلام التي استطاعت الخلافة في سنين طويلة أن تنزعها وأن تحجبها عن المسلمين فحررنا الإنسان وحررنا الفرد وحررنا الوطن من الاستعمار البريطاني حررناه وكنا نعتبر أن هذا هو الجهاد الذي نادى به القرآن والذي نادى به محمد عليه الصلاة والسلام .

كنا نجاهد في سبيل الوطن ، وكنا نجاهد في سبيل الله . وكان كل فرد منا يجاهد لا ابتغاء للشهرة بل لرضا الله . لا ابتغاء ثراء ولا ابتغاء جاه ، ولا ابتغاء شيء إلا حرية الوطن العربي . والحمد لله الذي مكنا من أن نحقق كل هذه الأهداف في مصر .

وكنا نشعر أيضاً أن علينا رسالة نحو اخواننا العرب ونحو اخواننا المسلمين أن نشد من أزرهم ، وأن نساعدهم على أن يرسوا في وطنهم وفي بلادهم دعائم الإسلام الحقيقية التي قامت عليها الحرية ، والتي قامت على المساواة ، والتي مكنها الله فانتصرت في فترة قصيرة فجابت ربوع الأرض في مشارقها ومغاربها . ولذا فلا غرابة أبداً حينما نصركم الله يوم ٢٦ سبتمبر حينما قامت هذه الثورة ، وحينما تعرضتم لتحالف الاستعمار مع الرجعية ضد ثورتكم ..

تلك الثورة التي أرادوا لها أن تنتكس لتعودوا أذلة مرة أخرى ، والتي أرادوا لها أن تنتكس حتى تفسد بلادكم مرة أخرى حينما رأينا هذا التحالف وهذا العدوان عليكم أنبرينا لنجدتكم ، وكنا في هذا ننقل قول الله وننفذ كلامه - إنما المؤمنون أخوة - كل منهم للآخر يشد بعضهم بعضاً ، ولم تكن نشعر أننا نحارب في بلد غريب أبداً .. أننا نحارب في بلد عربي .. أننا نحارب في بلد إسلامي . ففي مصر تجدون عائلات وبلادا أتت من اليمن ومن شبه الجزيرة العربية واستقرت في مصر ، وعندنا في الصعيد هناك بنى من قبائل مر ، وهناك بنى محمد ، وهناك بنى حسين ، وهناك بنى عدى . واننا نمثل بهذا الوحدة العربية الحقيقية لا فرق بين بلد عربي وبلد عربي لا فرق بين مواطن عربي ومواطن عربي ..

ولقد كنت أخاف في أول الأمر أن يشعر رجال قواتنا المسلحة بشيء من التملل إذا طلبنا منهم أن يحاربوا في اليمن ولهذا طلبنا منهم متطوعين ولم نبدأ الأمر بأوامر فتطوع الجميع . تطوع كل فرد من أفراد

الوحدات وأن دل هذا على شيء فعلى أن أمة العرب أمة واحدة على أننا شعب واحد يعمل من أجل هدف واحد نعمل من أجل تثبيت الحرية في كل مكان ولما رأينا الاستعمار البريطاني رأينا بريطانيا والرجعية تتصدى لثورتكم كان واجبا علينا أن نهب لمعاونتكم أن نهب لشدة أزركم وكلنا نعلم أن بريطانيا كانت دائما أشد الناس عداوة للذين آمنوا .

لو تأخذ اليمن مثلا . ماذا عملت بريطانيا لليمن قبل الحرب العالمية الأولى وبعد الحرب العالمية الأولى ؟ بدأت بريطانيا باحتلال عدن وكانت عدن جزءا لا يتجزأ من اليمن ، واستغلت بريطانيا فساد حكم الأئمة ، واستغلت بريطانيا ارهاب الأئمة ، واستغلت بريطانيا قطع الرعوس ، واستغلت بريطانيا حالة الفقر التي وصلت إليها اليمن ، واستغلت بريطانيا حالة التأخر التي وصلت إليها اليمن . وكل يمني منكم يرى من هذه الحالات جميعا لأنها لم تكن إلا بسبب الأئمة الذين أرادوا أن يضعفوكم حتى يتمكنوا منكم ويذلوكم ..

استغلت بريطانيا كل هذا واحتلت عدن ، ثم بدأت تزحف لتحتل من اليمن شبرا شبرا . أصبح الجزء الذي احتلته الآن أكبر من اليمن في المساحة وأكبر من اليمن في الحجم وكان سلاحها في هذا ضعفكم وكان سلاحها في هذا الاستضعاف الذي نشرته الإمامة فوق اليمن وكان سلاحهم في هذا ناخركم وكان سلاحهم في هذا غلق حدودكم عن العالم . وكان سلاحهم في هذا عزلكم عن العالم ، وكان سلاحهم في هذا أن اليمن الذي رفع راية الاسلام والذي رفع راية الدين والذي رفع راية الحرية نسي الاسلام ونسي الدين ونسي الحرية ، لأن الإمامة ضغطت عليه وضغطت على رقبته وضغطت على صوته وضغطت على روحه . انه لم يقبل هذا الضغط ولم يقبل هذا الكبت ، ولكنه جاهد وجاهد وكافح وثار ، وعلى مر الأيام ثرتم ، وعلى مر الأيام جاهدتم ، وعلى مر الأيام كافجتم ، وعلى مر الأيام استشهد منكم الآباء والأجداد حتى أراد الله لكم النصر فنصركم يوم ٢٦ سبتمبر ..

وحينما خرج الأخ انريس السلال مع اخوته من الضباط الاحرار يوم ٢٦ سبتمبر ، أنا أعلم أنهم خرجوا ليدعوا بالرسالة وينفذوا ما أمرهم الله به . خرجوا ليقضوا على الإمامة وكانوا فئة قليلة ، ولكنهم كانوا يعلمون أنكم من ورائهم وأن شعب اليمن جميعا من ورائهم وأن الأمة اليمنية والأمة العربية كلها من ورائهم ، ولكنهم كانوا يعلمون أيضا أن الثورات التي خرجت قبلهم لم تستطع أن تعيش إلا بضعة أيام لأن الإمامة

استطاعت دائما أن تؤلب الرجعية العربية وتتحالف معها ضد الاحرار والحرية . خرجوا ليبرثوا ذمتهم أمام الله وأمام التاريخ ونو استشهدوا ، ولكنهم لم يقبلوا أبدا أن يعيشوا تحت عبودية الامامة . أو يعيشوا في هذا البلد الذي أغلق على العالم وعزل عن العالم وأصبح متأخرا عن العالم بأكثر من ألف عام . خرجوا بيؤدوا الرسالة ويستشهدوا ويموتوا حتى يرفعوا بين أبناء اليمن راية الحرية وحتى يبذروا بذور الحرية ويبذلوا انثورة ...

ولكن الله هو الذي أراد لكم أن تنتصروا في يوم ٢٦ سبتمبر بالذات واردة الله فوق كل ارادة ، فانتصرتم رغم تصدى الاستعمار لكم . رغم الرجعية ، ورغم تحالف الامامة مع الانجليز الذين كانوا دائما أشد الناس عنادا للمؤمنين ، والذين كانوا دائما أشد الناس عداوة للمسلمين ، والذين كانوا دائما أشد الناس عداوة للاسلام .

وان بريطانيا في القرن الماضي نصدت للمسلمين والاسلام في جميع بقاع العالم حتى تصعقهم ، وحتى تقضى على قوتهم ، وحتى تقضى على راية الحرية التي رفعها الاسلام ، وحتى تقضى على راية الثورة التي نادى بها الاسلام دين الثورة . ان الامامة اليوم ، الامامة الفاسدة تتحالف مع الرجعية ، وتتحالف مع الاستعمار البريطاني ، ولكنكم في اليمن بعد أن أراد لكم الله النصر يوم ٢٦ سبتمبر ستنتصرون باذنه تعالى على الاستعمار وعلى الرجعية وعلى الامامة ، وستحققون في بلدكم دين الحرية دين الاسلام دين المساواة دين العدل دين التقدم دين العمل السوى دين العمل السليم . هذه هي الحرية التي نادينا بها في بلدنا ... الحرية كانت أول مبدأ من مبادئ ثورتنا طبقناه في بلدنا ، ونطبقه في أي بلد من البلاد العربية . نحن نساند الاحرار في كل جزء من أجزاء الامة العربية واننا بهذه لا نمن على أحد ، بل بالعكس اننا نشعر بأن هذا واجب علينا . ان الذين حضروا اليكم من جنودنا واستشهدوا هنا انما مصرهم الجنة لانهم استشهدوا في سبيل الله ومن أجل رسالة الله . لم يحضر جنودنا الى هذا البلد من أجل منفعة ، أو من أجل غنيمة ، أو من أجل مطلب شخصي . حضروا جميعا لملاقة الله من أجل رفعة راية الحرية ، ومن أجل رفعة راية السلام ، ورفعة راية الدين ولهم جزاؤهم عند الله ، وليس في وسعنا وليس في يدنا أن نجزيهم عن عملهم هذا ، ولكن جزاؤهم عند الله ومصرهم الجنة . واننا حينما نذكرهم انما نذكر جنود الاسلام الأوائل الذين خرجوا ليقاتلوا من أجل الاستشهاد ، ومن أجل أن يذهبوا الى الجنة ، ومن أجل ملاقة ربهم في رفع رسالته . هؤلاء هم جنودنا

الذين حضروا اليكم أبناءكم وأخوتكم حضروا اليكم ليقاتلوا جنباً الى جنب معكم من أجل رفع راية الاسلام ومن أجل رفع راية الحرية ومن أجل تثبيت دعائم الدين .

ان الله الذي وحد بين امتنا لن يمكن أية دولة مهما كبرت وأى فرد مهما كان ان يفرق بين هذه الأمة ..

كان هذا هو المبدأ ، مبدأ الحرية ، حرية الوطن ، حرية المواطن ، حرية الأمة العربية . حرية الأمة الاسلامية حريتنا جميعاً مساندة الحرية فى كل مكان فى العالم مساندة الحرية فى الوطن العربى والثورات التحررية فى العالم . ومن أجل هذا ساعدنا كل الثورات ، وكل الحركات التحررية فى العالم . كنا نعتقد أيها الاخوة اننا نرسى دعائم الدين ، ونرفع راية الاسلام الذى نادى بالحرية والذى نادى بالحرية لكل مواطن .

وكانت الرسالة الاخرى أيها الاخوة التى نادينا بها هى الاشتراكية ، والاشتراكية هى أساس المساواة ، والاشتراكية هى الا يتحكم فرد فى فرد . وكان أول دين نادى بالاشتراكية هو دين الاسلام : قال صلى الله عليه وسلم : الناس شركاء فى ثلاثة الماء والنار والكلا .

وكان الرسول بهذا يعبر عن كل مصادر الثروة فى الجزيرة العربية فى ذلك الوقت . بهذا يعتبر دين الاسلام أول دين يدعو للاشتراكية ، أول دين يدعو للمساواة ، أول دين يدعو للقضاء على التحكم ، أول دين يدعو الى القضاء على السيطرة . ولهذا كان شوقى الشاعر يصف رسول الله بقوله : « الاشتراكيون أنت امامهم » .

فعلا كان محمد صلى الله عليه وسلم امام الاشتراكيين وانه لم يكن يجمع ثروة لم يكن يجمع مالا لم يكن يعمل الا لارضاء قواعد الاسلام ولم تكن الامامة أبدا تمثل الحكم الثورى بل كانت تمثل مبدأ الحكم الفردى مبدأ السيطرة مبدأ التحكم والمبدأ السيف وقطع الرقاب . بل لم يكن هنالك أساسى للشورى .

أما اليوم فان ثورتنا فى مصر قامت على الاسلام ، الامر شورى بينهم .. هناك مجلس للأمة ، هناك حركات شعبية ، هناك حق لكل فرد فى أن يقول رأيه . ولقد سمعتم هذا من الرئيس السلال ، وبهذا نرسى دعائم الاسلام . أنتم الامناء على الاسلام ، وأنتم الامناء على مبادئ الاسلام الحقيقية . أكرر الحقيقة فالاسلام لم يكن ديناً فقط ولكنه كان ديناً نبيلاً ، ديناً ينظم العدالة على الارض ، وينظم لنا المساواة . ويتيح

نكافؤ الفرص وهذا كله عبرنا عنه لكم في كلمة واحدة هي الاشتراكية -  
الاشتراكية التي سنها محمد عليه الصلاة والسلام الاشتراكية التي  
سنها عمر بن الخطاب الذي كان يخطب بين الناس كان يخاطبهم وكان  
يقول لهم من رأى في اعوجاجا فليقومه ، وكانوا يقولون له بكل جراءة ،  
لو رأينا فيك اعوجاجا لقومناه بسيوفنا . .

هذه كانت الحرية وهذه كانت الاشتراكية ، هذا هو الاسلام  
الحقيقي أما لبداً الثالث وهو الوحدة فكما قلت لكم ان الاسلام وحد  
بين العرب جميعا أما الاستعمار ففرق بين العرب ولا بد ان تلوا ارادة  
الله على ارادة الاستعمار ، لا بد ان تعود الوحدة لتجتمع بين العرب مرة  
أخرى . وكما جمعهم حكم الاسلام لا بد وأن تعود الوحدة مرة أخرى  
حتى لا يكون هناك يمني وسوري ومصري وعراقي بل نكون كلنا عربا ،  
وكما قلت لكم في أيام الاسلام الأولى لم تكن هناك فواصل ، لم يكن  
هناك مواطن يمني في اليمن ومواطن مصري في مصر . ان كثيرين من أبناء  
اليمن من الجزيرة العربية هاجروا الى مصر وأصبحوا مصريين ، وان  
الاسلام كان ينادى بتوحيد الأمة العربية ، ووحدة الأمة العربية . ثم  
بعد هذا أقام الاستعمار بيننا الحدود التي أرادت أن تستأثر كل منها  
بجزء من الأمة العربية فأقاموا الحدود والفوارق ففرقوا بين المسلم  
والمسلم وفرقوا بين العربي والعربي . . .

أما اليوم فبعد أن انتصرتكم فعليكم أن تعيدوا راية الاسلام الأولى  
بعد ان نصركم الله يوم ٢٦ سبتمبر عليكم أن تعودوا كما كان أجدادكم .  
حينما رفعوا راية الاسلام واتجهوا الى مشارق الارض ومغاربها لينتشدوا  
فيها وينصروا دين الاسلام . عليكم أن ترفعوا اليوم راية الاسلام وراية  
الحرية ، وراية الحرية هي راية الاسلام . عليكم أن ترفعوا راية الحرية  
كما رفعها أجدادكم ، وتسيروا بها الى مشارق الارض ومغاربها . عليكم  
أولا أن تساعدوا اخوتكم الذين افتصب الاستعمار البريطاني بلادهم ،  
وتساعدوا اخوتكم في عدن وتساعدوا اخوتكم في الجنوب المحتل . عليكم  
أولا أن تساعدوهم بأموالكم وأن تساعدوهم بأرواحكم وأن تساعدوهم  
بكل قواكم حتى يتحرروا لانهم وقعوا في قبضة الاستعمار البريطاني  
حينما استضعفهم ، وحينما استضعفكم أيضا ، وحينما استكنتم وحينما  
قبلتم حكم الأئمة . .

واليوم بعد أن تفضتكم من رعوسكم هذا اللد وبعد أن تفضتكم  
من رعوسكم هذا القمطاد . اليوم أصبحتم تشعرون بالفخر والعزة وها

هو الرئيس السلال يقول لكم اليوم لا فرق بينكم كبيراً وصغيراً ، ولا فرق بين رئيس الجمهورية وبين أي فرد من أبناء هذا الوطن ، نحن جميعاً نبني من أجل رفعة راية الوطن ، نحن جميعاً نبني من أجل رفعة راية الاسلام ، وبهذا أراد الله لكم القوة ، أراد الله أن يؤلف بين قلوبكم فالق بين قلوبكم ، وعليكم أن تحافظوا على ما أعطاكم الله فتحافظوا على هذا التآلف بين القلوب لان الاستعمار والرجعية والامامة سيحاولون دائماً بكل الوسائل أن يفسدوا بين نفوسكم وكما قلت لكم كان سلاح الاستعمار في الماضي الغرقة بينكم .

فعلیکم ایها العلماء الاحرار أن تكونوا دائماً أحراراً ، وعليكم ايها العلماء النوار أن تكونوا دائماً تواراً وتعملوا من أجل رسالة الله التي بحقت يوم انتصاركم في سبتمبر حينما أنف بين قلوبكم فانتصرت له بالتآلف بين القلوب يمكن أن تنتصروا دائماً ، فبالتآلف بين القلوب الذي أعطاكم الله اياه يمكن ان تهزموا بريطانيا وتخرجوها خارج الجزيرة العربية . حينما انطلقت قلوبكم كنتم دائماً الاقوياء الاعزاء الذين لا يخافون بالمال وبالروح كانت ثورتكم الاولى تمثل الامة التي اتلفت قلوبها وكانت الثانية ثورة الاسلام تمثل الامة التي رفعت راية الاسلام وراية الحرية واليوم هذه ثورتكم الثالثة التي ارادها لكم الله حينما ألف بين قلوبكم فتسطيعون بهذه الثورة وبهذه الالفة وبهذا النصر وموازرة الله تعالى ان تفضوا على الاستعمار البريطاني وتحرروا عدن وتحرروا جنوب الجزيرة المحتل .

هذه ايها الاخوة هي رسالتكم . وهذه هي رسالة الدين . وكما قال أخ لكم من قبل ان محمداً صلى الله عليه وسلم كان يحقق الدين بالجهاد فعليكم أن تحققوا الدين بالجهاد وعليكم أن تحققوا الاسلام بالجهاد والله ناصرکم .

والسلام عليكم ورحمة الله ...

## مصر والقومية العربية

أحمد الله على أن القومية العربية  
التي كانت شعرا وعلما أصبحت  
حقيقة واقعة يشعر بها كل فرد من  
أبناء الأمة العربية كما يشعر بها  
العالم أجمع .

« جمال »

### ما المقصود بالقومية العربية ؟

للإجابة عن هذا السؤال ينبغي أن نحدد معنى القومية ، والقومية  
عبارة عن شعور وعاطفة ورغبة جمعت بين قوم يعيشون في مجتمع  
واحد له وجوده المستمر المتصل ، وكيانه المستقل ، ولهؤلاء القوم تاريخ  
واحد ، وتراث واحد ، وظروف واحدة ، ويسعون نحو غايات واحدة ،  
وأهداف واحدة ، ومرت بهم تجارب متشابهة . وكل فرد واع من أفراد  
هؤلاء القوم يسعى في خيرا ، ويحاول بكل ما وسعه من جهد أن يمنع  
عنها كل شر ، ويحنيها كل ضرر . فإذا ما اجتمعت هذه الصفات في جماعة  
برزت قوميتهم وأصبح لهم كيان قائم بهم ، دال عليهم ، وصفة لها دلالتها  
الخاصة بهم هي التي توحى إليهم بما يضعون من أفكار ، وما يختارون  
من مبادئ وما يرسمون من مثل وما يريدون من أهداف .

هذه هي القومية بمعناها العام ، وتأخذ مدلولها الخاص بما يلحقها



من صفات ، فيقال : هذه قومية عربية لأنها خرجت من محيط اقليم خاص واتسع مجالها وشمل كل الروابط التي تجمع بين الشعوب العربية في جميع اقطارهم من لغة وأصل وعادات وأمال والام ومشاركة في الشعور والاهداف .

فالقصود بالقومية العربية اذن هو تلك العاطفة المستمدة من صميم الكيان العربي ، الدائرة حول المعاني الكريمة في ماضي العرب وحاضرهم ومستقبلهم ، وهو ذلك الشعور بحب كل ما هو عربي ، والرغبة في احياء التراث العربي الخالد ، والوصول بالاهداف العربية الى غاية ما تريده وماترجوه من سبق وظفر وتحقيق .

والقومية العربية بهذه الصورة فكرة قديمة لها ماض عريق ، وحاضر زاهر ومستقبل مشرق ، وهي وان كان قد آتى عليها حين من الدهر أصيبت فيه ببعض ما يعتور كل كائن حي من جمود واضمحلال ، فانها ظلت جذوة متقدة يخفيها الرماد تارة ولفترة محدودة ، وسرعان ما تعود فتألق من جديد بفضل روادها الذين مافتئوا يحملون شعلتها المقدسة ، ويتخطون بها الحواجز والعقبات ، ويسلمونها يدا بيد ، وروحاً بروح الى خلفائهم ، وهم حافظون العهد موفون بالوعد ، حتى وصلت في آخر المطاف الى باعثها الذي زادها قوة وانتشاراً واضفى عليها من روحه صفاء وازدهارا .

كان لمصر ورائدها جمال عبد الناصر دور خطير في بعث القومية العربية وذلك بما قدمه عنها من نماذج رائمة في الوطنية والتضحية والفداء ، وبما اتاحه لها من فرصة التعبير عن نفسها في مناسبات كثيرة ، لتثبت وجودها ، وتأخذ مآذنها اللائق بها بين القوميات الأخرى ، وبحديثه عنها في شتى المجالات المختلطة ، حديثاً صادراً عن إيمان عميق بها وبحقيقتها وبوجودها وبفكرتها ، ومن ذلك قوله في إحدى خطبه : « ان القومية العربية سائرة في طريقها ، لأنها تنبع من صميم الأمة العربية ، سائرة في طريقها تحقق الآمال الكبار التي آلت الأمة العربية على نفسها من حين طويلة أن تحققها ، وهي ترى اليوم ثمرات النصر تتحقق ، وترى اليوم أعلام النصر ترتفع في كل مكان » .

« أحمد الله على أن القومية العربية التي كانت شعاراً وعلماً أصبحت حقيقة واقعة يشعر بها كل فرد من أبناء الأمة العربية ، كما يشعر بها العالم أجمع ، وتعترف بها دول العالم تلك الدول التي قاومتها ووقفت في سبيلها وآلت على نفسها أن تحطمها بكل وسيلة من الوسائل » .

وأنتا لسنا في حاجة لأن نؤكد ضرورة القومية العربية للعرب  
باعتبارهم هدفا لعدوان المستعمر ، ومطمعا لتحقيق اغراضه .

وقد قوى أمر القومية العربية في العصر الحديث في البلاد العربية  
وفي مصر خاصة وظهر لها أدب خاص بها ، يدعو اليها ويقوى من شأنها ،  
ويرفع لواء العروبة خفاقا في كل ميدان ، وذلك عن طريق المناذاة  
بفكرتها ، والحديث عن قادتها ، وتحليل شخصيات أبطالها ، وتمجيد  
البطولات العربية ، وتخليد أروع مشاهد كفاحها ، والدعوة الى توحيد  
صفوف الأمة العربية لمواجهة أعدائها ، وتطهير أرضها ، ومؤازرة ثوراتها  
ومن هذا النوع ما نسمعه من الشاعر ، على الجارم ، متحدثا عن العروبة  
ومجدعا العريق وقداسة الشرق ، وعن صيحة البعث التي رآها في ذلك  
الامل الذي بدأ يتحقق بظهور فكرة الجامعة العربية الى عالم الحقيقة  
والواقع :

صحا الشرق وانجاب الكرى عن عيونه  
وليس لمن رام الكواكب مضجع  
إذا كان في أحلام ماضيه رائعا  
فنهضته الكبرى أجل واروع  
توحيد حتى صار قلبا تحوطه  
قلوب من العرب الكرام وأضلع  
وارسلها في الخافقين وثيقة  
لها الحب يمل والوفاء يوقع  
لقد كان حلما أن ترى الشرق وحدة  
ولكن من الأحلام ما يتوقع  
ويتحدث عن دور مصر في بناء المجد والحضارة العربية فيقول : -

خلى مصر أسباب السماء لموطن  
من العز لايسمو اليه التطلع  
دعونا نباهي بالحياة فطالا  
طوى أمم الشرق الحياء المقنص  
خلعنا رداء رث من طول لبسه  
وكل رداء رث باللبس يخلع

وأمر الشعراء أحمد شوقي بعد ثورة سنة ١٩١٩ وجسد البلاد  
العربية تعاني ماتعانيه ، ووجد الشعور العربي يقوى ويشهد ، فعظم  
اهتمامه بالعرب ، وهزته آلامهم وبدأ يتغنى بمآثر الشرق العربي المجيد ،

ويرتقى أحداثه الاليمة ، ويعيد ذكرى أبطاله الأمجاد الذين وقفوا حياتهم  
ثمنا لحرية بلادهم ، ويندد بالمستعمرين ، ومن ذلك تجاوبه مع آلام الشعب  
السوري حينما صوب الفرنسيون مدافعهم نحو دمشق في عام ١٩٢٦ م  
ودكروا صروحها وهدموا قصورها وقتلوا الكثير من الشعب الآمن فتراه  
يقول :

لها الله أنباء تروالت  
على سمع الولي بما يشق  
يفصلها الى الدنيا يريد  
ويجعلها الى الأفاق برق  
وللمستعمرين وإن الأنوا  
قلوب كالحجارة لا ترق  
رماك بطيشه ورمى فرنسا  
أخو حرب به صلف وحمق  
ويتحدث في قصيدته هذه عن الروابط العربية فيقول :

نصبت ونحن مختلفون دارا  
ولكن كلنا في الهم شرق  
ويجمعنا اذا اختلفت بلاد  
بيان غير مختلف ونطق  
ويدعو الى الجهاد ضد المستعمر بقوله :-

وللاوطان في دم كل حر  
يد سلفت ودين مستحق  
وللحرية الحمراء باب  
بكل يد مضجرة يلق

ومثله فعل الشاعر « علي محمود طه » في حديثه عن طارق بن زياد  
مشيدا ببطولته ، معتزا بما قام به من جهاد في سبيل رفعه علم العروبة  
ونشر رايتها في ربوع الاندلس ، وهو يحاول بذلك التذكير بالبطولات  
العربية :-

يا بن القباب الحمر ويحك من رمى  
بك فوق تلك اللجة الزرقاء  
تفوزو بعينيك الفضا وخلفه  
ألق من الأحلام والأضواء

جزر منورة الثغور كأنها  
قطرات ضوء في حقائق أنا  
ووثبت فوق صخورها وتلمست  
كفك قلبها ثائر الأمواء  
وأتى الصباح وسار فيه طارق  
يبنى لجد الشرق أي بناء

ويناجي الشاعر أحمد محرم أم العروبة قائلا لها : -

أم العروبة جاء يومك فاعلمي  
والى مكانك فانهضى وتقلمي  
بك في فم الأحداث دعوة صارخ  
ينفى القراء عن الشعوب النوم  
فدعى المضاجع ، وانفضى عنك الكرى  
وخذى السبيل الى المكان الاعظم  
لك أن تستردى تحت رايتك التي  
خفت لها الدنيا فسودى واسلمى

وحافظ ابراهيم يعد من شعراء القومية العربية المتغنين بها  
وبأمجادها ، الدائرين في فلكها المخلصين لها . وقد دعا في قصائده الكثيرة  
الى وجوب تحقيق الوحدة العربية بل اعتبرها حقيقة واقعة ، كما تحدث  
في عمريته عن دور العرب العظيم في الحياة .

ومن شعره في ذلك النى جرى مجرى الامثال قصيدته المشهورة  
التي أولها : -

لمصر أم لربوع الشام تنسب  
هنا الملا وهناك المجد والحسب

منها :

إذا ألت بوادي النيل نازلة  
بأنت لها راسيات الشام تضطرب  
وان دعا في ثرى الأهرام ذو ألم  
أجابه في ذرا لبنان منتحسب  
لو أخلص النيل والأردن ودهما

تصافحت منهما الأمواء والعشب  
وتسمع الأديب مصطفى صادق الرافعي يخاطب شباب العرب  
فيقول :

« يا شباب العرب : كانت حكمة العرب التي يعملون بها : اطلب الموت توهب لك الحياة ، والنفس ان لم تخش الموت كانت غريزة الكفاح اول غرائزها ، تعمل وللکفاح غريزة تجعل الحياة كلها نصرا ، اذ لا تكون الفكرة معها الا فكرة مقاتلة .

يا شباب العرب ، اجعلوا رسالتكم اما ان يحيا الشرق عزيزا ، واما ان تموتوا كراما » .

ولما حدثت مأساة فلسطين كتب الامتاذ احمد حسن الزيات متحسرا لما اصابها داعيا لانقاذها فقال :

« يا لله فلسطين ، مشرق الهدى والسلام ، ومهبط الوحي والالهام ، ومجتل عین موسى ، ومسرح قلب عيسى ، ومسرى روح محمد ، وقدرس الاديان الثلاثة ، وقبله الاسلام الأولى ، ومهد الانبياء ، ومقبرة الرسل ، ومعبد الشرق والغرب ، ومجرى العسل واللبن .... »

ولما قامت الثورة الحديثة في مصر ، وقامت باصلاحاتها المختلفة وقضت على الظلم والفساد واجتثتها من جنورها تجاوزت مشاعر الأدباء والشعراء لأصداء هذه الثورة المظفرة واهدافها ، وكان من أهداف الثورة احياء فكرة القومية العربية وجعلها شعارا ومبدأ وغاية .

وقد تلقف الادباء هذه الفكرة ، فادوها بعواطفهم واحاسيسهم ، وبشروا بها ، وكتبوا فيها ، وترجمت اقلامهم ومشاعرهم عنها ، وظهرت الى جانب الاشعار الصافية والرسائل القوية ، والبيانات الصافية ، والاحاديث المختلفة ، والمحاضرات المتعددة ، والخطب الملهبة الى جانب هذا كله ظهرت مؤلفات كثيرة تدور حول فكرة القومية العربية ، واصولها ومبادئ جهادها واهدافها وآثارها وروادها وكل مايتصل بها وبحقيقتها ، وهذه المؤلفات تعد بالعشرات .

والواقع ان مصر بمركزها وموقعها بالنسبة للأمة العربية ، وبثورتها المجيدة ، وبغيرتها على الشعب العربي وكيانه ، وبرغبتها الاكيدة في الوصول بالعرب الى غاية مايسمو اليه أمة العرب من مجد . قد أبليت بلاء حسنا في ايقاظ الشعور القومي بين العرب حتى أصبحت القومية العربية على لسان كل عربي من المحيط الى الخليج .

وكان لهذا أثر في تنبيه العرب الى حقوقهم وقيامهم بالثورات التي تعبر عن مدى استجابتهم لدوافع القومية العربية ومشاعرهم التي تضطرب بين جوانحهم .

وفى حين أن مصر تحمل لواء القومية العربية ، وتعمل على تحقيقها نسمع بعض الأصوات نهمس مغرضة تحاول التشكيك فى حقيقة القومية العربية ، وذلك بإيعاز من الاستعمار ، لأن هذه القومية تمثل الخطر الحقيقى على مصالحه واغراضه فى البلاد العربية ، وتحاول هذه الأصوات الإبقاء على ما بين العرب من فوارق وحواجز حتى تضمن ويضمن الاستعمار لنفسه البقاء والتسلط .

ولكن لن يكون مصير المعادى للقومية العربية غير الحسرة والافئاف ، والنصر فى النهاية للقومية العربية .

ولرد على هؤلاء الشعوبيين المتكبرين للقومية العربية نذكرهم بماضى العرب المجيد أيام أن رفعوا راية العروبة خفاقة عالية فى مشارق الأرض ومغاربها ، وقد انضوى تحت هذه الراية مسلمون من كل مكان ، يقودهم عرب من مصر والشام والعراق واليمن والحجاز وبلاد المغرب العربى ، وكل تلك البقاع العربية التى صهرها الاسلام والعروبة فى بوتقة واحدة ، وكون منهما مجتمعا عربيا واحدا يتساوى فيه الجميع فى الحقوق والواجبات . « ولم يعرف التاريخ مجتمعا نشأ سليما بفطرته ، يأبى كل مظهر سقيم مثل المجتمع العربى ، ذلك أن أبناء هذا المجتمع قد طويت نفوسهم على سجايا وخلال نقية جعلتهم يعصفون فى قوة بكل ماياتى لهم بشر ، ويقبلون فى حماسة واستجابة صادقة لكل مايجلب لهم الخير والنفع ، واتسم العرب بتلك الصفات الباهرة لأنهم منذ ظهوروا على مسرح الأحداث العالمية ، وهم أصحاب رسالة سامية ، يدعون فيها الى المحبة والاخاء ، ويسيطون أيديهم لكل من يبايعهم على التصاون لما فيه خير الانسانية » (١) .

ومنذ ذلك الوقت اتسع مدلول العروبة حتى شمل الاقطار التى اظلتها الخلافة الاسلامية ، وأصبح الاعتزاز بالعروبة شعورا يربط بين هؤلاء الناس برباط المحبة والاخاء ، وتحول معنى العروبة من خصوصيته العنصرية التى كانت تطلق على سكان الجزيرة العربية الى معنى أعم وأشمل ، الى مدلول آخر هو المشاركة الوجدانية ، والشعور بالتعاطف ، والاحساس بالمودة التى تربط بين هؤلاء القوم الذين يعيشون فى ظل حكم واحد ، وتربط بينهم تجارب خاصة ، ويشتركون فى تحقيق آمال واحدة ، وفى هذا المعنى يقدم الدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور لكتابه « الظاهر بيبرس » فىقول : « من الثابت علما أن ثمة تطورا خطيرا طرا

(١) المجتمع العربى ومناهضة الشعوبية - الدكتور ابراهيم أحمد المدوى ص ٣ .

على معنى العروبة منذ القرنين الرابع والخامس للهجرة ، فلم تعد العروبة عندئذ تعنى مجرد الانتساب الى قبيلة معينة ، أو الاعتزاز بنسب عربى صحيح ، وانما حدث عقب انتشار القبائل العربية فى الرقعة الفسيحة الممتدة من المحيط الى الخليج أن امتزج أبناء هذه القبائل بأهل البلاد الاصليين وتزاوجوا معهم ، واختلطت دماء الفريقين بعضها ببعض ، ونشأ عن هذه العملية شعب عربى واحد يتكلم العربية ، ويدين بعظمة الاسلام ، وصارت العروبة فى عيدها الجديد تعنى عروبة الحضارة والاحاسيس ، فكل من تكلم العربية وتأثر بحضارتها وتقاليدها فهو عربى ، وكل من أحس بعاطفة جياشة دفعته الى مشاركة العرب فى افكارهم وشعورهم ، والعمل معهم فى الذود عن الوطن العربى والجهاد فى سبيله وانقاذه من الاخطار التى ألمت به فهو عربى .

• ولعل الظاهرة التى تستدعى الانتباه هى أن معظم من تزعموا حركة الجهاد فى ذلك الدور الجديد منذ القرن الحادى عشر ( الميلادى ) لم تجر فى عروقهم دماء عربية خالصة ، ومع ذلك فانهم قاموا بدور بارز فى خدمة العروبة وميراثها ، لا يقل عن الدور الذى قام كبار قادة العرب الأوائل فى التاريخ ، وحسبنا ما قام به السلاجقة فى الجزيرة وآسيا الصغرى ، والأيوبيون والمماليك فى مصر والشام ، والمرابطون ثم الموحدون فى المغرب والاندلس .. حسبنا ما قام به هؤلاء جميعا من جهود فى الذود عن الوطن العربى ضد الاخطار التى هددته من المشرق والمغرب جميعا ، • ولعل فى هذا الرد غناء وتذكيرا لمن أراد أن يتذكر ، ولعل دماء الفرقة والانتهازية يدركون منه أن تيار القومية العربية الجارف أقوى وأشد مما يظنون .

• وأن ثمارها اليانعة أصبحت دانية القطوف .

• وأن شمسها المشرقة قد عمت الوجود ، وبلدت سحب الشكوك والأوهام ، واشاعت بدفئها حرارة الايمان بالقوة العربية الحقيقية المؤثرة فى مجريات الحوادث وانها صارت قادرة على فرض شخصيتها فى توجيه العالم ، الى ما يجب أن يتجه اليه من فضائل ، وذلك بما تملكه من مقومات ووسائل .

## مصر والوحدة العربية

« الوحدة ثورة-ثورة لانها شعبية ، وثورة لانها تقدمية ،  
وثورة لانها اندفاع قوى فى تيار الحضارة .. »

● فى حديث للرئيس جمال عبد الناصر ، تحت عنوان « العرب أمة واحدة قال :

« .. اننا نملك من أسباب القوة ما يحقق لنا السيادة الكاملة ، وقوة التوجيه للسياسة العالمية العامة ، ان بلادنا فى مكانها المتوسط بين الشرق والغرب ، والشمال والجنوب لتقع بين دول العالم فى مثل مكان العاصمة من الدولة .. »

● « وان أرضنا وسماؤنا وبحرنا وبرنا قوة ضخمة لم تزل أمم كثيرة فى الشرق والغرب تلتمس الأسباب للظفر ببعضها فلا تنهيا لها .. »

● « واننا لنملك من قوة الروح ومن الإيمان بالله ومن الشعور بمعانى الأخوة الانسانية بين البشر ما يمكن ان يصنع بنا فى العالم تاريخا انسانيا جديدا .. »

● « واننا لنا قبة نجح لها ، ونتوجه اليها فى صلواتنا ، وما الكعبة فى حقيقتها الروحية الا رمز تأديبى يريد ان يعلمنا نحن العرب أن الانسانية لا تبلغ كمالها الا حين تجتمع القلوب على هدف وتتوحد جماعتها الى قبة .. »



● « لقد نزل علينا الوحي ذات يوم لتقود الانسانية الى مرشدتها فكانت حضارة الاسلام التي انقذت العالم من ظلمات الضلال والجهل ، وان وحيا جديدا لينبثق اليوم في قلوبنا لتقود الانسانية مرة أخرى الى مرشدتها . فما أخرى دعوتنا أن تبلغ اليوم مبلغها من القلوب والعقول ، وقد أشرف العالم على الانحلال لتتقده من ظلمات الضلال والفتنة والجهل ... »

● « واننا لنرى كل يوم برهانا جديدا على امكاننا وقدرتنا وطاقاتنا المادية والمعنوية . »

● « ولن نستكمل أسباب هذا الايمان حتى نؤمن ابتداء باننا امة واحدة (١) » .

من هذا الحديث نرى أن الوحدة العربية وسيلة لتحقيق أهداف كريمة وغالية على العرب والمناداة بالوحدة العربية صدى عميق للقومية العربية التي قويت ، وأصبحت عقيدة راسخة يدين بها العرب في كل مكان .

على أننا لا نعتقد أن هناك فواصل بين الشعب العربي منذ أن فتح عينه على اشراق نور الاسلام في قلبه حتى الآن ، وكل ما حدث من حواجز وحدود إنما هي خطوط وهمية أقامها الاستعمار وأعوانه ليتمكن لنفسه ، أما الشعب نفسه فلا يزال يحس بالتيار الوحدوي يسرى في أعماقه ، والدليل على ذلك ثابت من كل ما مر على الوطن العربي من أحداث وآلام ، فقد أثبت الشعب العربي وحدته في موقفه منها .

● ولقد أصبح من الواضح أن موقف مصر من تحقيق الوحدة العربية في صورتها الشكلية والثورية هو موقف القائد الذي يريد أن يصل بجنده الى كسب حقيقى ونصر أكيد ، ولقد أشار الميثاق الوطنى الى ذلك فقال :

ان مسئولية الجمهورية العربية المتحدة في صنع التقدم وفي تدعيمه وحمايته تمتد لتشمل الامة العربية كلها .

ان الامة العربية لم تعد في حاجة الى أن تثبت حقيقة الوحدة بين شعوبها .

(١) الهلال عدد يناير سنة ١٩٥٧ م .

لقد تجاوزت الوحدة هذه المرحلة واصبحت حقيقة الوجود العربي ذاته (١) ..

● ولقد جاهدت مصر في سبيل تحقيق الوحدة بين العرب جهادا متواصلا ، ولم تأل جهدا في القيام برسالتها من هذه الناحية عن طريق خطوات مسلمة مركزة أهمها كما يشير الميثاق : الدعوة السلمية ، والتطبيق العملي ، ومؤازرة الحركات التحررية الشعبية ، والتعاون المثمر في جميع المجالات الوطنية التقدمية مع عدم اقحام نفسها في المنازعات المحلية .

● ان مصر تؤمن ايمانا لا حد له بوجوب اتحاد كلمة العرب وجمع شملهم ، لان الوحدة في نظرها ونظر كل عربي حر تخلق من الضعف قوة ، ومن الالم املا ، ومن الفقر غنى . وهي تستطيع ان تواجه الاستعمار بكل الاعيابه ودسائسه ومكره ودهائه . ان مائة مليون من العرب يظلمهم لواء واحد في وطن واحد يمتد من شاطئ الأطلس الى شاطئ الخليج العربي يمثلون دولة أعظم من كل دولة عظمى في أوربا ..

● وهذه الوحدة الكبرى التي تجاهد مصر في تكوينها ضرورة يحتمها منطق العصر الذي نعيش فيه ، فان زمن العزلة ولي وانقضى ، وسهولة المواصلات وسرعتها طوت المسافات وقربت الشقة بين الدول ، وأصبح من الممكن أن يصل المسافر من أقصى الارض الى اقصاها في بضع ساعات أو أقل ، واذن فلا يمكن لدولة من الدول أن تعيش بمعزل عن الحياة التي تصخب من حولها ، ولا بد أن ينالها مما يحدث في العالم أثر ، وليس لها عاصم من ذلك الا قوتها التي تواجه بها الاحداث ، وتؤثر بها على الحوادث ، والا عصفت بها التيارات السياسية المختلفة ، وجرفت بها الالهواء المتتالية وتفرقت أجزاؤها بين الشرق والغرب ، ولعب بمصيرها القدر ، وربطها بمعجلة الاحلاف أو جرحها الى اعتناق مذهب من المذاهب المؤثرة في السياسة الدولية .

● لن ينجي العرب من ذلك المصير الا أن تكون لهم كلمة واحدة ، ورأى واحد ، وهدف واحد يسعون لتحقيقه .

● لا ينفعهم الا قوميتهم التي يستظلون بلوائها ويعتصمون بسلطانها ويشعرون بحرارة ايمانها ، ويصبحون تحت رايتها اخوة متحابين متآزرين .

---

(١) الباب التاسع من « الميثاق » .

أن معادلات الوحدة التي تمت بين بعض الأقطار العربية وبعضها قد سبقتها خطوات في هذا الطريق ، كان أهمها وأظهرها قيام الجامعة العربية وكان لشعب مصر في تكوينها أثر مذكور ، فقد أخذ على عاتقه أن ينهض بالحركة العربية وتحت تأثيره دعت الحكومة المصرية رؤساء الحكومات العربية إلى اجراء مباحثات ومشاورات في يوليو سنة ١٩٤٣م ، وشكلت لجنة تحضيرية ، واجتمعت في الاسكندرية في سبتمبر سنة ١٩٤٤م وانتهت اعمالها بتوقيع « بروتوكول » الاسكندرية في ٧ أكتوبر ١٩٤٤م وفي شهر مارس ١٩٤٥م استأنفت اللجنة اجتماعها في القاهرة فأعادت النظر في هذا « البروتوكول » ، وعدلت بعض موادها فأصبح ميثاقا للجامعة العربية واقترته في ٢٢ مارس سنة ١٩٤٥م سبع دول عربية هي مصر والمملكة العربية السعودية ، وسورية ، ولبنان ، وشرق الاردن ، والعراق ، واليمن ، فأصبح هذا اليوم عيد ميلاد الجامعة العربية (١) . ثم انضمت اليها بعد ذلك دول عربية أخرى بعد أن نالت استقلالها منها السودان والمغرب وتونس والكويت وليبيا ، ويعتبر قيام الجامعة العربية خطوة في طريق الوحدة الشاملة بين العرب ، أو مقدمة لهذه الوحدة .

● ولقد استجابت المشاعر العربية لدعوة مصر إلى الوحدة ، ولو تركت الحرية للشعوب العربية لانطلقت تعبر عن ذلك أجمل تعبير وأصدقه ولجملت تلك الوحدة حقيقة واقعة لا مجرد أمل مرجو .

والجمهورية العربية المتحدة حين نصت في أول دستور لها على أن مصر جزء من الأمة العربية رسمت بذلك الطريق لغيرها من الدول لتحذو حذوها ، وتنص في دساتيرها على أن بلادها إنما هي كذلك جزء من هذه الأمة العربية الكبيرة ، ولم يبق بعد ذلك إلا الخطوة الثانية نحو بناء هذه الدولة الكبرى ، وقد بدأت فعلا بالخطوات الآتية :

● في ١٦ مارس سنة ١٩٥٥م أعلنت نصوص ميثاق ضمان عربي بين مصر وسوريا والسعودية ، ويقضى هذا الميثاق بعدم الانضمام إلى أي حلف من الأحلاف الأجنبية وإقامة نظام دفاعي وتعاون اقتصادي عربي مشترك .

وحينما وقع العنوان الثلاثي على مصر وضع هذا الميثاق موضع التنفيذ ، كما قامت الدول العربية بدورها العظيم في مؤازرة مصر ، وأصبحت صفا واحدا في مواجهة هذا العدو المشترك ، مما كان له أثر

(١) تاليف العالم العربي في العصر الحديث ص ٢٦٣ .

كبير في تأييد الرأي العالمي لقضية مصر وانتصاره لها ، وهذا أدى الى فشل العدوان واضطرار المعتدين الى الانسحاب .

وفي فبراير سنة ١٩٥٨م بلغت الوحدة حدا فاصلا باعلان قيام الجمهورية العربية المتحدة من اقليمي مصر وسوريا ، وكانت خطوة جبارة في طريق اقامة الوطن العربي ، ورغم أن هذه الوحدة قد تعرضت لانتكاسة سبتمبر سنة ١٩٦١م على يد طائفة انفصالية فان الغد كفيل بتحقيق آمال أبناء العروبة بالقضاء على دعاة الانفصال .

والانفصال الذي تم لم يكن الا نكسة وتجربة ، ولا بد أن تعاود الشعوب العربية تجمعها ، وتستأنف نشاطها ، وتتابع سيرها في طريق الوحدة الصحيح ، وقد يأتي الخير من الشر ، وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم .

ان مصر قد ظلت دائما تحمل لواء النضال العربي ، وكان موقفها ولا يزال من أعداء العرب معروفا ، ولها في ميدان مكافحة هؤلاء تاريخ حافل بالوطنية الصادقة والاخلاص العميق .

ولولا عروبة مصر ، وجهادها ، وتضحياتها لما أضمر الاستعمار لها كل هذا الحقد الاسود الدفين ، ولما شغل باله بكل هذا الكيد والدس والوقية للقضاء عليها والتمكن منها ، ليسهل عليه بعد ذلك استدلال بقية العرب والسيطرة عليهم .

ولقد قالت مصر ردا على تلك الافتراءات وقضاء على هذه الحرافات كلمتها صريحة واضحة ، وضمنتها مدى الخطر الذي يحيق بالعرب لو انهم فرطوا في وحدتهم قيد شعرة . قالت هذه الكلمة مرارا وتكرارا على السنة قادتها وزعمائها ، وأثبتتها في محاضر جلساتها الرسمية وبياناتها المختلفة ، « فحصر وشقيقات مصر يواجهن اليوم جميعا خطرا واحدا ، ومصر اليوم حين ترفع صوتها منادية شقيقاتها بالتكامل والتعاون والوقوف جنبا الى جنب لمواجهة ذلك الخطر ، انما تفعل ذلك لأنها حريصة على أن تمنع في هذه المرة - المأساة الكبرى التي ظلت تعصف بالعرب منذ أن أطل عليهم النفوذ الأجنبي ، ومنذ تحكم في مصائرهم ذلك النفوذ .

« أن مصر بموقفها الراهن » من الخطر الذي يهدد كيان الامة العربية انما تناضل تضالا تاريخيا لتخليص منطقة الشرق الأوسط من كل نفوذ أجنبي ، فتصبح منطقة يسودها الرخاء والسلام والأمن ، يملك أبنائها على اختلافهم مواردها ويسيطرون - كأصحاب كل الحقوق - على دفة أمورهم

بما يشفق ومصالحهم ، لا مصالح ذلك الأجنبي الدخيل الذى يتعمد معامل مع العرب بوصفه سيّدا ، والعربى واحد من أتباعه » (١)

ومصر فى دعواتها الى الوحدة العربية لا تبغى سيطرة أو سلطانا ، ولكنها لشدة غيرتها على كرامة العرب وعزتهم ، ولرغبتها فى أن يصلوا الى ما يليق بهم من مجد وسؤدد تندفع بغير حدود فى حماسها لذلك المظهر الوقائى الذى تعدّه خط الدفاع الأول عن كيان العرب ومقدراتهم ، ولقد أشار السيد أنور السادات الى ذلك المعنى بقوله :

« لم يفكر جمال عبد الناصر بدعوته الى الوحدة العربية لحظة واحدة فى مسألة الزعامة . ان جالا صاحب دعوة ، وهو يؤمن أن مسألة الزعامات كانت من تقاليد عهد الانحلال يوم أن كان المستعمر يحطم فى رجالنا كل روح انشائية بناءة ، يشغل نفوسهم بالزعامة والأحقاد والمجد الشخصى ، وما يعمل به جمال عبد الناصر اليوم هو أن يدعو بما يحسه فى نفسه نتيجة لآلام الماضى ومآسيه لذلك تستجيب له الشعوب قبل الحكام . ثم لا يلبث أن يستجيب الحكام ، لأن الإرادة هى إرادة الشعوب لا إرادة الحكام ، وأمر آخر يحسه جمال ، هو أننا كلنا فى الهم شرق ، وهمنا فى الشرق كان ولا يزال فى داء الزعامة ومحنة الأحقاد ، وجمال أبدا لن يداوى الداء بالداء ، وإنما شرعه الحسم بشافى الدواء » (١) .

ومصر من أجل ذلك ترحب بكل اتحاد ولو كان ثنائيا يضم بين قطرين عربيين بإرادة شعبية حرة متكافئة ولمصلحة عربية قوية ولن ننسى اطلاقا موقف مصر من رغبة عبد الكريم قاسم فى ضم الكويت الى العراق فانها عارضت هذا الاجراء لانه وان كان يحمل فى ظاهره التجميع ، ولكنه يبطن التعويق والتشتيت ، لأنه لم يتم برغبة شعبية وفقا للقواعد الدستورية السليمة التى تصبح الوحدة بمقتضاها أمرا محتوما لا نقض فيه ولا إبرام .

---

(١) قصة الوحدة العربية - أنور السادات ص ١٤ .  
(٢) قضية الوحدة العربية - أنور السادات ص ٧٥ .

## فصر والتعاون الآسيوى والاfrيقى :

وكنتيبة حتمية لمنطق الوعى التحررى الذى تمثله مصر وتعمل له ، كان لزاما عليها أن تنظر الى الشعوب الافريقية والآسيوية تلك النظرة التى تنظرها الى الشعوب العربية فى وجوب العمل على توحيدها وجمع شملها وتنسيق جهودها لتقف صفا واحدا أمام الاحداث المتربصة بها .

وعلى هذا الضوء تفسر دعوتها لمؤتمر باندونج ، والقرارات التى اتخذت فيه والمبادئ التى تألفت وأصبحت علما على نصاعة الراى ، وسلامة التفكير ، وانسانية الروح ، وبعد النظر .

لقد حان الوقت الذى تقول فيه هذه الشعوب كلمتها ، ويصطفى العالم الى راياها وتكون لها شخصيتها المؤثرة فى مجرى الأمور ، وتغير ميزان القوى فى العالم .

ولقد مضى الوقت الذى كانت سياسة تلك الدول ترسم فى عواصم الدول الاستعمارية وتتمكن أقل قوة عسكرية من التحكم فى مصير شعب بأسره .

ولقد مضى الوقت الذى اتخم فيه الجشع البطون الاستعمارية نتيجة لاستنزافها موارد هاتين القارتين واستغلال خيراتها ومنابعها . وتبلورت مبادئ باندونج ، وأصبحت روحها العظيمة تسيطر على قرارات المؤتمرات المتعاقبة والاجتماعات والمحادثات والمناقشات الدائرة فى كل مكان .

وظهرت الدعوة الى اتحاد آسيوى أفريقى تمليه الظروف المحيطية بالقارتين ، وتحتبه الدوافع الحقيقية لصد المطامع الاستعمارية . وكان أن أقيم مؤتمر الشعوب الآسيوية الافريقية الذى تم انعقاده فى القاهرة ، وأقيم بعد ذلك مؤتمر أكرا ، ومؤتمر الدار البيضاء ، وتعددت زيارات المسئولين بالدول الافريقية والآسيوية للقاهرة ، وتردد مندوبو الشعوب ، وكل ذلك لا يمثل الا صدى واحدا للحركة القوية الهادفة الى التعاون الصادق بين الشعوب التى حرمت من حقها قرونا طويلة ، ولم تتوان مصر فى أن تكون الملبية بسرعة وبارادة قوية لكل نداء يوجه اليها لتحقيق هذه الرغبة عن طريق المساعدات المادية والأدبية ، وعن طريق التشجيع لهذه الدول الناهضة فى طريق المستقبل الباسم السعيد ، ولقد نفس الميثاق الوطنى على ضرورة مراعاة ذلك فى سياسة مصر الخارجية .

واذا كان شعبنا يؤمن بوحدة عربية فهو يؤمن بجامعة افريقية ،  
ويؤمن بتضامن آمسيوى افريقى ، يؤمن بتجمع من أجل السلام يقيم جهود  
الذين تربط مصالحهم به ويؤمن برباط روحى يشده الى العالم الاسلامى ،  
ويؤمن بانتمائه الى الامم المتحدة ، وبولائه لميثاقها الذى استخلصته آلام  
الشعوب فى محنة حربين عالميتين تخللتها فترة من الهدنة المسلحة .

ان الايمان بهذا كله لا يتعارض بعضه مع بعض ولا يتصادم ، وانما  
هو حلقات سلسلة واحدة .

ان شعبنا شعب عربى ومصيره يرتبط بوحدة مصير الامة العربية .

ان شعبنا يعيش على الباب الشمالى الشرقى لافريقيا المناضلة وهو  
لا يستطيع أن يعيش فى عزلة عن تطورها السياسى والاجتماعى  
والاقتصادى .

ان شعبنا ينتمى الى القارتين اللتين تدور فيهما الآن أعظم معارك  
التحرر الوطنى ، وهو أبرز سمات القرن العشرين .

ويقول الميثاق :

« والسياسة الخارجية لشعب الجمهورية العربية المتحدة انعكاس أمين  
وصادق لعمله الوطنى ، تمتد فى ثلاثة خطوات حفرت مجراها عميقا  
ومستقيما بنضال شعب باسل صمد لكل انواع الضغط وانتصر عليها .

« ان الخطوات الثلاثة العميقة فى السياسة الخارجية للجمهورية  
العربية المتحدة تعبرا عن كل مبادئها الوطنية هي :

« - الحرب ضد الاستعمار والسيطرة بكل الطاقات والوسائل ،  
وكشفه فى جميع اقنعتة ، ومعاربته فى كل أوكاره .

« - والعمل من أجل السلام ، لأن جو السلام واحتمالاته هي الفرصة  
الوحيدة الصالحة لرعاية التقدم الوطنى .

« - ثم التعاون الدولى من أجل الرخاء ، فإن الرخاء المشترك لجميع  
الشعوب لم يعد قابلا للتجزئة ، كما أنه أصبح فى حاجة الى التعاون الجماعى  
لتوفيره (١) » .

---

(١) الميثاق - الباب العاشر .



الأزهر اعرى جامعة فى العالم  
( تصوير له • س • دى رافور )



## المؤثرات المصرية المشعة في العالمين العربى والخارجى

« ان العلم هو السلاح الحقيقى للارادة الثورية »

### اولا - العلم والازهر :

بلغت مصر فى مضمار التقدم العلمى مدى بعيدا ، وقطعت فيه شوطا طويلا ، وقد بنت مجدها العلمى على اسس متينة مدروسة ، لعلمها ان بناء الدول لايقوم الا على العلم .

عرفت ذلك مصر فى القديم فانشات جامعة الاسكندرية ، وجامعة عين شمس ، وكان أشهر حدث علمى فى تاريخ مصر العربية فى العصور الوسطى انشاء الجامع الازهر ، الذى بناه الفاطميون سنة ٣٦٢ هـ ، ليكون مدرسة جامعة مشرقة فى شتى العلوم والفنون ، ويعتبر الازهر أقدم جامعة فى العالم بعد جامعة الاسكندرية وجامعة عين شمس . وفد اليه المسلمون من جميع الاقطار يتلقون فى رحابه العلم ، ويجتهدون فى أروقتة وحلقاته شفاء أنفسهم وهدى عقولهم ، وقد تخرج فى الازهر رجال عظام كان لهم اثرهم البالغ فى بناء الحضارة الاسلامية العريقة وفى اشعال نار الوطنية والجهاد .

وأول من حاول جعله جامعة علمية هو هو الوزير يعقوب بن كلس وزير العزيز بالله الفاطمى ، وأول ما عمله فى هذا الشأن أن بنى بجواره دارا للجامعة الفقهاء ، ولما ولى الحاكم بأمر الله ، أمر بنقل الكتب التى كانت

فغنده في دار العلم أو الحكمة الى المساجد المختلفة وخص الأزهر بحوالي نصفها (١) .

ثم اتسعت عمارة الأزهر فيما بعد كما اتسعت فروعها ومعاهده ، وأنشئت حوله أروقة خاصة به لياوى اليها الطلاب الوافدون من جميع أنحاء العالم الاسلامي والعربي وكانوا يجدون من رعاية القائمين على الأمر ما يكفل لهم الحياة الهانئة ويمكنهم من الاقبال على دراستهم بجد واهتمام . كما أنشئت به مكتبة ضخمة حديثة تضم الآن حوالي ٦٦٤٢ مجلدا (٢) .

وقد أدى الأزهر دوره كاملا في الحياتين السياسية والاجتماعية ، وقام برسائله الدينية والقومية على خير وجه ، وظل رمزا للثقافة والارشاد والعلم حتى وقتنا هذا الذي تطورت فيه رسالة الأزهر الى ما يناسب مقتضيات الحياة الحاضرة ، وأصبح جامعة تمثل النهضة القديمة والحديثة لها طابعها التقليدي الذي يحفظ لها تاريخها المجيد ويجعلها تشرق على العالم بنورها من جديد .

ومما يحفظ للأزهر بكل تقدير وثناء محسافلته على اللغة العربية وأدبها في أيام الاستعمار التركي الذي تأخرت فيه البلاد العربية، وساءت حالتها وعمها الفساد والانحلال ووصلت فيه الى أحط درجات التأخر في جميع مرافقها فقد « أغلقت المعاهد وتخربت خزائن الكتب ، وشغل الناس بامر الظلم الواقع عليهم من الحكام عن طلب العلم واجادة الفنون والصناعات والعناية بالزراعة والاجتهاد في تكثير المال بالتوسع في التجارة ونحو ذلك ، ولكن الجامع الأزهر الشريف وهو أكبر معهد تدرس فيه علوم الدين وعلوم اللغة العربية بقي سليما لم يجرؤ الظلمة على الاساءة اليه احتراماً للدين وخوفاً من العالم الاسلامي الذي يغضبها أشد الغضب أن ينال أحد هذا المعهد الديني القديم الجليل بأي سوء (٣) .

وقد كان الأزهر في خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين يمثل الزعامة الفكرية والثقافية في العسالم العربي ، وقد علت مكانة علمائه وطلابه ، وتمتع كبارهم بكثير من الجاه والنفوذ (٤) .

(١) الادب العربي وتاريخه في العصر العباسي - محمود مصطفى ص ٣١٦ .

(٢) الأزهر أثر وثقافة - سعاد ماهر ص ٣٦ .

(٣) تاريخ الادب العربي لأحمد أمين وآخرين ص ١٨ .

(٤) الأزهر أثر وثقافة ص ١١ .

وفى خلال الحملة الفرنسية أصبح الازهر قاعدة النضال الشعبى ،  
ومركز المقاومة الشعبية . وكان طلاب الازهر وشيوخه شعلة حماس  
وطنية ، ضربوا أروع المثل فى التضحية والفداء وتحول الازهر الى دار  
أسلحة مما اضطر نابليون الى اقتحامه بخيوله ، ولكن لم يزد هذا التحدى  
الشعب الا اصرارا ، فقد هب المصريون ينفذون عن الازهر الذى يعدونه  
رمزا لدينهم وعقيدتهم ووطنهم ، ودافعوا عنه دفاع المستميت ، وقد كان  
لكثير من شيوخه - حتى من الذين كف بصرهم - مواقف خالدة من أمثال  
الشيخ سليمان الجوسقى والشيخ الشرقاوى والشيخ عبد الوهاب  
الشبراوى ، والشيخ يوسف المصيلحى والشيخ اسماعيل البراوى  
وغيرهم (١) ، ويكفى أن يكون أحد أبناء الازهر (سليمان الحلبي) هو الذى  
قتل كليبر الحاكم الفرنسى المستعمر نائب نابليون فى مصر . وسليمان  
الحلبى قد وفد من الشام الى القاهرة يتلقى العلم فى الازهر الشريف ، ولما  
عرف أن كليبر قد أسرف فى فرض الغرامات على التجار والاعيان ، وأنه قد  
أشاع الظلم والارهاب بين الناس ، وأنه خرب ودمر ، وأنه أمر باعدام كل  
من يحرز سلاحا ، ولما عرف سليمان الحلبي العربى ما حل بأخوته العرب  
المصريين ثارت نفسه وقرر قتل كليبر ، ومكنه الله منه سنة ١٨٠٠ م .

ولما قامت ثورة ١٩١٩ لم يشند أوارها الا من خلال القيادة التى  
كانت تنبعث من صحن الازهر ومنبره ، وكان يتوافد اليه المصريون  
زرافات ووحدانا من جميع عناصر الامة وطبقاتها يستمعون الى بيانات  
الثورة وخطب قادتها وتوجيهاتهم وتحريض زعمائها .

وفى أثناء العدوان الفادر على مصر ارتفعت صيحة زعيم العروبة  
وقائدها الرئيس جمال عبد الناصر من فوق منبر الازهر عقب صلاة الجمعة  
معلنة اصرار مصر على مقاومة العدوان والاستمرار فى القتال ، وكان لهذه  
الصيحة استجابتها البليغة بين صفوف الشعب الذى تهب بكامل صفوفه  
لسمحق هذه المحاولة الفادرة .

على ان رسالة الازهر الثقافية والاجتماعية والوطنية غير مجهولة  
القدر فى هذا العصر الحديث ، فهو يمثل منبعا جليل الشأن فى تزويد  
روافد العلم والاصلاح والثقافة بما هى فى حاجة اليه من قادة ومعلمين  
وهداة ، وكيالاته العديدة قد اتسعت مناهجها وفروعها لتواجه الضغط  
المتزايد عليها من مصر والخارج .

---

(١) صورة من كفاح الشعب للدكتور جمال الدين الرمادى ص ٦٠ .

وقد عرفت الثورة للازهر حقه بوصفه مركز اشعاع، له آثاره البعيدة في قلوب العرب والمسلمين في جميع الاقطار ، وبوصف منزلته السامية في تقدمهم لانه في نظرهم المنار الذي ظل محافظا على التراث الفكري والديني عبر القرون .

وكان ان أصدرت القانون الخاص باصلاح الازهر وتطويره ووافق عليه مجلس الامة في يونيو ١٩٦١م ، ويقضى هذا القانون بتطوير الازهر وتعديل أنظمتة بما يتفق وحاجات العصر . وقد وضعت الثورة في تقديرها مدى نفوذ الازهر وتغلغله في كيان الشعوب ، فكان هذا حريا بأن يتخرج فيه أساتذة جديرون بحمل رسالتهم الاصلاحية في جميع الاتجاهات العلمية والعملية وذلك عن طريق الكليات الجديدة التي أنشئت بجامعة الازهر .

كما طورت الثورة نظام الازهر التي كانت تضم الوافدين للدراسة في الازهر الى نظام يساير روح العصر الحديث وذلك بتشبيد مدينة البحوث الاسلامية على أحدث طراز ، وتضم حوالى احدى وأربعين عمارة بها حوالى ثلاثة آلاف مبعوث من آسيا وافريقيا ، ومن ألمانيا وفرنسا وأمريكا ويوغسلافيا وغيرها . وقد راعت في تأييدها كل وسائل الراحة الممكنة ليتمكن المبعوثون من التفرغ لرسالتهم التي جاءوا من أجلها والتي تتطلبها بلادهم بعد ذهابهم اليها .

ووضعت سياسة الازهر الجديدة الانتاج الفكري والثقافي في تخطيطها فضمت المؤتمر الاسلامي الى الازهر ، وأنشأت مجمع البحوث الاسلامية . والهدف من وراء ذلك رفع المستوى الثقافي ومستوى العقيدة الاسلامية والاخلاقية المتوارثة ، واذابة الفوارق بين المذاهب المختلفة في جميع الدول الاسلامية ، ونشر الرسالة عن طريق الدراسات الهادفة ، والبعثات الهادية ، والتبشير بها في الداخل والخارج .

#### ثانيا - الجامعات الاخرى :

أنشئت جامعة القاهرة باسم الجامعة الاهلية في عام ١٩٠٨ على أثر دعوة قام بها كثير من الكتاب والمفكرين والزعماء لما رأوه من حاجة البلاد الى نوع من الدراسة يتناسب مع مكانة مصر وآثارها الخالدة في العلم والعرفان . وكان مما قاله مصطفى كامل في هذا الصدد :-

« مما لا يرتاب فيه انسان ان الامة المصرية أدركت حقيقة المركز الذي يجب أن يكون لها بين الامم ، وأبلغ الادلة على ذلك نهضتها في مسألة

التعليم ، وقيام عظمائها وكبرائها وأغنيائها بفتح المدارس وتأسيس دور العلم بأموالهم ومجهوداتهم . ولكن قد آن لهم أن يفكروا في الوقت الحاضر في عمل جديد ، الامة في أشد الحاجة اليه ، الا وهو انشاء جامعة للامة بأموال الامة (١) .

وكان مقر هذه الجامعة في المكان الذي تشغله الجامعة الامريكية حاليا ثم انتقلت الى قصر محمد صدقي باشا بشارع الفلكي . وفي سنة ١٩٢٥ م صدر قرار حكومي بانشاء الجامعة المصرية عن طريق ادماج الجامعة الاهلية بها ، ووضع الحجر الاساسي لمبناها في مكانه الحالي سنة ١٩٢٨ م ، وفي سنة ١٩٥٣ م صدر القرار الذي يقضي بتعديل اسم الجامعة الى جامعة القاهرة (٢) .

وقد تولى ادارة الجامعة والتدريس فيها منذ تكوينها حتى الآن اساتذة كبار متقدمون في شتى العلوم والفنون من أمثال رائد الجيل المرحوم أحمد لطفى السيد والدكتور على ابراهيم والدكتور محمد كامل مرسى والدكتور طه حسين وغيرهم من رواد مصر في العصر الحديث والذين لهم آثار تذكر بالتقدير والثناء العاطر .

وقد أدت جامعة القاهرة دورها في بناء نهضة مصر الحديثة، وتخرج فيها علماء وأساتذة عظام حملوا لواء الاصلاح في شتى ميادينها المختلفة ، وقبل في صفوفها كثير من طلاب الدول الآسيوية والافريقية الذين عادوا الى بلادهم فكانوا رسل اصلاح وهداية ومنار اشعاع قومي وثقافي ، وقد زاد اقبال الوافدين اليها من شتى بلاد العالم بعد أن برز اسم الجمهورية العربية المتحدة في المجال الدولي ذلك البروز العظيم .

وبجوار جامعة القاهرة توجد في مصر جامعات أخرى تقوم بالرسالة العلمية والاصلاحية ، فجامعة الاسكندرية ، وجامعة عين شمس ، لا تزالان تشرقان بأشعاعات علي العالم العربي والدول الافريقية والآسيوية ، وعلى الطريق نفسه تسير جامعة أسيوط وجامعة المنصورة اللتان أنشئتتا حديثا، وحملتتا لواء العلم متضامتين مع جامعة القاهرة ، وجامعة عين شمس ، وجامعة الاسكندرية .

وقد غدت هذه المتابع العلمية المتقدمة بلادا كثيرة في العالم بمبعوثيها

---

(١) دائرة معارف الشعب - كتاب ١١٨ ص ٦٥٠ .

(٢) دائرة معارف الشعب - كتاب ١١٨ ص ٦٥٠ .

الذين كانوا عند حسن الظن بهم ، وقاموا بواجبهم خير قيام ، ورأوا ان رسالة التثقيف والاصلاح غير محدودة بوطن أو مقتصرة على مكان ، ولكنها رسالة عامة شاملة ، ولها هدف انساني أصيل يتمشى مع سياسة مصر فى الأخذ بيد الوطن العربى والشعب الاسيوى والافريقى الى الامام وتنوير عقول أبنائه ليعرفوا حقيقتهم ويصلوا حاضرتهم بماضيهم وفى ذلك القضاء على رواسب الماضى ومخلفات الاستعمار وتقويت الفرصة عليه ، الفرصة التى كان يرمى من ورائها الى استغلال الارض عن طريق استغلال العقل، وقطع روافد العلم والثقافة عنه .

## الثورة

« ان يوم ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ كان بداية  
جديدة وبجيدة في تاريخ النضال المتواصل »

الحديث عن ثورة يوليو ١٩٥٢ يطول ويحتاج الى مجلدات .

لم تكن هذه الثورة ثورة واحدة ، ولكنها ثورات عدة . فهي : ثورة  
وطنية في كل قطر عربي تحفز به الى الوقوف في وجه الاستعمار والى قتاله  
حتى تسقط أعلامه الدخيلة ولا تعود ظلالها السوداء تفرض ظلامها على  
الوطن العربي .

وهي ثورة عربية في كل قطر عربي تدفعه الى اعتلاء الاسوار وكسر  
الحواجز سواء منها الاسوار والحواجز المادية التي تمثل في الحدود التي  
اصطنعها الدخيل الفاسد ، أو الاسوار والحواجز المعنوية التي تمثل في  
الشكوك التي بنوها الدخيل الفاسد .

وثورة اجتماعية في كل قطر عربي تحفز به الى طلب الحياة لكل فرد  
من أفرادها تحقيقا للعدل وإيماناً بأن العدل الاجتماعي هو الركيزة التي  
يمكن أن يستقر عليها الكيان الوطني لكل شعب من الشعوب (١)

وقد سبقت هذه الثورة مقدمات فرضتها وجعلتها ضرورة لانها  
« الطريق الوحيد الذي يستطيع النضال العربي أن يعبر عليه من الماضي  
الى المستقبل » .

---

(١) انظر وجهة العرب - لبراهيم البساطي من ٧٩ .

ولقد اراد الشعب المصري متجاوبا مع الشعوب العربية التي جعلتها ظروف واحدة أن يعبر عن نفسه في عدة محاولات متعاقبة ، وان يتبنت وجوده ويصحح أوضاعه ، فكانت ثورته ضد الفرنسيين ، وكانت وقفته ضد الانجليز في رشيد . وكانت ثورته بقيادة عرابي ضد الفساد المستعمر في البلاد ، وكانت ثورته سنة ١٩٣٦ م ضد المستعمر وأذنا به ، وكانت ثورته في داخل نفسه عقب معاهدة ١٩٣٦ م التي رأى فيها رمز عبودية واذلال وحاول تحطيمها والغاءها ، وكان استنكاره الشديد للنتائج المؤسفة التي أدت اليها معركة فلسطين بسبب خيانة العملاء والمنتفعين .

وازداد السخط الشعبي عنفا حينما فقدت مصر استقرارها السياسي والاجتماعي نظرا لفساد الحكم في أجهزته المختلفة ، وحينما لم يكن العمل لمصلحة الشعب هدفا من أهداف أية حكومة قامت في ذلك العهد البائد ، بل كان هم هذه الحكومات منصرفا كله الى البقاء في الحكم أطول مدة ممكنة ، وترتب على فساد الحكم - في صورة الملك والحكومات المختلفة - فساد الأوضاع الاجتماعية ، فقد انشرت الرشوة والمحسوبية ، وخربت الذمم ، وانعدمت المثل العليا، واصبحت القيم شعارات زائفة تثير السخرية والاستهزاء . ووصل الفساد الى ذروته بحريق القاهرة في يناير سنة ١٩٥٢ .

وكان لابد مما ليس منه بد ، وأصبحت الثورة ضرورة تعتمدها هذه الظروف السيئة التي وصلت اليها البلاد . وفي فجر ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ م فتح الشعب عينه على طلائع الأمل في صورة جيش مصر المظفر يعلن ثورته المباركة بقيادة زعيمها البطل جمال عبد الناصر .

ولم تكن هذه الثورة الا صدى عميقا لأحاسيس الشعب وتجاوبا مع مشاعره وآماله . وحددت الثورة - لحظة قيامها - أهدافها التي تتلخص في القضاء على الاستعمار وأعوانه ، والقضاء على الاقطاع، والقضاء على الاحتكار وسيطرة رأس المال على الحكم ، واقامة جيش وطني قوى ، وتحقيق العدالة الاجتماعية ، واقامة حياة ديمقراطية سليمة ، والنهوض بالانتاج .

وتحقيق هذه الاهداف لا يمكن ان يتم في ظل حكم رجعي فاسد متحالف مع الاستعمار . لذلك أعلنت الثورة النظام الجمهوري ضمانا لأن تسير البلاد نحو أهدافها في سرعة ونشاط .

وسارت الثورة في طريقها يحالفها تجاوب شعبي عميق ، ويؤازرها في جميع خطواتها الموفقة التي تستهدف مصلحة الشعب وسعادته فقد كانت ثورة ٢٣ يوليو تحقيقا للأمل الذي راود شعب مصر منذ بدأ في



العصر الحديث يفكر في أن يكون حكمه بأيدي أبنائه وفي أن تكون له نفسه الكلمة العليا في مصيره .

### مع الامة العربية :

وانسعت أهداف الثورة كما اتسعت آمال الشعب المعلقة عليها ، وأصبح من المحتم ألا تقتصر جهودها على مصر وحدها ، ولكنها امتدت حتى تجاوزت الحدود المصطنعة ، ورسمت مستقبلا زاهرا للوطن العربي الكبير الذي يمتد من المحيط الى الخليج ، ووضعت سياستها على هذا الأساس .

وضعت سياستها على أساس أن مصر جزء من الامة العربية ، ولقد شعر الرئيس جمال عبد الناصر بهذه الحقيقة حتى من قبل قيام الثورة فهو يقول :

**مادامت المنطقة واحدة واحوالها واحدة،ومشاكلها واحدة ومستقبلها واحدا والعدو واحدا مهما حاول أن يضع على وجهه من أقنعة مختلفة فلماذا تنشبت جهودنا ؟**

« ثم زادتني تجربة ما بعد ثورة ٢٣ يوليو ايمانا بهذا الكفاح الواحد وضرورته فلقد بدأت خبايا الصورة تنكشف ، والظلام الذي كان يحيط بنضالها ينقشع ، وأعترف أنني كذلك بدأت أرى العقبات الكبرى التي تسد الطريق الى الكفاح الواحد ، ولكني بدأت أؤمن بأن هذه العقبات نفسها ينبغي أن تزول ، لأنها من صنع ذلك العدو الواحد بنفسه (١) »

### مع الاستعمار :

وبذلك بدأت الثورة تضع في تقديرها ضرورة العمل من أجل أهداف الامة العربية كلها ، وبدأت تخوض بذلك معركة جديدة مع الاستعمار وعملائه ورواسبه .

ان المستعمر وقد رأى أن يسلم بقيام الثورة في مصر ، على ظن انها حركة محلية لاتستهدف سوى تغيير نظام الحكم ، وعلى ظن أنه يمكن أن يمرض عليها لونا من ألوان التأثير أو التبعية قد خاب ظنه في هذه الناحية، وبدأ يعد خطته على أساس خطورة هذه الثورة على مصالحه في منطقة

---

(١) فلسفة الثورة ص ١١٠ .

الشرق العربي، وانها لم تكن مجرد انقلاب تمكن من الوصول الى الحكم ، بدأ الاستعمار يدرك أنها ثورة مدروسة قوية محكمة ، لها اهداف بعيدة ، وأغراض تقدمية تسير في طريق منظم بخطوات ثابتة .

ولم يكن من المعقول أن يترك الاستعمار قواعده أو نفوذه أو يتخلى عن سلطانه في يسر وسهولة ، وهو وإن كان — مرغما — قد حمل عصاه على كاهنه ورحل عن مصر فليس معنى ذلك في مفهومه أن يحملها ويرحل عن غيرها من الأماكن التي عشنش فيها وأفرخ .

وأخذ يعد عدته على أساس سياسة جديدة ، على أساس استعمار غير سافر هو الذي يسمى الاستعمار الجديد ، أخذ يمكن لنفسه عن طريق أحلاف ومعاهدات واتفاقيات . عن طريق مؤامرات ودسائس وخيانات ، وقد واجهت الثورة كل هذه الأساليب بشجاعة ، وعالجتها بحزم ، وتمكنت من القضاء عليها في حينها . فعقدت اتفاقية السودان ، وفوتت الفرصة على بقاء الانجليز بها ، ونددت بحلف بغداد ومالبت أن انهيار في أعقاب انهيار أصحابه ، وشجعت المحميات على المطالبة بحقوقها ، وكشفت مؤامرة الاستعمار وأعوانه التي كان يعدها للتخلص من ثورة ٥٢ بوساطة التخلص من قادتها وزعمائها عن طريق المؤامرات ، « ولقد كشف الاستعمار نفسه ، وكذلك فعلت الرجعية بتهاكها على التعاون معه ، وأصبح محتما على الشعوب ضربهما معا ، وهزيمتهما معا ، تأكيداً لانتصار الثورة السياسية في بقية أجزاء الوطن العربي ، ودعمًا لحق الإنسان العربي في حياة اجتماعية أفضل لم يعد قادرا على صنعها بغير الطريق الثوري (١) » .

وبذلك فتحت هذه الثورة الطريق أمام آمال الشعب العربي في كتابة صفحات مشرقة جديدة في كتاب تاريخه المجيد ، وانبعثت صيحات التحرر تشق عنان السماء وتضاعفت رفات الفرح تتجاوب مع أصدااء الثورة في أجزاء متفرقة من أرض الوطن العربي .

فلم يكف يرضى على قيام الثورة عامان حتى اندلعت ثورة الجزائر ، واستمرت حتى نالت استقلالها . ولم يرض على العدوان عامان حتى قامت ثورة العراق ، ومن بعدها ثورة السودان ، ثم أصبحت الكويت دولة مستقلة تنطلق مع ركب القومية العربية الصاعد ، ثم انطلقت ثورة اليمن ، ومن بعدها ثورة العراق الثانية التي صححت طريق الثورة الأول فأعادت لها حياتها .

---

(١) المساق — الباب التاسع .

هذا وما زالت الثورة في طريقها تمتد لتشمل ربوع افريقيا وآسيا ،  
وتظهرها من كل دخیل ، وتترك حراتها ملكا خالصا لابنائها لا يسغلها  
مستغل ولا يستولى عليها غاصب .

وبذلك تكون ثورة يوليو سنة ١٩٥٢ م قد أدت دورها كاملا منذ أن  
رفعت الغشاوة المصطنعة عن عيون الشعوب العربية والافريقية ، وبينت  
لهم معالم الطريق الصحيح الذي يجب أن يسلكوه في طريق الحياة الصاعد  
الى المستقبل الباسم .

### المفاهيم الجديدة للثورة :

لقد وضعت ثورة يوليو أمام الشعب العربي مفاهيم جديدة لم تكن  
معروفة له من قبل ، أو كانت معروفة ولكنها لم تتفسيح في ذهنه تماما  
بسبب الرواسب التي خلفها الاستعمار ووضع بها حجابا كثيفا بين الانسان  
والواقع ، وبين الانسان والمستقبل ، وبين الانسان والماضي .

لقد حاول الاستعمار أن يحول بين الشعب وبين قرانه الفكري الرافع  
وبينه وبين ميراثه الخلقى العظيم وبينه وبين مبادئه السامية التي أضاعت  
للعالم يوما مشعل الحضارة والعرفان ، لقد أدخل الاستعمار في أذهان  
الشعب أنه شعب خليط غير متجانس ، وأنه أمة مفككة الأواصر لا صلة  
بينها ، وبث الاستعمار في نفوس الشعب الاحساس بالضعف والافتقار  
وعدم الثقة بالنفس ، وشكك الشعب في قدرته على الخلق والابتكار  
والاقتان ، وزرع في قلوب أبنائه اليأس وعلمهم كيف يخسرون التجديد  
والاصلاح ، وكيف يحترمون القوى ويخافونه ويتملقونه ، ويسخرون من  
الضعيف ويتحاملون عليه ويحتقرونه ، علم الاستعمار بعض الناس  
الانتهازية والتسلق والوصول الى أعلى المناصب عن طريق الاستغلال  
والدس والوقية والمكر ، فزرع بذلك داء الحقد والضغينة وفسد الذمم ،  
وخرّب الضمائر .

ورأت الثورة من واجبها أن تتجه باصلاحاتها الى القضاء على هذا  
الفساد المتخلف من ركام الاستعمار فأخفت فتوح معركة جديدة من نوع  
آخر ، وكان للقدوة الطيبة والاصلاحات الكثيرة ، والمواقف المشرفة في  
مواجهة الاستعمار ، اثرها الذي تجلي في انصاف العامل والفلاح ، وتحقيق  
المكاسب للطبقة الكادحة وتأمين حياتهم ، وتصحيح الأوضاع المقلوبة ،  
وتحقيق مبدأ تكافؤ الفرص ، والحساب العسير على الكسب غير المشروع  
ووضع الانظمة الاشتراكية ، وحياء التراث العربي ، والربط بين الشعوب

العربية . وامستنهاض الهمم والتذكير بالماضى ، والقضاء على الاقطاع والحزبية . كل ذلك وغيره وضع مفاهيم جديدة أمام الشعب العربى .

لقد علمته الثورة كيف يثق فى نفسه ومستقبله ، وكيف يسير فى الحياة متفائلا مطمئنا ، علمته الثورة كيف يخلق ويبتكر ، ويصل بعلمه وعمله وانتاجه الى اعظم مستوى صناعى فى العالم ، واعطته السلاح الذى استطاع أن يحقق به تفوقا ملحوظا فى شتى الميادين المختلفة علميا وفنيا وصناعيا ويصل بتفكيره الى تفتيت الذرة وصناعة الصواريخ وغزو الفضاء . لقد نزعته الثورة من قلبه الشكوك والخاوف وأحيت فيه الامل وقوت فيه روح البذل والتضحية والشعور بالمسئولية والسير بالامة العربية الى ما يحقق لها أمنها وسعادتها ورفاهيتها .

لقد شعر الشعب بكيانه ، وأدرك مسئولياته ، وعرف طريقه وأصبح يعمل من أجل هدف قومى كبير . وبناء على ذلك ، فقد طهر صفوفه ، وعزل المعوقين له عن مواصلة سعيه وكفاحه . ووصمهم بوصمة الرجعية والاستغلال ، وحرمهم من نعمة الانضمام الى صفوف الاتحاد الاشتراكى العربى ، حتى لا يؤخروا الانطلاقة العظمى التى ينطلقها نحو أهدافه التى يريد أن يصل اليها بسرعة واطمئنان .

## الاشتراكية

« ان الحرية الاجتماعية طريقها الاشتراكية -  
ان الحرية الاجتماعية لا يمكن أن تتحقق الا  
بفرص متكافئة أمام كل مواطن في نصيب  
عادل من الثروة الوطنية »

( الميثاق )

لاريب أن ثورة يوليو كانت طليعة موفقة للعمل الحاسم ضد  
الاستعمار والرجعية وقد كانت أهدافها نابعة من أعماق هذا الشعب ،  
ومتجاوبة مع أحاسيسه ، هذا الشعب الذي ظل يرسف في قيود الاستعمار ،  
وقسوة الاقطاعيين والرأسماليين ، وجشع المحتكرين ومن على شاكلتهم  
سنين طويلة .

ولذلك كان لزاما على الثورة أن تخوض معركتين في وقت واحد :  
معركة سياسية تتمثل في القضاء على الاستعمار ، ومعركة اجتماعية  
تتمثل في القضاء على رواسيه .

وكان القضاء على الاستعمار نفسه أسهل بكثير من القضاء على  
مخلفاته التي تركها في البلاد التي مكث يستنزف مواردها ، ويستغل  
خيراتها أمدا طويلا .

ورحل الاستعمار ، وترك وراءه اعدائه في هيئة المستغلين والمحتكرين  
والاقطاعيين والرأسماليين والانتهازيين والمعوقين ، وغيرهم ممن أثروا على

حساب الشعب، واستنزفوا دماء وسخروه لأربهم الخاصة وتحقيق أغراضهم،  
وحرموه من ثمرة تعبهم وعرقهم وكله .

ورأت الثورة أنه لا مبرر إلى تحقيق إصلاحاتها الاجتماعية إلا  
بمعارضة هؤلاء فأصدرت لذلك قانون الإصلاح الزراعي ، وحددت الملكية،  
وأصدرت القوانين الاشتراكية ، وكان لها أثرها في رفع روح الشعب  
المعنوية ورد حقوقه اليه وأشاعه بالعزة والكرامة .

ولقد عبر الرئيس جمال عبد الناصر عن ذلك في خطابه بهيئة الأمم  
المتحدة إذ قال : « انكم تعلمون أن تيارا ثوريا وطنيا يجتاح الآن بلادنا ،  
بل اننا نقول ان وطننا الجمهورية العربية المتحدة يعيش الآن ثلاث ثورات  
في وقت واحد : ثورة سياسية عبرت عن نفسها بمقاومة الاستعمار في  
جميع مراحله ، منذ كان سافرا على شكل قوات احتلال حتى تستر وراء  
الاحلاف العسكرية التي لم نر فيها غير محاولة لاختضاعنا لسياسة مناطق  
النفوذ .

« وثورة اجتماعية عبرت عن نفسها بمقاومة الاقطاع والاحتكار ،  
وبالعمل الثقافي من أجل زيادة الانتاج رفعا لمستوى المعيشة ، وتمكيننا  
لتكافؤ الفرص بين المواطنين تحقيقا للعمل الاجتماعي .

ولقد كانت خطة مضاعفة الدخل القومي في عشر سنوات التي بدأ  
تنفيذها هذا العام في اقليم الجمهورية العربية المتحدة هي صورة هذا  
العمل المتفاني والرمز الواضح لتصميم شعبنا على بناء وطنه .

« ثم ثورة عربية عبرت عن نفسها بمقاومة الفرقة المصطنعة . . . . »

ولقد وضعت الثورة التجربة الاشتراكية موضع التنفيذ ، لانها رأت  
فيها البلسم الشافي لجراح الشعوب التي عانت منها عدة قرون ، ولا معنى  
لثورة - أية ثورة - ان لم يكن هدفها الاول رفع مستوى الشعب  
وتطويره ، والوصول به الى حياة أسعد ومستقبل أفضل والا فلماذا تنثور  
الشعوب ؟ ولماذا تعبر عن نفسها بهذه الانطلاقات التحررية ان لم يكن من  
وراء هذه الانطلاقات تحقيق آمال مكبوتة واماني منشودة ؟ .

وبالاخص هذه الثورة ، فهي لم تفقد حساسيتها بآلام الشعب وآماله  
في يوم ما ، ولقد عاشت الثورة حتى الآن أكثر من عشر سنوات ، ومع  
ذلك فهي لم تكف عن التطلع الى تحقيق مستوى أحسن وحياة أرغد فوق  
ما حققته من طفرات في ذلك .

والاشتراكية طريقنا الى هذه الصورة الجميلة المشرفة التي رسمتها  
الثورة للحياة العربية في مصر والعالم العربي .

والاشتراكية التي طبقتها الثورة اشتراكية عربية خالصة مشتقة  
من تعاليمنا وقوميتنا وتراثنا ، وليست اشتراكية مستوردة أو ملحقة ،  
فقد دعت اليها الاديان السماوية ، وحققها الانبياء والرسل ، وسار عليها  
الخلفاء الراشدون ، وحث عليها المصلحون والمفكرون .

ذلك لانها لا تعطي فردا على حساب فرد آخر ، ولكنها تدعو الى حق  
الفرد ، كما تدعو الى حق الجماعة ، وتدعو الى التعاطف والرحمة والمحبة ،  
وتقيم دعائم التعاون والمساواة والعدالة ، وتحارب الانتهازية والاستغلال ،  
وتحرم الكسب الحرام والاثراء غير المشروع ، وتلعن المحتكر والشحيج ،  
وتبنى قواعد المجتمع على أسس مثالية وقيم رفيعة .

وهذه الاشتراكية العربية التي طبقتها الثورة لم تقتل دوافع  
الطموح عند الفرد ، ولكنها شجعت وباركته ، ومن هنا يتضح الفرق  
الشاسع بين اشتراكية الثورة العربية والاشتراكيات الاخرى ، كما ان  
هذه الاشتراكية راعت ظروف المجتمع العربي ولم تخرج على تقاليده  
ومشت مع أسسه وأهدافه .

وقد واجهت لذلك نوعا من المحاربة المذهبية ، ولكن الشعب العربي  
المتيقظ الذي عرف كيف يدمر الاستعمار في صوره المختلفة تمكن أيضا  
من أن يحبط هذه المحاولات الجديدة التي كانت تستهدف بسط سلطانها  
على اشتراكيتنا العربية وتغيير اتجاهها .

ولكى تنطلق الثورة الاشتراكية في طريقها كان لزاما أن تتخلص  
من كل العوائق التي تقف في طريقها أو تحول بينها وبين المضي فيه ،  
ولذلك حاولت أن تعزل هذه الفئات الرجعية الاستغلالية عن صفوف  
الشعب لأنه لا يمكن اطلاقا أن تفرض الثورة حسن النية مع رأسمالي  
قلبت أظفاره وحددت دخله وأخلت منه ما يزيد على حاجته وردتها الى  
أصحابها الحقيقيين من أفراد الشعب ، لا يمكن اطلاقا لهذا الشخص ، وقد  
عرف في طبعه الجشع والشح أن يكون مخلصا كغيره ممن ردت اليهم  
الثورة حقوقهم .

وبذلك أمكن للشعب العربي أن يسير في طريق ثورته الاجتماعية  
بخطى مطمئنة في ظل ذلك النظام الجديد « نظام الاتحاد الاشتراكي  
العربي » الذي يؤلف من الطوائف المؤمنة بالاشتراكية قوة تتمكن من

تحقيق كل الاهداف الاشتراكية التي نرجو من وراثتها خلق المجتمع  
المثالي .

ونستطيع أن نؤكد أن هذه الاشتراكية الديمقراطية التعاونية انما  
هي نورة طبيعية نشأت عن الخلل الاجتماعي الذي كان موجودا في البلاد  
قبل النورة .

ولقد جاءت النورة لتعيد الامور الى نصابها وتعطي كل ذي حق حقه،  
وفي ظل التعاليم الدينية والتقاليد العربية تأخذ طريقها نحو الاصلاح  
المنشود ، ومن هذا نفهم معنى عبارة الرئيس جمال عبد الناصر « ان هبات  
السنين من حكم الاستعمار وسيطرة الاجنبي وطفيان الاقطاع قد خلقت  
اوضاعا اجتماعية ورثناها ، وهذه الاوضاع تشكل الآن بالرغم من كل  
النوايا الطيبة الحقيقية عقبة في طريق اعادة البناء الداخلي لوطننا .  
ان هناك قلة من الناس ورثوا المال ارثا وورثوا النفوذ ارثا وورثوا حق  
احتكار الحياة ارثا » .

وليس هذا من العدالة في شيء ، وليس هناك أي أثر للثورة ان لم  
تعمل شيئا يعيد الحياة الى صورتها الصحيحة ، ليس يكفي الشعب ان  
تظهر الثورة البلاد من الاستعمار ثم تقف أمام رواسبه مكتوفة الايدي ،  
ولا تصنع شيئا . ان هناك أنواعا من الحكم أقسى من الاستعمار مئات  
المرات ، تلك الأنواع التي تموت في ظلها حرية الافراد وتضيع حقوقهم  
وتلعب الأهواء والنزوات بمقدراتهم وتتحكم في مستقبلهم وتقوت الفرص  
على الأكفاء منهم .

ان مثل هذا النوع من الحكم ان لم يكن أظلم من الاستعمار فليس  
أفضل منه ، واذن فلم يكن يكفي للثورة أن تطرد الاستعمار فقط ثم لاتفعل  
شيئا للكادح والعامل والاجير والفلاح ، فتوضح لهم معنى الحياة الحرة  
الكريمة ، وتجعلهم يشعرون بأنهم يعيشون في ظل وطن عزيز يعمل  
لاسعادهم ويسعى لاعزازهم ويجزئهم على كفاحهم الشريف أعظم الجزاء ،  
وكان هذا هو منطق الثورة على لسان زعيمها :

« واذا كان مفهوم الحرية السياسية في تصورنا السهل هو أن يكون  
لكل مواطن حق في تقرير أمر وطنه طبقا لفكره الخاص ، فان مفهوم  
الحرية الاجتماعية في تصورنا السهل هو أن يكون لكل مواطن حق في  
نصيبه من ثروة وطنه طبقا لجهده الخاص .

« هذه شريعة العدل ، وهي في نفس الوقت شريعة الله ... »



« لم تكن شريعة العدل شريعة الله تقضى بأن يكون الغنى ارثا ، وبأن يكون الفقر ارثا »

• وبأن تكون الصحة ارثا ويكون المرض ارثا .

• وبأن يكون العلم ارثا ، وبأن يكون الجهل ارثا .

« وبأن تكون الكرامة والانسانية ارثا ، وبأن يكون السلل الانساني ارثا »

• « ان شريعة العدل شريعة الله ترفض ذلك وتأباه »

• « وترفضه وتأباه شريعة الحرية في معناه الاجتماعي »

تلك هي الاشتراكية العربية التي تدعو اليها الثورة وتريد ان تصل عن طريقها الى اقامة مجتمع متكافئ سليم في جميع نواحيه الاقتصادية والعلمية والاجتماعية وغيرها .

ومن الطبيعي أن تبهر هذه الاشتراكية عيون الدول العربية الناهضة فتحاول ان تحلوا حنوها في تطبيقها ، وقد شرعت بعض هذه الدول فعلا في دراسة انظمتها ، وطبقت بعض اسسها .

• فعلت ذلك الجزائر والعراق واليمن .

وستفعل غيرها غدا دول أخرى في المحيط الاريقي والاسيوى بعد أن ادركت أن المد الثوري والشعبي قد نما وانطلق ليقيم الدليل على أن ارادة الشعوب لا تقهر وأن المستقبل للشعب يرسمه ، بيده ، ويقيم دعائمه بجهده وكفاحه .

## مستقبل الأمة العربية

لقد صبحا المارد الجبار واستيقظ ، وبدأ يفرض نفسه من جديد على أحداث التاريخ .

لقد انطلق الشعب العربي معبرا عن نفسه أوقع تعبير في حركاته الثورية المتعددة .

لقد ذهب كلمة جمال عبد الناصر التي قالها يوما « على الاستعمار أن يحمل عصاه على كامله ويرحل » ، مثلا يحتذى ، وأصبحت الشعلة التي أضاءت معالم الطريق للشعوب العربية ، والجنوة التي أطلقت النار في الهشيم ، فهب الشعب العربي من أقصاه الى أقصاه تتجاوب صيحات ثورته ويوقع أنغام حرите على أوتار الضحايا والشهداء الذين يتساقطون برصاص الغدر والخيانة في أجزاء كثيرة من الوطن العربي .

لقد أقسم الشعب العربي بين التحرر ، وآلى على نفسه ألا يمكن لدخيل فوق أرضه أو رجمي يدنس ترابها ، أو انتهازي ينتهك حرمانها .

لقد صبحا الصبحوة التي لا نوم بعدها ، واليقظة التي لا غفلة وراها .

لقد فتحت ثورة يوليو عينه على حقيقته وردت اليه اعتباره وأخذت بيده الى الأمام في طريق العزة والكرامة .

لقد صنعت هذه الثورة حقيقة الحياة ووضعت في نفوس الشعب العربي معاني جديدة ، وأكسبت الحياة طلاوة ونضارة ، وأطلقت حناجر الجماهير الشعبية في كل ركن من أركان العالم العربي تردد في صوت

واحد نشيد الحياة وتهتف باسم رائد القومية العربية وباعت الأمة وموقف  
الأمل .

ان المستقبل للشعب العربي الذي صمد للأحداث وتحدى المحن ،  
ولم يلق أمام الخطوب ولم يتأثر بما انتابه من آلام ولم يهرب من المصاعب  
والعقبات التي بثرتها أمامه المستعمر .

لقد أدركت الأمة العربية أن المستقبل لها ، وأن زمام أمورها بيدها ،  
وعليها منذ الآن أن ترسم سياستها على أساس أنها هي سيئة نفسها ،  
وانها هي التي تتحكم في مقدراتها ، وتستغل خيراتها ، وتجنّي ثمارها ،  
وتبنى مستقبل حياتها على أساس من العزة النفسية الكريمة .

ان المستقبل أمام الشعوب العربية باسم مشرق .

فلا مكان لمستعمر في أرضها بعد اليوم ، وقد آذن عهد اسرائيل  
بالأفول وأخذ نجمها في السقوط ، وهبت رياح الوحدة حولها من كل  
جانب تضيق عليها الخناق ، وتسد عليها منافذ الأمل ، وتجبرها على الفرار  
من هذه الديار الطاهرة المقدسة .

لقد رسم الرئيس جمال عبد الناصر مستقبل هذا الوطن العربي  
الكريم بخطوط من نور منبعث من هدى ذلك الشرق العربي الذي كان  
فيما مضى مهبط الرسالات ، ومشرق الديانات ، ومنزل الوحي الكريم  
الهادي إلى صراط مستقيم .

فلا أقل من أن يعود إلى ماضيه مزهوا مشرقا كما بدأ ، ويقود  
الإنسانية الضالة إلى مرادها على حد تعبيره في إحدى المناسبات .

ان كل فرد من أفراد الوطن العربي الكبير يحق له أن يردد مع صانع  
الميثاق الوطني بكل فخر وإيمان .

ان شعبنا قد عقد العزم على أن يعيد صنع الحياة على أرضه بالحرية  
والحق - وبالكفاية والعدل - وبالحبة والسلام .

« وان شعبنا يملك من إيمانه بالله وإيمانه بنفسه ما يمكنه من فرض  
ارادته على الحياة ، ليصوغها من جديد وفق أمانيه » .

# فهرس

الموضوع	الصفحة
مراجع الكتاب .. .. .	٣٠٠
فاتحة الكتاب .. .. .	٧
العرب أمة واحدة .. .. .	١١
مصر فى مجال التاريخ .. .. .	١٥
مصر فى معترك الأحداث .. .. .	٢١
تأمر الصليبيين على مصر العربية .. .. .	٢٣
درس فى الوحدة العربية .. .. .	٢٧
مكانة مصر العلمية قديما .. .. .	٣٠
التقدم العمرانى فى مصر قديما .. .. .	٣٣
شهرة مصر وعلاقتها مع الدول قديما .. .. .	٣٦
طبيعة الأمة المصرية .. .. .	٣٩
الوفادة الى مصر قديما وأسبابها .. .. .	٤١
الفتح العربى وآثاره فى مصر .. .. .	٤٥
مصر جزء من الأمة العربية .. .. .	٥٠
شهادة التاريخ لمصر .. .. .	٥٧

الموضوع	الصفحة
أشهر الوقود التي قدمت مصر .. .. .	٦٥
قلب العروبة النابض .. .. .	٧٩
مصر قلعة حصينة للعالم العربي .. .. .	٩٠
مصر والحروب الصليبية .. .. .	٩٨
مصر والاستعمار الأوربي .. .. .	١٠٢
الدعوات التحررية ونشأتها في مصر .. .. .	١٠٧
نص خطاب السيد الرئيس جمال عبد الناصر في الجزائر .. .. .	١١٧
موقف مصر من الحركات التحررية .. .. .	١٢٤
مصر والقومية العربية .. .. .	١٣٨
مصر والوحدة العربية .. .. .	١٤٦
المؤثرات المصرية المشعة في العالمين العربي والمخارجي .. .. .	١٥٥
الثورة .. .. .	١٦١
الاشتراكية .. .. .	١٦٧
مستقبل الأمة العربية .. .. .	١٧٢

الذات القومية للطبائشة والشيشنة



الدراسات القومية للطبابة والنشئة

العدد ٣٢٩

التمن ٢٠

١٩٦٦/٤/١٢